من منبر الحرم المكي

تأليف

عمر بن محمد السبيل (رحمه الله)

إمام وخطيب الحرم المكي الشريف

مكتبة الرشد

ناشرون

ح مكتبة الرشد، ١٤٢٤ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر

السبيل، محمد عمر
من منبر الحرم المكي / محمد عمر السبيل ـ الرياض، ١٤٢٤ هـ

ص ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٥-٢٣٩-٠١-٩٩٦٠

١- خطبة الجمعة أ. العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٢٤/٣٥٥٣

رقم الإيداع: ١٤٢٤/٥٥٣
ردمك: ٥-٢٣٩-٠١-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ

مكتبة الرشد ناشرون

* المملكة العربية السعودية ـ الرياض ـ طريق الحجاز
ص ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ فاكس ٤٥٧٣٣٨١
Email: alrushd@alrushdryh.com
Website : www. rushd.com

- فرع طريق الملك فهد – الرياض – غرب وزارة البلدية والقروية هاتف ٢٠٥١٨٣٠
- فرع مكة المكرمة – هاتف ٥٥٨٥٤٠١ فاكس ٥٥٨٣٥٠٦
- فرع المدينة المنورة – شارع ابي ذرالغفاري هاتف ٨٣٤٠٦٠٠ – ٨٣٨٣٤٢٧
- فرع جدة – ميدان الطائرة – هاتف ٦٧٧٦٣٣١
- فرع القصيم – بريدة طريق المدينة هاتف ٣٢٤٢٢١٤ فاكس ٣٢٤١٣٥٨
- فرع ابها – شارع الملك فيصل هاتف ٢٣١٧٣٠٧
- فرع الدمـــام – شارع ابن خلدون هاتف ٨٢٨٢١٧٥

وكلاؤنا في الخارج
القاهرة : مكتبة الرشد / ت ٢٧٤٤٦٠٥
الكويت : مكتبة الرشد / ت ٢٦١٢٣٤٧
بيروت : دار ابن حزم هاتف ٧٠١٩٧٤
المغرب : الدار البيضاء / مكتبة العلم / ت ٣٠٣٦٠٩
تونس : دار الكتب المشرقية / ت ٨٩٠٨٨٩
اليمن – صنعاء : دار الآثار ٦٠٣٢٥٦
الاردن – دار الفكر هاتف ٤٦٥٤٧٦١
البحرين – مكتبة الغرباء هاتف – ٩٥٧٨٣٣ - ٩٤٥٧٣٣
الامارات – الشارقة – مكتبة الصحابة هاتف ٥٦٣٣٥٧٥
سوريا – دمشق – دار الفكر هاتف ٢٢١١١٦
قطر – مكتبة ابن القيم هاتف ٤٨٦٣٥٣٣

كلمـة الناشـر

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

إن مما يشرفنا ويثلج صدورنا أن نهدي للمكتبة الإسلامية باكورة خطب فضيلة الشيخ العلامة الدكتور، عمر بن محمد بن عبدالله السبيل (١٣٧٨ ـ ١٤٢٣ هـ) ـ رحمه الله ـ والتي ألقاها من على منبر المسجد الحرام بمكة المكرمة.

وإن مما يميز هذا الفقيه الشاب عدة أمور:

أولاً: التربية العلمية التي صقلت شخصية الفقيد فبين جنبات المسجد الحرام أمضى الشيخ ـ رحمه الله ـ زهاء الأربعين عاماً حافظاً وطالباً ودارساً ـ فنحسبه والله حسيبه ـ شاب نشأ في عبادة الله، وكان قلبه معلق بأطهر بقعة في الأرض ـ المسجد الحرام ـ أسأل الله أن يظله بهاتين الخصلتين تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله.

ثانياً: نذر ـ رحمه الله ـ نفسه لخدمة دينه خطيباً ومدرّساً، بالكلمة الصادقة، والتوجيه الناصح الحكيم، بأسلوب مبسط لا تكلف فيه، يفهمه العامة والخاصة، بلا تطويل ممل، ولا اختصار مخل، فكلامه قصور وما به قصور.

وإنك لتجد هذا واضحاً حينما تقلّب بصرك في هذا السفر المبارك من خطبه، فهو بحق خطيب أمة، وأرجع البصرة كرة أخرى في عنايته في خطبه بالقيم الإسلامية وحثه على التحلي بها، وكانت آخر خطبه عن حفظ اللسان والعناية بأدب الحديث.

ثالثاً: ما يتميز به من رجاحة العقل والالتزام بالمنهجية الوسطية في الحياة مع

تحليه ـ رحمه الله ـ بكريم الأخلاق، وحسن العشرة، والزهد في الدنيا، والتواضع للحق والخلق، وحب الفقراء والمساكين والسعي في حاجاتهم.

هذه الصفات مجتمعة جمعت القلوب على حبه والثناء عليه بما هو أهله، والله أسأل أن يبدله داراً خيراً من داره، وأهلا خيراً من أهله، وأن يجبر كسر المسلمين في فقده إنه سميع عليم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.

مكتبة الرشد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة معالي الشيخ الدكتور/ صالح بن عبدالله بن حميد

إمام وخطيب المسجد الحرام، ورئيس مجلس الشورى

الحمد لله هدم بالموت مشيد الأعمار، وجعله راحة لعباده الأبرار، ينقلهم به من دار المتاع إلى دار القرار، له الحكمة البالغة في تصريف الأقدار، سبحانه لا إله إلا هو قدر الآجال بعلمه، وأجراها بحكمته، يقول عزّ شأنه: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾، ويقول سبحانه: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع وهو الحكيم العليم.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، المصاب بعده جلل، وبموته عليه السلام يتعزى كل مصاب؛ وفي التنزيل العزيز ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الأطهار، وأصحابه الأئمة الأبرار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، ومن على نهجهم سار.

أما بعد: فإن أهل العلم أمناء الله في خلقه، والواسطة بين الرسول وأمته، هيأهم الله لحفظ ملته، الكتاب عدتهم، والسنّة حجتهم، والرسول فئتهم، وإلى الدين نسبتهم، لا يعرجون على الأهواء، ولا يلتفتون إلى المختلف من الآراء، هم المأمونون العدول، حفظة الدين وخزنته، وأوعية العلم وحماته.

إذا ادلهمت الأمور فإليهم ـ بعد الله ـ الرجوع، وما حكموا به فهو المقبول

والمسموع، هم المحدث النبيه، والعالم الفقيه، والقارىء المتقن، والخطيب المحسن، والواعظ الصالح، والداعية الناصح، قبلوا شريعة المصطفى قولاً وفعلاً، وحرسوا سنته حفظاً ونقلاً، ثبتوها فرعاً وأصلاً، فكانوا أحق بها، وكانوا لها أهلاً، ينفون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، هم الحفاظ لأركانه، والقوامون بأمره وشأنه.

لهم أرفع مكانة، وأجلّ مرتبة، بهم ـ بإذن الله ـ تنقشع الظلمات، وتندفع الشبهات، وتنعم البلاد، وتُهدى العباد، يستظهرون المتون، ويجيدون الفنون، ويقومون لله قلباً وقالباً، واعتقاداً وعملاً.

اختصهم ربهم، فعلمهم الكتاب والحكمة، وفقههم في الدين، وفضلهم على سائر المؤمنين، رفعهم بالعلم، وزينهم بالحلم، بهم يعرف الحلال والحرام، والحق والباطل، والسنّة والبدعة، فهم سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، بهم بإذن الله تحيا قلوب مريدي الحق والهدى، وتموت قلوب أهل الزيغ والهوى، حياتهم غنيمة، وموتهم مصيبة.

هم في الأرض كنجوم السماء، تهدي في ظلمات البر والبحر، هم ورثة الأنبياء، تقوم بهم على الناس الحجة، فقهاء الدين، ودعاة الأمة، وأعلام الملة. يحيون من معالم الدين ما اندرس، ويوضحون للناس ما التبس، أنوارهم باهرة، وفضائلهم زاهرة، هم الموقعون عن رب العالمين، والمتمسكون بسنن المرسلين.

أيها الناظر الكريم: إن هذا التذكير بأهل العلم، وإيراد الشذرات من فضلهم، والتنبيه إلى علو مقامهم، وعظيم أثرهم. لما تعيشه الأمة في أزمنتها المتأخرة من مصائب، تكالبت فيها عليها الأمم، وتداعت عليها النكبات، وانتقصت من أطرافها، وديست مهابتها، ولئن كانت هذه المصائب تتفاوت وتختلف شدة وقوة، وسعة وكثرة، ولكن من الملفت في هذا الخطب المدلهم تهاوي كواكب من أهل العلم.

نعم لقد ابتلينا بفقد جملة من علمائنا الربانيين، كانوا مصابيح دجى، وشموس

هدى، يستأنس بهم في الوحشة، ويستضاء بهم في الظلمة، غيابهم نكبة، وموتهم مصيبة، فلا حول ولا قوة إلا بالله[(١)].

والله إنه ليخشى على الأحياء بعدهم من الفتنة (اللّهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم).

كم فات من الخير بوفاتهم، وكم من حسرة على فراقهم.

وإذا كنا نتحدث عن مصائب الأمة، وعن عظيم الأسى بفقد علمائنا وأئمتنا، فإن من حق الأمة وحق الخلف من بعدهم، أن يحفظوا لهم حقهم، وأن يسيروا على الصالح من أثرهم وهديهم.

فإن من علامة الخير للأمة بعامة، وللخلف بخاصة، أن يلتفوا حول علمائهم، وأنه من خير المقاصد بعد وفاتهم؛ حفظ حقهم، والحفاظ على تراثهم، وإبراز المضيء من حياتهم، ليبرز المثل، وتتحقق القدوة. لأن دراسة سير العلماء، وإبراز محاسنهم في غير غلو ولا غمط، هو الدرس المهم، والغاية المطلوبة، فبرهان المحبة الحقة الاتباع على الحق، ونحسب أن هذه القلة من أهل العلم والفضل، الذين اخترمتهم المنية، في فترة زمنية متقاربة، من العلماء الربانيين، من ورثة الأنبياء، أعلاماً يقتدى بهم، وعلماء يقتفى أثرهم، وتبرز مآثرهم. ولا نزكي على الله أحداً فهو سبحانه أعلم بمن اتقى.

ولقد انضم إلى هذه الكوكبة ـ العالم الشاب، الحافظ، الفقيه، الشيخ، الإمام، أبو أنس عمر بن محمد السبيل ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ فللّه الحكمة البالغة في أن تخترم المنية هذا العالم الشاب ليلحق بهذا الركب من الشيوخ.

---

(١) وممن فقدوا في هذه السنوات المتقاربة: (سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز)، (الشيخ محمد بن عثيمين)، (الشيخ عبد الرزاق العفيفي)، (الشيخ صالح بن غصون)، (الشيخ محمد ناصر الدين الألباني)، (الشيخ عبدالله البسام)، (الشيخ حماد الأنصاري)، (الشيخ محمد بن جبير)، (الشيخ عبدالله بن زاحم)، (الشيخ عبد المجيد بن حسن الجبرتي)، (الشيخ علي الطنطاوي)، (الشيخ مناع القطان)، (الشيخ مصطفى الزرقا)، (الشيخ محمد صفوت نور الدين)، رحمهم الله وأجزل مثوبتهم.

إن الرزء بفقد الشيخ لعظيم، والمصاب به لجلل، فللَّه كم عطفت له القلوب، ووضع له من القبول. . .

إن المكانة التي اكتسبها الشيخ ـ رحمه الله ـ وأسكنه فسيح جناته في قلوب الناس من دلائل فضله وإخلاصه، وحسن صلته بربه إن شاء الله.

لقد شرّف الله منزلته، وأعلى مكانته، وتربع على عرش القلوب، والتفّ الناس حوله لما وضع الله له من القبول، لم يزدوج في شخصيته، فأحبه الجميع، وبرز في فاعلية التلقائية، وعمق البساطة، مما كان له دور كبير في تكوين رصيد وجداني في زرع الثقة لدى محبيه.

لقد كان يتمتع ـ رحمه الله ـ بتواضع جم، قل نظيره في نظرائه من طلبة العلم، لا يعرف عنه التعالي، كان ذا نفسية أريحية، وطباع كريمة، ونموذجاً لأصناف من الخير كثيرة، معلماً في المنهج والسيرة، يؤمه العلماء، ويحدثه البسطاء، للفقراء عنده مكانة، وللغرباء لديه منزلة، كريماً في قوله، ندياً في عطائه وبذله، ومع هذا التواضع، والبذل في النفس، والجاه، والمال، فقد كانت له هيبة لا تخفى، لم يتطلع إلى مناصب، ولم يمتنع عن الناس بحاجب. يعالج الأمور بحكمة، وحسن بيان، وقوة إقناع، صريح في لباقة، طيب في حزم، ناصح في أدب.

لقد كان أنموذجاً لعالم شامخ، تسنم ذروة في الرجال في صغر سن، وعلا قمة في الأفذاذ في قصر مدة، طويل الباع، واسع الاطلاع، علمه مقرون بحسن التدين، والورع، والعفة، وحسبك بعالم ورع عفيف.

عاش حياة حافلة بالخير، حياة علمية دعوية متوازنة، يرتبط فيها العلم بالعمل، ويقترن فيها الفقه بالخلق.

لقد كان داعية موفقاً، كما كان مشاركاً فيما يفيد؛ من مؤتمرات علمية، ومجامع فقهية، وحلقات فكرية، ومنابر وعظية، وندوات بحثية، له حضور متميز في الدعوة، والعلم، والفقه، والبحث العلمي، والنظر في قضايا المسلمين، وفي مشكلاتهم، ونكباتهم، وفي مخالفاتهم، وبدعهم، فكان ذا قلم إذا كتب، ومُوجِزاً إذا خطب، بنّاءً إذا نقد، حكيماً إذا أرشد، إذا تحدث أفصح، وإذا شرح أوضح، فللَّه در

الشيخ كم أجاد، وأفاد، وكشف عن دقائق في الفقه، وأخرج ونبّه إلى قواعد مثلى في الاستنباط.

عرف الشيخ ـ رحمه الله ـ منذ صغره بالصلاح، وحب العلم، وحسن العبادة، والمداومة عليها، والبعد عن المظاهر، تعلوه مهابة، ويلازمه وقار، لا يدخل فيما لا يعنيه.

دؤوب في طلب العلم وتحصيله، مشارك في كثير من فنونه، له تميز في الفقه وقواعده وأصوله، وله بروز في علوم العربية وآدابها، وعلم الأنساب، والمعرفة بالقبائل، وأصول الأسر والعائلات.

ولعل مما يفيد المطلع الوقوف عند بعض الصفات البارزة التي كان يتميز بها الشيخ ـ رحمه الله ـ فمن ذلك:

١ ـ حسن السمت: ويراد به عند أهل العلم والأدب والحكمة: تناسق المظهر الخارجي للإنسان من طريقة الحديث، ومواطن الصمت، والحركة والسكون، بحيث يدرك الناظر التوازن والانسجام في كل ما يصدر عن هذه الشخصية، فينسب صاحبها لأهل العقل والحكمة والصلاح. وحسن السمت، يكسب صاحبه الاحترام، والهيبة، والوقار، والقبول، ويدل على رجاحة العقل.

ومن اليسير أن تجد من يظهر عليه حسن السمت في زمن الاعتدال، ولكن كثيراً ما يخرج المرء عن حد الاعتدال، إذا زاد الفرح، أو أقبل الهم واشتد، فإنما الصبر عند الصدمة الأولى، ولا يتبين الرجال إلا في أوقات الفتن والشدائد.

والمؤمن العاقل لا يحب الفتن ولا يتمناها ولكن يسأل الله الثبات، وألا يزيغ القلوب بعد إذ هداها، وأحسب الشيخ ـ رحمه الله ـ كان من أوفر الناس عقلاً، وأكثرهم اتزاناً، وأقواهم إرادة فهو ممن يظهر فيه حسن السمت، والتوازن، والاعتدال في أقرب كمالاته.

٢ ـ الفطنة: وهي حسن التنبه لكل ما يعرض، كما أنها استعداد تام لإدراك العلوم بالفكر والتأمل، ويتجلى ذلك في ملاحظة لفظ المخاطب، وإدراك الغرض من خطابه.

والفطنة تنقذ صاحبها من المواقف الحرجة، وهذه خصلة ظاهرة في الشيخ ـ رحمه الله ـ تجنب فيها الكثير من المواقف المحرجة في أوساط الشباب وغير الشباب، كيف وهو شيخ الشباب، وعصرنا هذا ماج بكثير من الفتن والزوابع ولا سيما في أوساط الشباب، فكان الشيخ الشاب طوداً شامخاً لم تهز له قناة.

٣ ـ علو الهمة: الهمة العالية خلق رفيع يعشقه قلب الكريم، وتتطلع إليه النفس الكبيرة، والمرء يعلو قدره بحسب نصيبه من علو الهمة.

والهمة العالية لا تزال بصاحبها مستمسكاً بحبال الترقي صعداً في مراتب الكمال، متزجراً عن مواقف الذل والرضا بالدون.

والهمة من الهمِّ، وهو مبدأ الإرادة، ولكن أهل الحكمة والأدب خصوا الهمة بنهاية الإرادة، فالهم مبدؤها، والهمة نهايتها، وعلو الهمة في حقيقته هو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، وطلب المراتب السامية، وعدم الاكتفاء بأوساط الأمور، والتضحية بما يملك، وبذل ما يمكن من غير امتنان ولا اعتداد، وإذا عظم المطلوب قل المساعد، وطرق العلا قليلة الإيناس، والهمة العالية توقظ صاحبها، فتبدله بالخمول نباهة، وبالحطة رفعة، وبالتبعية العمياء شجاعة وإقداماً.

وإذا كانت هذه هي الهمة العالية، وهذا هو علو الهمة فأحسب أن للشيخ أبي أنس ـ رحمه الله ـ من ذلك حظاً وافراً، ويدرك ذلك فيه من خبره عن قرب، وسبر نهجه وسلوكه، وحينما أدوّن ذلك فإنما أدوّنه للأجيال لتعلم أن علو الهمة لا يعني الكبر، ولا غمط الناس، وأن الهدوء، والسكينة، والتواضع، هما الرداء الجميل الفضفاض الذي تسكن فيه الهمة العالية.

٤ ـ الورع: وهو ترك ما يريب، وتجنب ما يعيب، وإذا كان الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، فإن الورع ترك ما يضر في الآخرة، والأخذ بالأوثق، والتزام الأحوط، وترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس.

ومن سبر حياة الشيخ ـ رحمه الله ـ فهو مع صغر سنه، وطبيعة عصره، فقد أدرك عارفوه ومعاشروه مظاهر الورع في سيرته، في لحظه ولفظه وليس الورع النفرة من الناس، والعبوس في المقابلة، ولكنه عقل، وعلم، وحكمة محكمة بالدين.

يقول: شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: تمام الورع أن يعلم الإنسان خير الخيرين، وشر الشرين، ويعلم أن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإلا فمن لم يوازن ما في الفعل والترك من المصلحة الشرعية والمفسدة الشرعية فقد يدع واجبات ويفعل محرمات، ويرى ذلك من الورع؛ كمن يدع الجهاد مع الأمراء الظلمة ويرى ذلك ورعاً، ويدع الجمعة والجماعة خلف الأئمة الموسومين ببدعة أو فجور ويرى ذلك من الورع، ويمتنع عن قبول شهادة العباد وأخذ علم العالم لما فيه من بدعة خفيفة، ويرى ترك قبول سماع هذا الحق الذي يجب سماعه من الورع. وأحسب إن الشيخ أبا أنس ـ رحمه الله ـ قد فقه ذلك كله واستبطنه علماً واستظهره سلوكاً.

٥ ـ **قوة الإرادة**: وهي تهيؤ القلب والعقل معاً بعزم للقيام بالعمل المرغوب فيه، أو الكف عما لا يرغب فيه، ويتجلى ذلك في جانب الفعل بالمبادرة بفعل كل خير وكل مستحسن قبل وجود الموانع، وسلوك مسلك الجد، والحزم، والنظام في الأعمال، وفي جانب الكف يتجلى في نهي النفس عن الهوى، وكبح جماح النفس، والحلم عند الغضب، وتلقي الأحداث بالصبر، وعدم الحزن على ما فات، يضم إلى ذلك كله التفاؤل والبعد عن الضيق والتشاؤم.

فجميع ملكات الإنسان وقواه تكون في خمول حتى تحركها الإرادة وتبعثها، فقوة عقل المفكر، وذكاء العامل، وقوة العضلات، كل هذه القوى لا أثر لها في الحياة ما لم تدفعها قوة الإرادة، وكلها لا قيمة لها ما لم تحولها الإرادة إلى عمل.

والمرء ذو الإرادة القوية يقدم على ما قصد مهما كلفه من المشاق، ولا ترده العقبات. وهذه الإرادة ـ بإذن الله ـ هي سرّ النجاح، وهي عنوان عظماء الرجال، فصاحبها يركب الصعب والذلول لتحقيق المطلوب، والأمر كله لله من قبل ومن بعد.

ومن عرف الشيخ ـ رحمه الله ـ لمس فيه من ذلك جوانب كثيرة وليست قوة الإرادة بالاستكبار أو التطلع إلى المناصب، والمنافسة عليها. والشيخ ـ رحمه الله ـ كان بعيداً عن ذلك، ولكنها كانت تأتي إليه تجرجر أذيالها، وفي ظني أنه لو امتدت به الحياة لكان له معها شأن أي شأن، ولكن الله اختاره إلى ما عنده بمنه وفضله.

٦ ـ **الاحتساب**: وهو ابتغاء الأجر من الله في كل ما يأتي العبد وما يذر، فيكون الاحتساب في عمل الطاعات، ويكون في الصبر على المكاره.

كما أن هنالك نوعين من الاحتساب دقيقين وهما:

ـ الاعتماد على الله معيناً وناصراً.

ـ وحسن التوكل عليه وهو من أدق أعمال القلوب.

والشيخ ـ رحمه الله ـ فيه من الخير وسمت الصالحين ما نحسب أنه قد استبطن هذا المعنى، والله حسيبه ولا نزكيه على الله.

٧ ـ **الإنصاف**: هو العدل في المعاملة قولاً وفعلاً، والإنصاف عزيز، وهو بين أهل العلم أشد عزة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن المعلوم أنه إذا وجد الإنصاف قلت دوافع الحسد، وزالت أسباب النفرة بين أهل العلم، ولكنها قد تستعر حينما يصل الخلاف إلى درجة التضاد، ولا يكون ذلك إلا إذا دخل النفوس الهوى، ومن ابتغى الحق وتحراه وتجرد له فسوف يجد نفسه منصفاً عدلاً، وسوف تنعطف عليه القلوب محبة وألفة وتعاوناً.

ولا أعرف أن الشيخ ـ رحمه الله ـ نازع أحداً من أقرانه، فضلاً عمن هو فوقه، بل كان يحب العلم، ويتحرى الحق، ويحرص على الفائدة أنى وجدها رحمه الله وأحسن إليه.

هذا إبراز لبعض صفات الشيخ وجوانب من خصائصه.

والحق أن الشيخ ـ رحمه الله ـ كان متميزاً بصفات كثيرة ولا أزكيه على الله، وليس المقام مقام حصر ولا استقصاء، ولكنها أسطر وشذرات تغني إشاراتها عن كثير من عباراتها، والمقصود التذكير مع قصد التأسي والاعتبار والاقتداء.

فللّه در الشيخ من معلم له تلاميذه ومحبوه، ولله دره من صاحب مؤلفات حسان ما بين كتاب، ورسالة، ومحاضرة، تشهد بعلو قدره، ودقة فهمه، وبعد غوره، وسداد فكره.

ولله دره كم أجاد وأفاد، وكشف عن دقائق الفقه، وأخرج من قواعده المثلى.

كم فات من الخير بوفاته، وكم من حسرة بفراقه.

وبعد: فلقد جفت الصحف، ورفعت الأقلام، وثبتت الأقدار في مستقرها، وبلغت الآجال مداها، بعد أن قطعت الأزمنة ما قدر لها ربها.

وما كان لهذه الأقدار أن تتخلف عن مواقعها، وقد قدرها الله بحكمته، وأجراها بإرادته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فأين المهرب وأين المفر، والحي لا تؤمن عليه الفتنة، فمن مات على السنة فهنيئاً فقد حاز النعمة، واقتحم العقبة، والله هو الخليفة في كل باق، والوارث لكل منتقل، وهو خير الوارثين.

وفي الختام فإن ما حصل على الشيخ من حزن وحسرة حين الفراق، وما ظهر على الناس من أسى لهو علامة خير، ودليل صلاح إن شاء الله من حب الأمة لعلمائها، والتفافها حولهم. وأهل العلم أهل لذلك فهم في الأرض كالنجوم في السماء، يهتدى بهم في الظلماء، ويقتدى بهم في العمياء، والحاجة لهم أشد من حاجة العطشى إلى الماء.

وإن من المخيف ما صح به الحديث أن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، وينتشر الجهل، وفسر ابن عباس رضي الله عنهما «ذهاب العلم بذهاب العلماء».

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يرحم الفقيد، وأن يسكنه فسيح جناته، وألا يحرمنا أجره ولا يفتنا بعده، وأن يغفر لنا وله. كما أسأله سبحانه أن يصلح عقبه، وأن يعوضهم خيراً وأن يجعل العلم، والخير، والصلاح فيهم جيلاً بعد جيل، وعقباً بعد عقب، إنه سميع مجيب وصلّى الله وسلم وبارك على خير خلقه نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وحرره

صالح بن عبدالله بن حميد

مكة المكرمة

١٤٢٣/١٢/١٥ هـ

تحقيق التوحيد

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله خير من أخلص لله الدين، وسدَّ كل طريق يوصل إلى الشرك وبلَّغ البلاغ المبين، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على هديهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون، اتقوا الله تعالى ربكم حق تقاته، وأخلصوا له الدين وحده ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

عباد الله: توحيد الله عزّ وجلّ، وإفراده بالعبادة وإخلاص الدين له وحده أعظم الواجبات على المكلفين، ما تقرب امرؤ إلى ربه بمثله، وبدونه لا تصح من العبد طاعة، ولا يتقبل منه عبادة، بل إن حاجة العباد إلى توحيد الله فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، فلا حياة للقلوب، ولا نعيم ولا طمأنينة للنفوس إلا بمعرفة ربها ومعبودها، بأسمائه وصفاته وأفعاله، وسعيها فيما يقربها إليه وحده دون سواه.

من أجل توحيد الله عزّ وجلّ وإخلاص الدين له خلقت الجن والإنس، وأُرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، ورفعت رايات الجهاد، وقامت سوق الجنة والنار، ونصبت الموازين، ونشرت الدواوين، وانقسم الناس إلى فريقين، مؤمنين وكفار، ومتقين وفجار.

أفضل الكلام كلمة الإخلاص لا إله إلا الله، ما تلفظ أحد بأفضل منها، هي قاعدة التوحيد وأصله، وعليها مدار الإيمان، وبها يتحقق الإسلام، لما تضمنته من النفي والإثبات نفيًا لكل آلهة دون الله، وإثباتًا لإلهية الحق وحده دون سواه.

ما عبد الرب جل جلاله بمثل إخلاص الدين له وتوحيده في المعرفة والإثبات، وفي القصد والطلب، وتحقيق ذلك يقتضي الإقرار بالربوبية للحق عز وجل في الخلق والرزق، والإماتة والإحياء، وانفراده بالتصرف في الكون وأن الأمر له وحده دون سواه ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

بتوحيد الله عزّ وجلّ يؤمن العبد بكل ما جاء في الكتاب والسنة من أسماء الله تعالى وصفاته الدالة على وحدانيته وعظمته، ووصفه سبحانه بكل ما ثبت له من صفات الجمال والكمال وصفًا يليق بجلاله وعظمته من غير تمثيل ولا تشبيه، ولا تكييف ولا تأويل، ولا تحريف ولا تعطيل كما قال عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، وقال عزّ شأنه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

توحيد الله عزّ وجلّ يستلزم الإقرار بالإلهية المطلقة له دون سواه، وإفراده بالطاعة، وصرف جميع أنواع العبادة له، إذ هو وحده المستحق أن يعبد، وأن يركع له ويسجد، وأن يدعى ويسأل، وأن يخاف ويرجى، وأن يستعان به ويستغاث، وإليه وحده الملجأ في الشدائد والكربات ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢]، فمن وحَّد الله تعالى في ربوبيته وإلهيته وفي أسمائه وصفاته فقد استكمل الإيمان، وعبد ربه حق عبادته.

أيها المسلمون: لقد بعث الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ كما بعث من قبله من المرسلين لإقامة التوحيد وإخلاص الدين لله، والقضاء على معالم الشرك والوثنية حتى لا يعبد إلا الله، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فقام صلوات الله وسلامه عليه بالدعوة إلى دين الله، وإخلاص العبودية له دون سواه، وكسّر الأصنام، وحطَّم الأوثان وأبطل جميع الآلهة

التي كانت تعبد من دون الله، ولم ينتقل عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى حتى أقام الله تعالى به الدين، وأرسى به قواعد التوحيد، وجدد به الملة الحنيفية.

غير أن من عظيم الأسى يا عباد الله أن بعضًا من المسلمين لمَّا طال عليهم الأمد، ضعف تحقيق التوحيد في نفوسهم، وسرت إلى قلوبهم شوائب لَوَّثت عقيدة التوحيد، وكَدَّرت صفاءها، وزعزعت أصولها، حتى صرفوا أنواعًا من العبادة، وصنوفًا من الطاعة لغير الله تعالى. يقصدون أصحاب القبور، وأضرحة الموتى، ويؤمون المشاهد والمقامات، ويعكفون عندها، ويتمسحون بأركانها وأعتابها، ويسألون أصحابها ما لا يسأل إلا الله عزّ وجلّ من قضاء الحوائج وتفريج الكربات، ورفع البأساء والضراء، ودفع البلاء، ويقدمون لها النذور ويذبحون لها القرابين، في صنوف من الغفلة عن الدين الحق، وضَرْب من ضروب الإشراك بالله إذ أن العبادات كلها لا يجوز أن تصرف لأحد سوى الله كائنًا من كان، لا لملك مُقرَّب، ولا لنبي مرسل، ولا لولي من الأولياء، أو صالح من الصلحاء، فقد قال الله تعالى مخاطبًا صفوة الخلق ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، وقال عزّ شأنه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

عباد الله: إن أعظم الأسباب التي أودت ببعض هذه الأمة إلى الوقوع في براثن الشرك والوثنية الغفلة عن حقيقة الدين الخالص وتعظيم الموتى، والبناء على القبور، واتخاذ المساجد والسرج عليها، والغلو في أصحابها، فذلك من أعظم وسائل الشرك وطرائقه، ومن أقوى مداخل الشيطان على بني الإنسان ليصدهم عن الإيمان الخالص بالله تعالى، ويوقعهم في حبائل الشرك ولوثات الوثنية، حتى ارتكس فيها بعض المسلمين على الرغم مما جاء عن رسول الهدى ﷺ من النهي البليغ عن ذلك، والوعيد الشديد لفاعليه باللعن والطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى.

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «لعنة

الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وروى أبو داود والترمذي وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك». وروى الإمام أحمد وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: (إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد).

وما فتىء أئمة الإسلام، وعلماؤه المخلصون في كل زمان ومكان، يحثون الأمة على الإيمان الصادق والتوحيد الخالص، ويحذرون من الوقوع في براثن الشرك ووسائله. وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركًا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله تعالى، فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ أن الصلاة عند القبور منهي عنها وأنه ﷺ لعن من اتخذها مساجد، فمن أعظم المحدثات، وأسباب الشرك الصلاة عندها، واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها».

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وما زال الشيطان يوحي إلى بعض الناس ويلقي إليهم: أن البناء والعكوف على القبور من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من مرتبة الدعاء عندها إلى مرتبة الدعاء بها، ثم لايزال بهم حتى ينقلهم إلى مرتبة دعائهم من دون الله، وسؤالهم الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبورهم أوثاناً تعلق عليها القناديل والستور، ويطاف بها وتُقَبَّل ويتمسح بها، ويذبح عندها، ثم يتطور إلى أن يدعوا الناس إلى عبادتها واتخاذها عيداً ومنسكاً».

فاتقوا الله عباد الله، وأخلصوا له الدين وحده ولتحذروا وسائل الشرك وطرائقه، ولتعبدوا الله تعالى حق عبادته ولا تشركوا به شيئًا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ

مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصًا له الدين، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، وهدى للناس أجمعين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله: إن أهم ما عُني به العلماء المخلصون، والدعاة الناصحون بيان حقيقة الدين، والدعوة إلى إخلاص العبادة والطاعة لله رب العالمين، والتحذير من وسائل الشرك وشوائب الوثنية من البدع والمحدثات في الدين، فإنه لن يتحقق لأي دعوة من الدعوات الإسلامية القبول، ولن يحصل بها النفع العام سواء أكانت على مستوى الأفراد أو الجماعات، إلا حينما تُعنى بهذا الأصل العظيم الذي قام عليه دين الإسلام، وهو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وإفراده بالطاعة والإنابة، وتطهير الأذهان مما علق بها من شوائب الشرك والوثنية، وأن تجعل ذلك أول غاياتها، وأعظم مقاصدها ونهاية آمالها حتى يعبد الله وحده، ويخلص له الدين ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝ ﴾ [البينة: ٥].

فلتتقوا الله أيها الدعاة إلى الله، ولتعنوا ببيان أصل الإسلام وحقيقة الإيمان، ودعوة الناس كافة إليه، فلن تجتمعَ القلوب، وتتآلفَ النفوس، وتتحدَ كلمةُ الأمة إلا تحت راية التوحيد وكلمة الإخلاص.

وسطية الإسلام واعتدال أحكامه وتشريعاته

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه العظمى، وآلائه الكبرى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، ترك أمته على المحجة البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الأكرمين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله تعالى حق التقوى، فإن تقوى الله عزّ وجلّ هي الحصنُ الحصين من المخاوف، والدرعُ الواقي من المهالك، من اتصف بها حقاً وصدقاً، وعمل بمقتضاها طاعة لله وإخلاصاً، جعل الله له فرقاناً يُفرِّقُ به بين الهدى والضلال، والغي والرشاد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢٩﴾ [الأنفال: ٢٩].

عباد الله: إن من أمارة تحقيق التقوى، والاتصاف بها ظاهراً وباطناً: التمسكُ بكتاب الله الكريم، والسيرُ على هدى الرسول الأمين صلوات الله وسلامه عليه، وما كان عليه صحابته الأكرمون في الاعتقاد والعمل، فلقد كانوا رضوان الله عليهم أجمعين على الصراط المستقيم والهدي القويم، كما قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «أولئك أصحاب محمد ﷺ أبرُّ هذه الأمة قلوباً وأعمقُها علماً، وأقلُّها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم».

ولقد سار مَن بعدهم من سلف هذه الأمة من التابعين، وأئمةِ الإسلام

المشهورين، وعلمائه البصيرين عبر عصور الإسلام المختلفة على ذلك الهدي القويم، والمسلك الرشيد الذي هدى إليه القرآن الكريم، وأرشد إليه رسول الهدى ﷺ، من غير تفريط أو تقصير، أو إفراط أو غلو، فإن كلا هذين المسلكين غيرُ سديد، بل انحراف عن جادة الحق والصواب، ذلك أن منهج الإسلام الصحيح يقوم على الوسطية والاعتدال، وتلك فضيلة تميزت بها شريعة الإسلام الحنيفية السمحة، وهو الحق والعدل الذي يجب أن يسلك، فلا جفاء للدين ولا غلو فيه.

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: «فما أَمَرَ الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه، والغالي فيه، كالوادي بين الجبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيعٌ له، فالغالي فيه مضيعٌ له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد».

أيها المسلمون: إن دين الإسلام، هو دينُ الوسطية والاعتدال، بريء من الانحراف وأهله، سواءٌ الجانح منهم إلى التفريط والتقصير، أو الجانح إلى الإفراط والغلو، فلقد ذم الله عزّ وجلّ المعرضين عن الحق، المتبعين للأهواء والشهوات، وتوعدهم سبحانه بقوله: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٧]، وقال عز وشأنه: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩]، كما ذم الله عزّ وجلّ الغالين في الدين، المجاوزين للحدود فقال سبحانه: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وجاء التنزيل الكريم بالأمر بالاستقامة على طاعة الله، ولزوم أمره، والتحذير من الطغيان والغلو والزيادة، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود: ١١٢].

فهديُ الإسلام بعيدٌ عن الغلو والتنطع، وإن حمل عليه رغبةٌ في الخير ومحبة

للدين، إلا أنه عمل غير رشيد، ومنهج غير سديد، لمخالفته الكتاب والسنة، وهما الميزان لصحة المنهج وسلامة المعتقد، وصواب العمل، كما قال عليه الصلاة والسلام: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتابَ الله وسنتي».

وقد جاء التحذير من الغلو في الدين والتنطع فيه مقروناً بالوعيد الشديد لفاعله، فقد روى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون»، قال الإمام النووي في بيان معنى الحديث: «أي المتعمقون، المغالون المجاوزون الحدودَ في أقوالهم وأفعالهم».

وروى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو».

عباد الله: إن المستقرىء للتاريخ يدرك أنه ما حصل من انحرافات عقدية أو عملية من بعض الأفراد، والطوائف الإسلامية منذ العصور الإسلامية الأولى إلى وقتنا هذا، لا سيما ما حصل من الخوارج ومن تأثر بهم، وما كان لتلك المعتقدات المخالفة لمنهج الحق من الأثر السيء في الأمة، إلا بسبب الغلو في الدين، والتجاوز لحدوده، وعدم فهم النصوص الشرعية على الوجه الصحيح الذي فهمه سلفُ هذه الأمة، ولقد وصف رسول الله ﷺ الخوارج بكثرة العبادة، والمبالغة في الطاعة إلا أن هذا لم يكن دليلاً على صحة منهجهم، وسلامة معتقدهم، بل أمر النبي ﷺ بقتالهم درءاً للأمة عن أضرارهم.

روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في وصف الخوارج: «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة».

قال الإمام النووي تعليقاً على قوله ﷺ: «يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم»، المراد: أنهم ليس لهم فيه حظٌ إلا مروره على ألسنتهم، فلا يصل إلى حلوقهم فضلاً عن أن يصل إلى قلوبهم، فالغلو في الديانة هو الذي أوردهم المهالك، وأوقعهم في

الردى، وألحق بالأمة أضراراً عظمى، ومفاسد كبرى، أشار إليها النبي ﷺ بقوله في وصفهم: «يقتلون أهل الإسلام، ويَدَعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية». رواه مسلم في صحيحه.

إن هذا الانحراف العقدي من أكبر الأسباب التي أدت إلى نشوء الفتن بين المسلمين عبر عصور الإسلام المختلفة، وهو الذي بدد وحدتهم، وأودى بالأمة إلى التفرق والاختلاف، والنزاع والشقاق، وعدم الوئام بين القادة والشعوب، حتى تسلط عليهم الأعداء الذين ألحقوا بهم أسوأ الأضرار، وأنكى الأخطار، لا سيما ما يحدث في عصرنا الحاضر من تسلط قوى البغي والعدوان على الإسلام وأهله، فكم من شعوب مسلمة أُزهقت أرواحُها!، واستبيحت حرماتُها!، وشُرِّدَت عن أوطانها!، وأذيقت أنواعاً من الظلم، وأصنافاً من الاضطهاد في أنحاء مختلفة من المعمورة دون أن يكون للمسلمين ردودُ فعل مؤثرة رغم تلك الأحداث المؤلمة، والمآسي المحزنة على الإسلام وأهله.

وإنه لا منقذ لأمة الإسلام مما هي فيه من ضعف وهوان، وتفرقٍ واختلاف إلا بالعودة الصادقة إلى الإسلام، واستلهام عقائده الصحيحة، ومبادئه الحقة، على مستوى الأفراد والشعوب والحكومات، حتى تجتمع كلمة الأمة، فتقوى بذلك شوكتُها، ويكون حقها بين الأمم محفوظاً، وجانبها بين الدول مرهوباً: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

فاتقوا الله أمة الإسلام، واعتصموا بحبل الله المتين، وتمسكوا بهدي نبيكم الأمين، ففيهما العصمة من الضلالة، والسلامة من الغواية.

واتقوا الله يا شباب الإسلام في أنفسكم وأمتكم، واسلكوا سبيل المتقين، وانهجوا نهج الصالحين الذين ساروا على الصراط المستقيم، والهدي القويم، دون جنوح إلى الإفراط أو التفريط، واستعينوا على فهم منهج السلف الصالح بأخذ العلم من منابعه الصافية، ومصادره المعتمدة لأئمة الإسلام المعتبرين، والتلقي للعلوم الشرعية عن العلماء الراسخين، والفقهاء البصيرين الذين عُرفوا بالعلم النافع والعلم الصالح، ووفقوا لسلامة المنهج وصحة المعتقد، واحذروا الأفكار المنحرفة،

والاتجاهات المشبوهة، وإن تظاهر أصحابها بمظهر النصح وإرادة الخير، فالخير كل الخير في اتباع ما كان عليه السلف الصالح من الاعتقاد والعمل، ومن سار على هديهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤، ٢٥].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه سبحانه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله تعالى لعلكم تفلحون، والتزموا بشرع الله ودينه، واحذروا الإعراضَ عن طاعة الله عزّ وجلّ والتهاونَ والتقصيرَ فيما أوجب عليكم من الواجبات، وعليكم بالاستقامة على نهج الحق والهدى، دون مبالغة أو تشديد، فإن التشديد على النفس، والمبالغة والتنطع في الاعتقاد أو العمل ليس مقياساً لصحة الديانة، وسلامة المعتقد، بل إن ذلك ضربٌ من ضروب الغلو في الدين، نهى عنه الدين الحنيف، وأبان عليه الصلاة والسلام أن عاقبة صاحبهِ إلى الانقطاع، وأنه ما من مشادٌ لهذا الدين إلا ويُغلب ويَنقطع.

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إنَّ هذا الدين يسرٌ، ولن يشادَّ الدين أحدٌ إلا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا واستعينوا بالغَدْوة والروحة وشيء من الدلجة».

قال الإمام الحافظ ابن حجر: «والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية، ويترك الرفق إلا عجز وانقطع».

وقال الإمام ابن رجب: «والتسديد العمل بالسداد، وهو القصد والتوسط في العبادة، فلا يُقصِّر فيما أمر به، ولا يتحمل منها ما لا يطيقه».

فاتقوا الله عباد الله، والتزموا الاستقامة على نهج الله القويم والتمسك بهدي

النبي الكريم ﷺ، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هدي رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وعليكم بالجماعة، فإنَّ يد الله مع الجماعة ومن شَذَّ شَذَّ في النار.

كمال شريعة الإسلام والتحذير من أهل الأهواء[(١)]

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وشرع لنا أفضل الشرائع والأحكام، أحمده سبحانه وأشكره على آلائه العظام، ونعمه الجسام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلام، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله سيد الأنام، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام، ومن سار على هديهم واقتفى أثرهم إلى يوم المعاد.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله تعالى ربكم لعلكم تفلحون، فإن تقواه سبحانه هي الحصن الحصين من المخاوف والدرع الواقي من المهالك، وهي السبيل إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

عباد الله: لقد خلق الحق سبحانه وتعالى الخلق لعبادته، وأمرهم بطاعته، وبعث إليهم رسله مبشرين ومنذرين، ليخرجوهم من الظلمات إلى النور، وليهدوهم إلى سواء السبيل، حتى انتظم سلكهم، واكتمل عقدهم ببعثة سيد المرسلين، وإمام المتقين صلوات الله وسلامه عليه، فأكمل الله تعالى به الدين، وأتم به النعمة، وأقام به الحجة على الخلق أجمعين ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ولم ينتقل عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى حتى ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فجاءت رسالته عليه الصلاة والسلام خاتمة للرسالات السماوية، ومكملة للشرائع الإلهية، كاملة في أحكامها وتشريعاتها، قد بلغت الغاية في العدالة، والنهاية في الفضائل والأخلاق، واشتملت على أرقى النظم والتشريعات الصالحة لكل زمان ومكان، فجاءت بحمد الله

(١) أُلقيت خلال انعقاد مؤتمر المرأة ببكين، عام: ١٤١٦ هـ.

وفضله محققة للمصالح البشرية، ودارئة عنها المفاسد والأضرار، فدين الإسلام هو الدين الحق الذي هيمن على الأديان السابقة، ونسخ الشرائع السالفة، ولن يقبل الله من أحد ديناً سواه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

وإن الأمة الإسلامية متى استمسكت بهذا الدين القويم، وعملت بأحكامه، وطبقت شرائعه وحدوده في جميع الشئون وعلى كل الأحوال والظروف، وعلى مستوى الأفراد والحكومات والشعوب سعدت أكمل سعادة، وبلغت في العز أعلاه، ورقت في المجد ذراه، ووصلت إلى ما تصبوا إليه من السيادة والتمكين، والنصر المبين، كما كانت عليه أمتنا الإسلامية في عصورها الزاهية، وقرونها المفضلة حيث استطاعت أن تكسب المعارك التي خاضتها مع الأعداء، وأن تستولي على الكثير من البلاد شرقاً وغرباً في زمن قياسي، مع ما كانت عليه من قلة في العدد ونقص في العتاد، وما ذاك إلا بفضل الله تعالى ثم بتمسكها بدينها حقاً وصدقاً، واستبسالها في رفع راية الإسلام وإعلاء كلمة الله، وما حققته للبشرية من معالم الخير والبر، وما كانت عليه من نشر ألوية الفضيلة والأخلاق، وضمان العدل والإحسان لبني الإنسان، حتى أصبحت خير الأمم شأنا، وأقواها نفوذاً، وأعزّها سلطانا، وتحقق لها وعد الحق سبحانه بقوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور: ٥٥]، ولكن حينما ضعف تمسك المسلمين بدينهم في أعقاب الزمن، وأعجبوا بما عليه الأعداء، وساروا خلف ركابهم، وتنكر كثير من أبناء الإسلام لدينهم أصبحت النكبة على الإسلام نكبة عظمى، حيث تسلط عليهم الأعداء فأذاقوهم ألواناً من الذل وأصنافاً من الاستعباد، وألحقوا بهم أعظم الأضرار، وأشد الأخطار كما هو واقع الأمة الإسلامية المؤلم اليوم.

أيها المسلمون: إن أعداء الإسلام كانوا ولا يزالون يتربصون بالمسلمين الدوائر، يكيدون لهم المكائد، ومعاركهم معه منذ فجر التاريخ الإسلامي دائرة، لا

يألون جهداً، ولا يدخرون وسعاً في الوقيعة بالمسلمين والقضاء على الإسلام، وإضعاف هدايته وإطفاء نوره ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢].

وها هم اليوم يعاودون كَرَّة من كراتهم السافرة، وحرباً من حروبهم المعلنة ضد الفضيلة والمروءة، ويعلنون عبر مظلات عالمية الدعوة إلى الرذيلة، وفتح أبواب الفواحش والمنكرات، وخلع جلباب الحشمة والحياء، وتقويض الأسر، والخروج على القيم الإنسانية، والأخلاق البشرية السوية، بدعوى الحرية الزائفة، وإنصاف المرأة ومنحها حريتها، بما يهدد العالم ببلاء عظيم وفساد عريض.

إن ما يدعون إليه لهو في الواقع إهدار لكرامة الإنسان التي أكرمه الحق بها، وفضَّله على كثير ممن خلق تفضيلاً.

إنه تحطيم للقيم الدينية والاجتماعية والخلقية، يودي بالبشرية إلى التردي في حضيض الرذائل والتلوث بالأمراض الخطيرة.

إنه قطعٌ لأواصر المودة في المجتمعات، وقضاء على الروابط الأسرية، والصلات الاجتماعية السوية التي لا قوام للبشرية إلا بها، فهل يتحقق تهيئة نشء صالح وجيل عامل ينهض بالأمة إلا في ظلال أسرة حانية كريمة.

إن ما يدعون إليه قضاء على المرأة وسلب لشرفها وعفتها لتكون لعبة في أيدي العابثين وشرار الخلق المفسدين ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الشعراء: ١٥٢]، وفيه حرمان للمرأة من وضعها الطبيعي الذي أراده الشارع لها وهي أن تكون أماً حانية راعية لأجيال صالحة.

وإنَّ ما يدعون إليه فضلاً عن مخالفته للشرائع السماوية لمما تأباه العقول، وتشمئز منه النفوس، وتنفر عنه الطباع السوية، وتأنف منه الفطر السليمة ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

أيها المسلمون: إنه ما سعدت أمة، ولا أكرم الرجل والمرأة بمثل ما جاءت به تعاليم الشريعة الإسلامية التي شرعها الحكيم الخبير الذي خلق الخلق، وركب فيهم

الطبائع والغرائز، وشرع لكل من الجنسين من الأحكام، وجعل له من الخصائص ما يتلاءم وتكوينه الخَلْقي والنفسي، فهو سبحانه العليم بما فيه صلاح كل منهما وإسعاده في المعاش وفي المعاد ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٤].

عجباً لأولئك أعداءِ الإسلام، بل أعداء الفضيلة، أيريدون من أمة دستورها القرآن، ونبراسها هدي سيد الأنام، أن تلعب بها الأهواء المنحرفة، وتنقاد للدعوات المضللة، وقد هُدِيت بفضل الله ونعمته إلى أعدل الشرائع والأحكام، وأرقى الفضائل والأخلاق، أيريدون من أمة الإسلام أن تكون كما هم عليه من تفسخ خُلُقي، وتشتت أسري، وتفكك اجتماعي، لا دين يزعهم، ولا مروءة تمنعهم، ولا حياء يردعهم.

أيريدون للمجتمع البشري أن ينقلب إلى مجتمع يسوده الفسوق والعصيان، ويتواطأ أفراده على الإثم والعدوان، ويتمردوا على القيم والمكارم والأخلاق اتباعاً للأهواء وانقياداً للشهوات ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠]، وقد جاء التنزيل الكريم بالتحذير من اتباع الأهواء، والتنديد به، وبيان ما يجره من أضرار عظمى، ومفاسد كبرى ليس على البشرية فحسب، بل في الكون كله، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٧١]، وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [النساء: ٢٧].

إن على أمة الإسلام من القادة والعلماء والدعاة، وحملة الأقلام والمفكرين، والهيئات والمنظمات الإسلامية أن يتصدوا لتلك الدعوات المضللة، والأهواء المنحرفة، والمؤامرات الماكرة التي تحاك ضد الإسلام وأهله، وأن يقفوا في وجه الباطل وأعدائه بشتى الوسائل، وعبر كل القنوات، حماية للدين، ورعاية للفضيلة، وحفاظاً على الأمة من كيد الكائدين، وعبث المفسدين، قياماً بالواجب، وأداءً للأمانة، فإن الأمر خطير، والمسؤولية جسيمة، والله عزَّ وجل سائل كلَّ راع عن رعيته، وكلٌّ مسؤولٌ عن أمانته.

فاتقوا الله أيها المسلمون واستمسكوا بدينكم، واعملوا على نصرته، والذود عن حياضه، وإعلاء كلمته، وافرحوا بهدايتكم إليه ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٨].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الإله الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، وهدى للناس أجمعين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه السادة الأكرمين، ومن سار على هديهم وسلك سبيلهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله: إن العالم الإسلامي ليعيش في هذا الزمن في بلاء وامتحان لم يسبق لهما مثيل فيما مضى من العصور، فهو في ابتلاء مع أعدائه الحاقدين عليه، في ابتلاء مع أبنائه الجاهلين به، حتى أصبح الإسلام مهدداً في كثير من دياره، لا من أعدائه فحسب، بل حتى من بعض أبنائه في مختلف الأوطان، بما تسرب إلى قلوبهم وعقولهم من شبهات الأعداء، وما استولى على أفكارهم من عوامل الهزيمة والاستسلام، ولولا ما أصيب به المسلمون في عصوره المتأخرة من بلبلة فكرية وفوضى ومفاسد أخلاقية، ونزاعات سياسية لما بلغت الأعداء من المسلمين ما بلغت حتى شَقّت صفوفهم، وبددت وحدتهم، واقتطعت جزءاً من ديارهم، واستولت على كثير من خيراتهم.

وإنه لا مُنقِذ لأمة الإسلام ولا خلاص لها مما هي فيه من فتن مُشْرِئبة، وأهواء متلاطمة، ومكائد أعداء حاقدة، إلا بالعودة إلى الإسلام الصحيح، واستلهام مبادئه الحقة، واتباع طرائقه وشرائعه النقية، فلن تصل الأمة إلى بر النجاة، ومرفأ الأمان إلا

بذلك، ولن يتحقق لها العزة والكرامة والأمن والسيادة إلا بتطبيق شرع الله على عباد الله، والحكم بينهم بما أنزل الله، ونبذ ما خالف ذلك من قوانين وضعية، ونُظُم بشرية مخالفة لشرع الله القويم ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

الاعتصام بهدي القرآن

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ ﴾ [الكهف: ١]، أنزله كتابًا مباركًا، معجزًا بيانه، شاملاً تبيانه، ساطعًا برهانه، أحمده سبحانه وأشكره حمد المستزيد من إفضاله وإنعامه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وسع كل شيء رحمة وعلمًا، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أرسله تعالى بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه البررة الأتقياء والسادة الحنفاء، ومن سار على هديهم واقتفى، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله تعالى حق التقوى، فإن بها العصمة من الضلالة، والسلامة من الغواية، وهي السبيل إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

عباد الله: نعمة عظمى تتضاءل أمامها جميع النعم، وتقصر دونها الفضائل والمنن، تَفَضَّل بها المولى جلّ وعلا على العباد، وأكرم بها الثقلين الإنس والجان، إنها نعمة إنزال القرآن الكريم على سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه، تلكم النعمة العظمى، والمعجزة الكبرى التي أنقذ الله تعالى بها البشرية من دركات الظلام، ودياجير الشكوك والأوهام، نزل هذا القرآن يحمل النور والهدى، والرحمة والشفاء، نورًا ساطعًا يبدد الظلمات والضلالات، وبلسمًا شافيًا من أدواء الشبهات والشهوات، فهدى الله به من الضلالة، وبَصَّر به من العمى، وفتح به قلوبًا غلفًا، وأعينًا عميًا، وآذانًا صمًا ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦ ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، أنزله تعالى بلسان عربي مبين، بلغ الغاية

في الفصاحة، والنهاية في البلاغة، لا يرقى إليه كلام البشر ولا تحيط بأسراره العقول والفكر ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥].

تتجلى في كل وقت أسراره وحِكَمه، وتسطع في كل أفق أنواره، وتظهر في كل زمان معجزاته وآياته ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣].

هدى إلى أقوم المسالك، وأعدل المناهج، واشتمل على كل ما يحتاج إليه البشر في العقائد والمعاملات، وفي الأخلاق والآداب، وفي السياسة والاجتماع، فَصَّل الأحكام، وأبان الحقوق، وشرع الحدود، وهدى للتي هي أقوم في جميع الشؤون ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٩]، أمر فيه عزّ وجلّ وزجر، وبشر وأنذر، وذكر المواعظ ليُتذكَّر، وقص أحوال الماضين ليُعتبر، وضرب الأمثال ليُتدبر، وصفه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وصف الخبير بآياته ودلالاته، العالم بحكمه وأسراره، فقال رضي الله عنه: «كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ [الجن: ١، ٢]، من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجِر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم».

قيض الله عزّ وجلّ لهذا القرآن رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، تلقوه عن الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه غضًا طريًا، مشافهة من غير واسطة، فآمنوا به حق الإيمان واتبعوه وطبقوا تعاليمه، والتزموا أحكامه، وكانوا متفاعلين معه في أمره ونهيه، ووعده ووعيده، ومواعظه وأمثاله، وانعكست أخلاقه وآدابه على تصرفاتهم وسلوكهم حتى كانوا صورة حية لهداية القرآن، متأثرين في ذلك

برسول الله ﷺ الذي وصفته عائشة رضي الله عنها بقولها: «كان خُلقه القرآن» فكانوا رضوان الله عليهم يصدرون في كل أحوالهم عن توجيه القرآن ودلالاته، حتى أرهف ذلك حسهم، وهذب أخلاقهم، وصفى وجدانهم، وبعث في نفوسهم الهمم والعزائم لِبَثِّ هداية القرآن، ونشر أنواره في الآفاق.

فانطلقوا في أرجاء الأرض يدعون إلى دين الحق، مستهدفين من يحول بينهم وبين ذلك من كل جبار عنيد أو شيطان مريد، حتى زلزلوا بقوة إيمانهم وصدق عزائمهم عروش الأكاسرة والقياصرة، وحرروا الشعوب المستضعفة المقهورة، وأبدلوها بالذل عزًا والخوف أمنًا، وبالاستكانة إباء، ثم سار على هديهم من جاء بعدهم في عصور الإسلام الزاهية حتى امتدت دولة الإسلام الكبرى، واتسعت رقعتها شرقًا وغربًا في زمن قياسي بفضل الإيمان بالقرآن، ورفع رايته في الآفاق حتى أصبح أهل الإسلام قادة العالم في العلم والحضارة والعزة والكرامة، وصارت لهم الهيمنة والسيادة على العالم قرونًا متطاولة.

ولكن حين طال الأمد وقست القلوب، خلف في أعقاب هذا الزمن خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وتعاموا عن هداية القرآن، وهجروا تلاوته، والعمل به، وانقادوا وراء التقليد للأعداء والتبعية لهم حتى بلغ الأمر إلى ترك الحكم بما أنزل الله في كثير من بلاد الإسلام، واستبدال ذلك بقوانين وضعية وأنظمة بشرية، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٥٠].

ولقد بلغ من الانحراف عن هدي القرآن أنه إذا تلي على كثير من المسلمين أو ذكروا بآياته خروا عليها صمًا وعميانًا، واستعاضوا عن سماع القرآن بأصوات القيان ومزامير الشيطان، وقصرت عند كثير منهم تلاوته عند حدوث المصائب، وقد تفتتح به البرامج والاحتفالات، وبه تختتم، وما يدور بين الافتتاح والاختتام معظمه مناهض لهدي القرآن، حتى صدق على كثير منهم قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٠].

فلما صار واقع كثير من المسلمين كذلك أصبحت النكبة على أهل الإسلام نكبة عظمى، حيث تمكن الأعداء من التحكم في كثير من شؤون المسلمين السياسية

والاقتصادية وغيرها بما يخدم مصالح أولئك الأعداء، ويحقق أهدافهم، حتى استطاعوا الاستيلاء على كثير من مقدرات المسلمين، والاحتلال لبعض بلادهم، والإيقاع بأهلها صنوفًا من العذاب، وألوانًا من الاضطهاد، كما هو حال إخواننا في الأرض المباركة فلسطين منذ نصف قرن من الزمان، وحال إخوان لنا في بلاد أخرى وأصقاع شتى فلا حول ولا قوة إلا بالله وهو المستعان على القوم الظالمين.

فهل من عودة صادقة أيها المسلمون إلى استلهام هدي القرآن الكريم، والتمسك بحبل الله المتين، والسير على صراط الله القويم الذي لا يضل سالكه؛ لأنه طريق واضح لا غموض فيه، ومستقيم لا التواء فيه ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فاتقوا الله أمة الإسلام، وتمسكوا بهذا القرآن الكريم والذكر الحكيم الذي هو سر عزِّكم، ومصدر فخرِكم، وسبيلُ سعادتكم، اعملوا به مخلصين، وارفعوا رايته مغتبطين، وحكِّموه في جميع الشؤون، وربُّوا عليه الناشئة النابتة، والأجيال الصاعدة، حتى يسلكوا سبل الهدى والرشاد، ويقتفوا أثر الصالحين الأبرار، ليحققوا لأنفسهم السعادة في الدنيا والآخرة، ولأمة الإسلام ما تصبو إليه من تقدم ورقي وعزة وسعادة، ورفعة وسيادة.

حقق الله ذلك وأقر أعينَ المؤمنين باعتصام أمة الإسلام بكتاب الله الكريم، والسير على خطى السلف الصالحين، إنه تعالى خير مسؤول وأعظم مأمول.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الإله الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بكتاب ربكم، وافرحوا بهدايتكم إليه، واحذروا هجره والإعراض عنه، فإن ذلك من أكبر أسباب الزيغ والضلال، والذل والهوان، فإنه ما أصيبت أمة الإسلام فيما أصيبت به من محن ورزايا في هذه العصور المتأخرة إلا حين قلت عنايتها بكتاب ربها، وضعف تأثيره في نفوس كثير من أبنائها، حتى نشأت ناشئة من بني الإسلام لا تعرف من الإسلام إلا اسمه، ولا من الدين إلا رسمه، وحتى تسرب إلى عقول بعض بني الإسلام ما يبثه الأعداء من أفكار مشبوهة، واتجاهات مضللة، ودعوات منحرفة، يتلقفها بعض أهل الأهواء والشهوات ممن ضعف فيهم الإيمان، وقل حظهم من هداية القرآن، فأخذوا يجاهرون بتلك الأفكار والدعوات وينادون بها، ويدعون إليها غير عابئين بخطورتها، ولا مبالين بسوء عواقبها، رغم مخالفتها لهدي القرآن وتعاليم الإسلام ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤].

فاتقوا الله عباد الله، واعتصموا بهدي القرآن، واحذروا كل ما خالف ذلك من أفكار وافدة ودعوات منحرفة، وليتق الله تعالى أصحابُ تلك الدعوات، وليحذروا ما

هم عليه من مسالك منحرفة مخالفة لمنهج الحق والهدى، فلقد توعد الله عز وجل المخالفين لأمره بقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور: ٦٣].

الحث على تحقيق العدل

الحمد لله الذي أقام بالعدل نظام ملكه، وثَبَّتَ به أركان شريعته، وجعله دعامة السلام، وسبيل السعادة بين الأنام، أحمده سبحانه وأشكره على جزيل الفضل والإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، يجازي على العدل بِرّاً وإحساناً، وعلى الظلم والجَور عذاباً وهواناً، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خير من رفع للعدل مناراً، وأعلى له شعاراً، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى ربكم لعلكم تفلحون، فإن تقواه سبحانه زاد المؤمنين، وشعار الصالحين، وسبيل السعادة في الحياتين، إنها تقود صاحبها إلى الخير والفضيلة، وتحمله على إقامة الحق والعدل الذي قامت به السموات والأرض، فالعدل أساس صلاح الأمة، وسعادة المجتمع، فما سادت أمة إلا بالعدل، إذ هو نظامُ الوجود، وقاعدةُ الحياة الدنيا، وركنها الأقوى، به انتظام حياة الأمم والشعوب، وضمانُ الحقوق، واطمئنانُ النفوس، وبه ينعم العباد، وتسعد البلاد، ويعمُّ الخير والرخاء، ويسود الأمن والاطمئنان، وتحل الألفة والمودة بين الأنام، فما أعظم أثرَه، وما أجل نفعَه، ولذا أمر الحقُّ سبحانه بإقامته وتحقيقه على المستوى العام والخاص، على كل حال وفي كل مجال، يقول عزّ وجلّ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال عزّ شأنه: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: ٩]، فحق على كل مسلم موقنٍ بلقاء ربه أن يتصف بالعدل ويحققه في خاصة نفسه، ومع غيره.

فَعَدْلُه في حق نفسه أن يحملها على الصلاح والاستقامة، والسيرَ بها على نهج الحق والهداية، وحفظها عن الوقوع في المآثم، والتردي في أوضار الفواحش والرذيلة، والعمل على تزكيتها بالإيمان وصالح الأعمال على سنن المتقين، ونهج الصالحين، ويسلك العدل الذي هو وسط بين طرفين ذميمين، فلا غلو ولا تقصير، ولا إفراط ولا تفريط، فالغلو جور، والتقصير ظلم، والحق والعدل وسط بين هذين المسلكين ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود: ١١٢]، أما العدل مع الغير فيتحقق بإعطاء كل ذي حق حقه بوحي من شرع الله القويم، عدل لا يميلُ مع الأهواء، ولا يتأثر بمودة أو بغضاء ﴿ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [النساء: ١٣٥]، ويقول عزّ وجلّ: ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة: ٨]، وقال بعض أهل الحكمة: «العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق، ونصبه للحق، فلا تخالفْه في ميزانه، ولا تعارضْه في سلطانه، واستعن على العدل بخلَّتين: قلةِ الطمع، وكثرةِ الورع».

ويعظم أمر العدل يا عباد الله، ويجل شأنه على قدر المسؤولية، وعظم الأمانة، فعلى ولاة الأمور من العدل ما ليس على غيرهم، لما حُمِّلوا من أمانةٍ عظمى، ومسؤولية كبرى، فمن العدل الواجب عليهم إقامةُ شرع الله ودِينه في البلاد وعلى العباد، والحكمُ بما أنزل الله، وتنفيذُ أحكامه وحدوده، وتأمينُ البلاد من عدوان المعتدين، وقطع دابر الفساد والمفسدين، ورعايةُ مصالح الأمة، والتفقدُ لأحوالها، والسعيُ بما يُسعِدُ العباد في المعاش وفي المعاد، ويحقق لهم الخير والاستقرار، وينشرُ الأمنَ والاطمئنانَ في البلاد، والنهوضُ بها في كل مجالٍ من مجالات الحياة، بما يعلي شأنها ويُعزِّزُ كيانها.

وإنَّ على من دون ولاة الأمور من ذوي الولايات الخاصة من القضاة والأمراء على البلدان، والوزراء وكل من كلف بعمل أو أنيط به مصلحة من مصالح البلاد والعباد: أن يحقق العدل ويلتزم به في حدود عمله، وفي دائرة اختصاصه، فإنما تستقيم أحوال العباد، وتنتظم أمور البلاد بالسعي في تحقيق ذلك بكل صدق وإخلاص، وعدل وإنصاف.

فإن العبء الذي وضعه الإسلام على عاتق من ولي أمراً من أمور المسلمين لجسيم، غير أنه بقدر القيام به يكون له عند الله تعالى مقام رفيع، وعند الناس شأن كبير، فلقد أعدَّ الله عزّ وجلّ للولاة المقسطين جزاءً عظيماً في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

ففي الدنيا يحفظهم الحق سبحانه بحفظه ويكلؤهم بعنايته من كيد الكائدين وشر الأعداء الحاقدين ويمكِّنُ لهم في الأرض، ويضعُ لهم القبول عند الخلق، أما في الآخرة فلهم الفضل العظيم، والنعيم المقيم في جوار الرب الكريم.

فقد روى الطبراني بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «يوم من إمام عادل أفضلُ من عبادة ستين سنة، وحدٌّ يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين صباحاً»، وروى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»، وعدَّ منهم: (الإمامَ العادل).

وهذا الفضل العظيم إنما يحصل لولاة العدل الذين يعملون بالحق، ويقومون على الرعية بالقسط.

أما من ظلم وطغى وبغى، وأعرض عن حكم الله وشرعه، وخان أمته، ولم يحقق العدل في رعيته، فقد جاء الوعيد الشديد في حقه على لسان رسول الهدى ﷺ بقوله: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة». رواه البخاري ومسلم، وفي رواية له: «ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة».

أما الرعية يا عباد الله، فمن العدل الواجب عليهم أن يتعاونوا مع ولاة الأمور ونوابهم على الأعمال، في تحقيق العدل ورفع لوائه، وإسداء النصح لهم ومحبة الخير لهم، والصدق معهم، والسمع والطاعة لهم بالمعروف، حفاظاً على وحدة الأمة، وحماية لها عن التفرق والاختلاف، والنزاع والشقاق الذي قد يودي بالأمة إلى شر عظيم، وفساد عريض، روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

ولقد درج سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الإسلام المتبوعين على هذا المعتقد الحق، وما خالف في ذلك مخالف إلا لهوى في نفسه أو انحراف في معتقده.

أيها المسلمون: إن من أنواع العدل وضروبه مما جاء الشرع القويم بالتأكيد على رعايته: العدل في حق الأسرة، لأنها اللبنة الأولى للمجتمع، وبصلاحها وسعادتها، يصلح المجتمع ويسعد.

فواجب رب الأسرة تحقيقُ العدل بين أفراد الأسرة، والمساواةُ بين الأولاد في المعاملة، وفي العطايا والهبات، وأن لا يُفَضِّل ذَكراً على أنثى، ولا كبيراً على صغير، بل يعاملهم بالعدل والإحسان على حد سواء، فقد روى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: (تصدق عَليَّ أبي ببعض ماله فقالت أمي: لا أرضى حتى يشهد رسول الله ﷺ، فانطلق أبي إلى رسول الله ﷺ يُشهِدُه على صدقتي، فقال له رسول الله ﷺ: أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا، فقال عليه الصلاة والسلام: اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم وفي لفظ أنه قال: «فلا تُشهدني فإني لا أشهد على جور».

ومن العدل على رب الأسرة إن كان ذا زوجات أن يعدل بينهن في القَسم والنفقة، وأن لا يحمله الهوى تجاه إحداهن على تفضيلها على سواها والظلم لغيرها، فلقد جاء الوعيد الشديد في حق من فعل ذلك فيما رواه أبو داود وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشِقُّه مائل».

فاتقوا الله أيها المسلمون وكونوا قوامين بالقسط والعدل، وحققوه في أنفسكم وأهليكم وما وليتم، يكتب الله لكم العزَّ والتمكين، والرفعة والسعادة في الدنيا والآخرة، فقد روى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عزَّ وجلَّ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ

﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء: ١٣٥].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أمر بالعدل في كل الأحوال، وحرم الظلم والجور في كل مجال، أحمده سبحانه وأشكره على كل حال، وأعوذ به من حال أهل النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الإله الواحد القهار، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، ومن سار على هديهم وسلك سبيلهم إلى يوم المعاد.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله تعالى حق تقاته، واعملوا بطاعته ومرضاته، واعلموا عباد الله أنه لن يتحقق لأمة الإسلام ما تصبو إليه من تقدم ورقي وعزة وسعادة إلا في ظل عدل وارف، وحق ظاهر، وأمن شامل، ولن يتم ذلك إلا بتضافر جميع أفراد المجتمع من حكام ومحكومين، قادة ورعيّة، كل على قدر طاقته واستطاعته، وفي حدود مسؤولياته وواجباته المناطة به، فلتتضافر الجهود منكم أيها المؤمنون في تحقيق العدل، والعمل بالإنصاف والقسط في كل المجالات، وعلى كل الأحوال طاعة لله عزّ وجلّ وتقرباً إليه، فإنه حين يمتد رواق العدل، وينبسط سلطان الحق على المستوى العام والخاص في بلاد الإسلام، يتحقق لها بإذن الله ما يؤَمَّل من العز والتمكين، والنصر المبين، ويعم فيها الخير والرخاء، وينتشر في أرجائها المودة والإخاء، فاتقوا الله أيها المسلمون وليرتفع شعار الحق في مجتمعاتكم ويعلو منار العدل في أوطانكم.

الحث على تحقيق الأخوة الإسلامية

الحمد لله الذي ألف بين قلوب المؤمنين، فجعلهم بنعمته إخواناً، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، طاعة وإخلاصاً، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، جمع الله به القلوب على التقوى، ودعا إلى المودة والإخاء، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله الأتقياء، وأصحابه الأوفياء، ومن سار على هديهم واقتفى.

أما بعد: فيا أيها المسلمون، اتقوا الله تعالى ربكم لعلكم تفلحون، واستمسكوا بدينكم، وافرحوا بهدايتكم إليه، ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٨].

عباد الله: كانت البشرية قبل بعثة رسول الهدى ﷺ لا سيما أمة العرب، في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، وشقاء مرير، يعبدون الأصنام والأوثان، ويتحاكمون للطواغيت والكهان. عَمَّ فيهم التقاطع والتدابر، وفشا بينهم العداء والبغضاء، والإحن والشحناء، لا رابطة تربط بينهم، ولا جامعة توحد صفوفهم، أو تؤلف بين قلوبهم، بل سلطانهم القهر والغلبة، والنهب والسلب، والاستبداد والاستعباد، حتى جاء الحق المبين، وانبلج نور الإيمان ببعثة سيد المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه، فكانت بعثته رحمة للعالمين، وهدى للناس أجمعين، وأشرقت الدنيا بدعوته ضياء وابتهاجاً، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، تجمعهم كلمة التوحيد، وتؤلف بين قلوبهم عقيدة الإيمان، ورابطة الإسلام، وقامت على وجه البسيطه دولة التوحيد حاملة لواء الإيمان، ومشعل الهداية والسلام، تحكم بشريعة عظمى لم يعرف التاريخ لها نظيراً، ولم تر البشرية لها مثيلاً؛ لما امتازت به من سماحة في التشريع، وعدالة في الأحكام، وهداية إلى أفضل الأخلاق وأرقى الآداب.

وامتدت دولة الإسلام في أرض الله الواسعة، وانتشر سلطانها في أرجاء كثيرة

من المعمورة، بفضل الله وتوفيقه، ثم بفضل المخلصين من أهل الإسلام، الذين جاهدوا في الله حق جهاده، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله، حتى استطاعوا أن يكسبوا المعارك التي خاضوها مع الأعداء، وأن يرفعوا راية الإسلام خفاقة في الآفاق، وأن يستولوا على كثير من البلاد شرقاً وغرباً في زمن قياسي مع ما كانوا عليه من قلة في العدد، ونقص في العتاد، وما ذاك إلا بفضل الله تعالى، ثم بما كانوا عليه من تمسك بالدين القويم، وعمل بالشرع المبين، وصدق وإخلاص في سبيل إعلاء كلمة الله، حتى أصبحت أمة الإسلام في قرون متطاولة مضت خيرَ الأمم شأناً، وأقواها نفوذاً، وأعزها سلطاناً، وتحقق لها وعد الله عزّ وجلّ بقوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج: ٤٠]، ولكن حينما ضعف تمسك المسلمين بالإسلام في أعقاب الزمن، وأعرض كثير منهم عن حقيقة الدين الحنيف، والشرع القويم، واستبدلوا التوحيد الخالص لله عزّ وجلّ بالبدع والمحدثات، والتعلق بغير الله تعالى من المخلوقين، ونبذ كثير منهم كتاب الله وراءهم ظهرياً، واستعاضوا عنه بقوانين وضعية، وأنظمة بشرية، واختلفوا وتنازعوا، أصبحت النكبة على أهل الإسلام نكبة عظمى، والفاجعة فاجعة كبرى، حيث استطاع الأعداء عندئذ النفوذ إلى أمة الإسلام، وتمزيقَ الدولة الإسلامية، حتى غدا أهل الإسلام شيعاً وأحزاباً، وممالك ودويلات، وتكالب عليهم الأعداء من كل جانب، وتحكموا في كثير من قضاياهم، وسيطروا على معظم مصالحهم، واستولوا على كثير من ثرواتهم ومقدراتهم، واستطاعوا احتلال بعض بلادهم، وفي مقدمتها الأرض المباركة فلسطين، حيث ترزح تحت الاحتلال الآثم منذ نصف قرن من الزمان، ومع ذلك لا يزال أولئك اليهود الغاصبون يواصلون مزيداً من العدوان في تلك البقاع المباركة، ويلحقون بأهلها أنواعاً من الظلم والاضطهاد.

وفي بلاد أخرى من العالم يتعرض المسلمون فيها إلى عدوان سافر من قبل الصرب الحاقدين، حيث تسلطوا على المسلمين بأقسى أنواع الاضطهاد بالقتل والتعذيب والتشريد من الأوطان، وغير ذلك من صنوف من البغي والعدوان على إخوانكم هناك، امتداداً لما ارتكبوه في بلاد البوسنة من أفظع الجرائم، وأسوأ الحوادث في التاريخ المعاصر، مما يحَتِّم على أمة الإسلام أن تقف لصد هذا

العدوان، بكل ما تملك من وسائل، قبل أن يستفحل الضرر، ويعظم الخطر على المسلمين في تلك البلاد.

وكم في بعض بلاد الإسلام من أحوال مؤلمة، وأوضاع محزنة، جراءَ ما حل بها من فتن عظمى، ومصائب كبرى، طال أمدها، وتفاقم خطرها حتى راح ضحيتها عشرات الألوف من الأنفس البريئة، وكل ذلك يحدث على مرأى ومسمع من العالم.

ومن عظيم الأسى أن يظل كثير من المسلمين في غفلةٍ أو تغافل عن تلك الأحداث المؤلمة، والمآسي المحزنة على أمة الإسلام.

عباد الله: إنه لن يعود للإسلام، هيبته، ولا للمسلمين مجدهم وعزهم، ولن يرتفع عنهم الظلم والعدوان، والفتن والمصائب التي حلت بهم، إلا بالعودة الصادقة إلى دين الإسلام، واستلهام مبادئه الحقة، النقية من الشوائب، والسليمة من الدواخل، والاعتصام بحبل الله المتين، وتطبيق شرع الله على العباد، والحكم بينهم بما أنزل الله، وتحقيق الأخوة الإيمانية، والوحدة الإسلامية، التي عقدها الله عزّ وجلّ بين المؤمنين بقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، والأخذ بما أكد عليه رسول الله ﷺ ودعا أمته إلى تحقيقه واقعاً ملموساً على المستوى العام والخاص بقوله ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يحقره، ولا يخذله، التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ﷺ ثلاث مرات بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه» رواه مسلم في صحيحه.

وفي الحديث المتفق عليه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً».

فاتقوا الله أمة الإسلام وعليكم بالتمسك بدينكم، والعملِ على نصرته، وإعلاءِ شأنه، وتحقيق الإخاء والمودة فيما بينكم، تحقيقاً يحمل على نصرة المضطهدين، ومساندةِ المستضعفين، والدفاع عن قضايا المسلمين في كل مكان، فإن ذلك مما تفرضه الأخوة الإيمانية عليكم أيها المسلمون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله تعالى حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، وتذكروا عباد الله أن دين الإسلام قد عني ببث روح الأُلفة والإخاء في نفوس المسلمين، وتعميق هذا الشعور في قلوب المؤمنين، وإن ذلك ليبدو جلياً فيما فرض الحق سبحانه في كثير من العبادات، في الصلاة والزكاة والصيام وغيرها، إذ في كل عبادة من هذه العبادات مظهر من مظاهر الألفة والإخاء بين المسلمين، غير أن ذلك يبدو في وضوح أكبر وجلاء أظهر في فريضة الحج، فإنها من أعظم الفرائض، وأجل العبادات التي تتجلى فيها معاني الأخوة الإسلامية بين أفراد الأمة في أسمى صورها، وأبلغ معانيها، إذ تجتمع الوفود المحتشدة من أقاصي الدنيا وأدناها في مجتمع إسلامي كبير يتكرر كل عام في هذه الرحاب الطاهرة، والمواطن المقدسة، حيث البيت الحرام، قبلة المسلمين، ومهوى أفئدة المؤمنين، مهبط الوحي، وموطن البعثة المحمدية.

تؤم الوفود المسلمة هذه البقاع المشرفة في هذه الأيام المباركة لأداء فريضة من أعظم فرائض الإسلام، تلبية لنداء خليل الرحمن، واقتداء بهدي سيد الأنام، صلوات الله وسلامه عليهما، قد اتحدت الأهداف من هذه الجموع المؤمنة، واتفقت منهم المقاصد والغايات، وتلاشت الفوارق والأجناس، وتصافت النفوس، وتآلفت

القلوب، على تباين الديار واختلاف الألسنة والألوان، الكل في هذه المواطن سواء، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى، في مشاهد روحانية عظيمة، ومواقف إيمانية جليلة، تعلوهم الهيبة والخشية، وتجللهم السكينة والرحمة، إنها مواقف عظمى تزيد المؤمن إيماناً ويقيناً، وتوقظ في النفوس الشعورَ بأخوة الإسلام، فتندفع إلى العمل الجاد لنصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله.

وإنه لحري بأمة الإسلام أن تأخذ من هذه العبادة العظمى، ـ لا سيما من ذوي التأثير في الأمة ـ دروساً عملية في سبيل توحيد الصفوف، والعملِ على جمع الكلمة، والدفاعِ عن قضايا المسلمين، واستردادِ حقوقهم المستلَبة، وبلادِهم المغتصبة، والوقوفِ بجانب المستضعفين والمضطهدين، تحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

الحث على التضامن بين المسلمين(١)

الحمد لله الذي ألف بين قلوب المؤمنين، فجعلهم بنعمته إخوانًا، أحمده سبحانه وأشكره على مزيد الآلاء والنعماء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلي الأعلى، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله النبي المصطفى، والخليل المجتبى، جمع الله تعالى به القلوب على التقوى، وأقام دعائم المودة والإخاء، صلّى الله عليه وعلى آله الأتقياء، وأصحابه الأوفياء، ومن سار على هديهم واقتفى، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أيها المسلمون، اتقوا الله حق التقوى وتحلوا بها ظاهراً وباطناً، فإنها سبيل العز والنجاح، ومصدر الخير والفلاح ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠].

عباد الله: إن من أعظم محاسن الدين، ما حث عليه ربنا جلّ وعلا في كتابه المبين، وعلى لسان سيد المرسلين من الألفة والاعتصام، والوحدة والوئام، واجتماع الكلمة والعمل على نبذ الخلاف والفرقة بين المسلمين، يقول عزّ وجلّ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] ويقول ﷺ: «وكونوا عباد الله إخواناً المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله» رواه مسلم في صحيحه.

ذلكم أن وحدة الأمة وائتلافها فيما بينها أعظم عامل على رفع منار الإسلام، وإعلاء شأن المسلمين، وخير معين على نهوضها، وعز سلطانها وقوة شوكتها،

---

(١) أُلقيت في ١٤٢١/٨/٢١ هـ، بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي في الدوحة، وقد أقيم قبله مؤتمر القمة العربي في القاهرة بعد الاعتداءات على فلسطين.

وبلوغها منتهى الغايات، وأقصى الآمال التي تحقق لها الرفعة والسيادة في الدنيا، والفوز والفلاح في الأخرى.

فمن أجل تحقيق هذه الغايات العظمى أمر الحق عزّ وجلّ عباده المؤمنين بالتعاون على البر، وإشاعة الخير، وتحقيق التقوى، ونشر الهدى بين أفراد الأمة ومجموعها، كما نهى الحق جلّ وعلا عن التعاون على الإثم والعدوان؛ لأنه سبب الضعة والهوان. يقول عزّ وجلّ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢]، فالتعاون على البر والتقوى أقوى عامل على جمع كلمة الأمة ووحدة صفها، وهو الكفيل بإذن الله في حماية الأمة من الأخطار المحدقة بها، والأعداء المتربصين بها.

فالتقوى مخافة الله وخشيته في السر والعلن، والعمل بطاعته ومرضاته، والانقياد الكامل لأوامر الشرع بالفعل والامتثال، وللنواهي بالكف والاجتناب.

وأما البر فإنه ثمرة من ثمار التقوى، وهو عنوان الفضائل الإنسانية، والمكارم الأخلاقية، والكمال النفسي والسمو الروحي من إيمان كامل، ويقين صادق، وعمل صالح، وإحسان شامل يبتغى بذلك كله وجه الله والدار الآخرة، يقول عزّ وجلّ في بيان معنى البر وشموله لتلك المعاني السامية: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

فما أحوج أمة الإسلام اليوم إلى استلهام هذه المبادىء السامية، والتعاليم الربانية، التي تحقق لها الخير والسعادة، والرفعة والسيادة، ولا سيما وهي تعيش أوضاعاً مؤلمة، وأحوالاً مؤسفة، جراء ما تعانيه من تسلط الأعداء، واستضعافهم لأمة الإسلام، واستهانتهم بحقوق المسلمين ومشاعرهم، حتى غدا كثير من المسلمين يعانون من بلاء ومحن في أنحاء من المعمورة، ولا سيما إخواننا في الأرض المباركة أولى القبلتين ومسرى سيد الثقلين، وما يلاقون من عدوان أثيم من شرذمة باغية طاغية

لا هم لها إلا السعي في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين.

وإن مما يحزُّ في نفوس أهل الإيمان، وأهل الغَيرة الصادقة على الإسلام، أن أمة الإسلام اليوم على الرغم من كثرة عددها، وما تملكه من مقومات الريادة والسيادة، وما حباها الله من خيرات عظمى، ومع هذا كله قد تحكم الأعداء في كثير من توجهاتها السياسية، ومقدراتها الاقتصادية، واستحوذوا على كثير من خيراتها، واحتلوا بعض بلادها، حتى صدق على واقع الأمة اليوم قول رسول الهدى ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأممُ من كل أفق، كما تداعى الأكَلة على قصعتها، قال: قلنا: يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غُثاءً كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن، قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت». رواه الإمام أحمد وأبو داود.

لقد أصبح كثير من المسلمين اليوم في معزل عن حقيقة الدين، وأضحوا تابعين لا متبوعين، سائرين في ركاب الأعداء، ساعين في تقليدهم في كثير من أنماط حياتهم وتوجهاتهم وسلوكهم، غير عابئين بما يجر ذلك عليهم وعلى الأمة من خطر العواقب، وأسوأ الآثار.

وإنه لا عاصم لأمة الإسلام يا عباد الله، ولا نجاة لها من هذه الأوضاع المؤلمة التي تمر بها الآن إلا بالعودة الصادقة إلى الدين الخالص، واستلهام عقائده الصحيحة، ومبادئه الحقَّة، والعمل بتشريعاته السامية على مستوى الفرد والجماعة، والحكومات والدول، والسعي الدؤوب بما وجه إليه الدين الحنيف من التعاون على البر والتقوى، والأخذ بأسباب الألفة والإخاء بين أبناء الأمة، والوقوف صفًا واحدًا ضد قوى البغي والعدوان، فقد قال عليه الصلاة والسلام في بيان ما يجب أن تكون عليه حال الأمة: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تَدَاعى له سائرُ الجسد بالسَّهر والحمَّى» أخرجاه في الصحيحين ولهما أيضًا: أنه ﷺ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا».

فليكن لنا يا عباد الله من هذه المواعظ مزدجر، ومن الحوادث التي تمر بنا معتبر، ومن الشدائد نذر، ومن مجد أسلافنا ما يقوي العزيمة، ويبعث فينا الأمل

لاستعادة الحق المسلوب، والعز المنشود، ويحمل المخلصين من ذوي التأثير في الأمة على جمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم، والتضامن فيما بينهم، كي يتحقق للأمة العز والتمكين، والنصر المبين الذي وعد الله به عباده المؤمنين بقوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧].

وإن من بشائر الخير، وبوادر الأمل ما يرى من مشاعر إسلامية جياشة، وتعاطف إسلامي كبير نحو إخواننا في الأرض المباركة، أثمر بحمد الله وفضله هذا التآلف والتآزر المشهود، وما نتج عنه من إعانات مادية متدفقة، ولا سيما من بلاد الحرمين المباركة، ومن لقاءات متتالية على أعلى المستويات، أملتها الظروف الراهنة، والأحداث المتداعية على الساحة، حقق الله تعالى بذلك آمال المسلمين، وبارك في جهود المخلصين، وسدد خطى المصلحين إنه تعالى سميع مجيب.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم وبهدي سيد المرسلين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله ولي الصالحين، ومجزل العطاء للشاكرين، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الإله الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيد العابدين وإمام المتقين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واستمسكوا بدينكم القويم، واتبعوا هدي نبيكم الكريم، واقتدوا بأسلافكم الصالحين الذين ضربوا أروع الأمثال، وأسمى الأفعال في تطبيق المبادى الإسلامية الحقة، والعمل بها صدقًا وإخلاصًا، حتى كَوَّنوا دولة إسلامية عظمى، مرهوبة الجانب، موفورة الكرامة، قد أُشرب أبناؤها حُبَّ الخير، والتعاونَ على الفضيلة والبر، ورعايةَ المصالح العامة، والإيثارَ والتضامنَ، والتناصرَ والتآزرَ، حتى كتب الله لهم العز والنصر على سائر الأمم، وأعلا دولتهم على سائر الدول، وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: ٨].

فلتسلكوا أيها المؤمنون نهج أسلافكم المخلصين في تحقيق التضامن والإخاء فيما بينكم، والعمل على مناصرة إخوانكم المضطهدين، وإعانة المستضعفين، ومواساة المنكوبين، والإحسان إلى الفقراء والمعوزين كي تخففوا بعض آلامهم المحزنة، ومآسيهم المؤلمة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «من نَفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسر الله

عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» رواه مسلم في صحيحه، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة: ٢٧٢].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومكانته في الإسلام

الحمد لله الهادي إلى سبيل الرشاد، يهدي من يشاء بفضله ويضل من يشاء بعدله، لا معقب لحكمه، وهو الحكيم العليم، أحمده سبحانه وأشكره على سوابغ فضله، وترادف آلائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، دعا إلى الصراط المستقيم، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الأكرمين، ومن سار على هديهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون أوصيكم ونفسي بتقوى الله عزّ وجلّ، فإنها وصيته تعالى لعباده الأولين والآخرين، وهي السبيل إلى الفلاح والنجاة يوم الدين، فحققوا التقوى، واستقيموا على طاعة الرب جل وعلا.

واعلموا عباد الله أن سعادة المجتمع، وصلاح أمة الإسلام، منوطان باستقامة كل مسلم على دين الله، وتمسكه بشرع الله، والتزامه بالمنهج السديد الذي بُعث به رسول رب العالمين، ونزل به الوحي المبين، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

ألا وإن أكبر عامل على سلوك الأمة سبيل الحق، وانتهاجِ طريق الهدى: القيامُ بما شرع الله عزّ وجلّ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإعلاء شأنه في الأمة، فإنه حصن الإسلام عن الفتن، والدرع الواقي عن المحن، وهو السياج الحامي عن المنكرات والمعاصي.

إنه الحامي لأهل الإسلام عن نزوات الشياطين، ودعوات المضللين، والوثاقُ الذي تتماسك به عرى الملة والدين، وتُحفظ به حرمات المسلمين.

وإنه لن تظهر أعلام الشرع المبين، وتعلو أحكام الإسلام إلا حين ترتفع راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ به يعلو الحق والإيمان، ويعز أهله، ويقوى أنصاره وحماته، وبه يندحر الباطل، ويذل أهل الفسوق والأهواء.

ومتى عمَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمة اتضح الهدى من الضلال، وتميزت السنة من البدعة، وعُرف الحلال من الحرام، ونشأت الناشئة من بني الإسلام على المعروف وألفته، وجانبت المنكر وكرهته.

ولقد أدى ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كثير من بلاد الإسلام في أعقاب الزمن إلى جهل بعض أهل الإسلام بأصول الملة وقواعد الدين، مما نتج عنه إهمال لشعائر الإسلام، وعدم الحكم بما أنزل الله في كثير من بلاد الإسلام، وكثرة البدع والمحدثات المنافية لعقيدة التوحيد الخالصة، وفشو المنكرات، والمجاهرة بالفسوق والمعاصي، والإغراء بالفتنة عبر وسائل متنوعة، يأتي في طليعتها وسائل الإعلام المرئية، حتى نشأت أجيال مسلمة لا تعرف من الإسلام إلا اسمه، ولا من الدين إلا رسمه، أَلِفَت المنكرات، واستهانت بها، فلم تبال باقترافها، أو تعبأ بارتكابها، لكثرة ورودها على القلوب، وطرقها للأسماع، وتكرار رؤيتها في العيون، وأدى ذلك أيضاً إلى تنكر فئة من بني الإسلام للدين، وتمردهم على شريعة الله عزَّ وجلّ، حتى جاهروا بدعوات مضللة، وأفكار منحرفة، تأثراً بمناهج كفرية، وأفكارٍ إلحادية، وإنه لا مخلِّص لأمة الإسلام من هذه المنكرات يا عباد الله ولا عزَّ لها ولا نصر ولا تمكين لها في الأرض إلا بالعودة إلى الدين الصحيح، واستلهام مبادئه الحقة، ورفع شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بلاد الإسلام، وبين أهل الإسلام.

فائتمروا أيها المؤمنون بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، ولتقوموا به حق القيام، طاعة لله وإخلاصاً، وليكن ذلك مبنياً على قاعدة الشرع العظمى في جلب المصالح ودرءِ المفاسد، فليُؤمر بالمعروف، وليُنهَ عن المنكر حينما لا يترتب على ذلك تفويت مصلحة أكبر، أو حصول ضرر أعظم، فإن من أخَلَّ بتطبيق هذه القاعدة في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر كان فسادُه أكبَرَ من صلاحه، وضرره أكثر من

نفعه، ولذا قال بعض العلماء: «ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر».

وليراعِ في إنكار المنكر مراتب الإنكار التي أوضحها رسول الله ﷺ لأمته بقوله: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم في صحيحه.

فالإنكار باليد لا يكون إلا لمن له ولاية كالأب في بيته، وولي الأمر في ولايته وسلطانه، ولنوابه في البلاد وعلى الأعمال.

أما الإنكار باللسان فواجب على كل من تحقق المنكرَ وأيقنه عن علم وبصيرة، ويتأكد ذلك في حق العلماء البصيرين والدعاة المخلصين.

أما الإنكار بالقلب فلا يعذر فيه أحد من الخلق، إذ ليس ثمة أحد يحول بين المرء وقلبه، وليس وراءه مثقال ذرة من إيمان.

وإنه لا بدّ لمن قام بهذا الأمر الجليل يا عباد الله من التحلي بالرفق واللين في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، دون أن يحصل منه تجريح للمأمور أو تشنيع عليه، بل على الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر أن يكون ذا رحابة في الصدر، وحرص على هداية الخلق، وأن ينظر للواقعين في المعاصي بعين الرأفة والشفقة، وأن لا ينظر إليهم نظر ازدراء واحتقار، وليتذكر نعمة الله عليه، إذ حماه مما وقعوا فيه، وليتحلَّ بالصبر على ما يلاقي في هذا السبيل من الأذى، كما قال عزّ وجلّ حكاية عن لقمان في وصيته لابنه: ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان: ١٧].

وليُعلم يا عباد الله أن الأصل في دين الإسلام هو الستر على من وقع في معصية، لعموم قوله ﷺ: «ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة». رواه مسلم وغيره، ولما روى أبو داود والنسائي أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ بصاحب معصية، فقال له عليه الصلاة والسلام: «لو سترته بثوبك كان خيراً لك» وهذا إنما يكون في حق غير المجاهر بالمعصية.

أما المعلن بالفسق، والمجاهر بالمنكر، فلا حق له في ذلك، فقد قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري ومسلم: (كل أمتي معافى إلا المجاهرين)، لذا

قال الإمام أحمد رحمه الله: «الرجل المعلن بالفسق لا حرمة له».

وما ذاك إلا لأن السكوت عن المجاهر، والتغاضي عنه يحمله على المزيد من ارتكاب المنكرات، وانتهاك الحرمات، وإشاعة الفساد في الأرض والله لا يحب الفساد.

وإن على المأمور يا عباد الله أن يذعن للحق، ويقبله ممن جاء به كائناً من كان، وليحذر الإعراض عن ذلك، فقد قال عز شأنه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

فاتقوا الله أمة الإسلام، واتقوا الله أيها القادة والعلماء بالعمل على رفع منار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإعلاء شأنه، استجابة لأمر الله تعالى وحذراً من عقابه، ونصحاً للعباد، وحماية للبلاد ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه سبحانه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى أمة الإسلام، وتذكروا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم شعائر الدين التي شرعها الله عزّ وجلّ لمصالح الخلق، فلو تعطلت هذه الشعيرة لتعطل أكبر عامل للإصلاح، وأعظم أداة للتهذيب والتقويم، بل ولتعطلت الشريعة، واضمحلت الديانة، وعَمَّت الغفلة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، وحينئذٍ يغار المولى سبحانه على حرماته، ويحل سخطُه محلَّ رضاه، وعذابُه محل رحمته، وتزول النعم، وتحل النقم، وتتوالى المصائب على العباد والبلاد: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [هود: ١٠٢، ١٠٣].

وروى أبو داود والترمذي وحسنه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩]، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «كلا والله لتأمرُنَّ بالمعروف، ولتنهوُنَّ عن المنكر، ولتأخذُنَّ على يد الظالم، ولتأطُرُنَّه على الحق أطراً، ولتَقصُرُنَّه على الحق قصراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعننكم كما لعنهم».

فاتقوا الله عباد الله، ومروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، كل على قدر الطاقة منه والاستطاعة، وفي دائرة اختصاصه ومسؤوليته، يكتب الله تعالى لكم الخير والتوفيق في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

مكانة الصلاة في الإسلام

الحمد لله الذي شرع لعباده أفضل شرائع الدين، وجعل الصلاة كتاباً موقوتاً على المؤمنين، أحمده سبحانه وأشكره، أنار بالعبادة قلوب العارفين، وشرح بها صدور المخلصين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله إمامُ المتقين، وخيرُ العابدين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغُرِّ الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون، اتقوا الله تعالى ربكم وأطيعوه، واستقيموا على دينه ولا تعصوه، وحافظوا على فرائض الدين وشرائع الإسلام، فإن الله تعالى قد شرع لكم من الشرائع والأحكام ما يكون سبباً في صلاحكم في الحال، وسعادتكم في المآل.

وإن من أَجَلِّ ما شرع الله عزّ وجلّ من الفرائض والعبادات، فريضةَ الصلاة، فلقد فرضها الله تعالى على العباد، وأحلها من الإسلام المحل الأسنى، والمقام الأعلى، فهي عمادُ الدين، وركْنُه المتين، وعصامُ المتقين، وقرةُ عيون المؤمنين، وهي الصلة بين العبد وربه، وأولُ ما فرض الله تعالى من الفرائض على عباده، فرضها سبحانه في أشرف مقام، وأرفع مكان، وخاطب بفرضيتها نبيه عليه الصلاة والسلام مباشرة من غير واسطة، وهي آخر ما أوصى به ﷺ أمته قبيل وفاته، فقال وهو في مرض موته: «الصلاةَ الصلاةَ وما ملكت أيمانكم»، من حافظ عليها فهو لما سواها من شرائع الدين أحفظ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع.

الصلاة أول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة، فإن قُبلت منه نُظر في بقية عمله

وعباداته، وإلا لم يقبل منه طاعة ولا عبادة، ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «إن أولَ ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيئاً قال الله عزّ وجلّ: انظروا هل لعبدي من تطوع فيُكمَل منها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر أعماله على هذا» رواه أبو داود والترمذي وحسنه.

وإن الكمّل من أهل الإيمان، وأرباب التقوى ليجدون في الصلاة قرة عيونهم، ونعيمَ أرواحهم، وراحةَ نفوسهم، وطمأنينةَ قلوبهم، كما قال سبحانه: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨]، وكان رسول الهدى ﷺ يقول: «جعلت قرة عيني في الصلاة»، ويقول: «يا بلال أرحنا بالصلاة» وكان ﷺ إذا حزبه أمر، أو اشتد عليه خَطْبٌ فزع إلى الصلاة، فانكشف عنه ما يجد من شدة وكرب، وارتاحت نفسه واطمأن قلبه.

ففي الصلاة الملجأُ لأهل الإيمان عند الكربات، والمفزعُ عند الضائقات، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

والصلاة يا عباد الله أعظمُ عامل على تهذيب النفوس، وإصلاح القلوب، وتقويم الأخلاق، والبعد عن مسالك الضلالة والردى، وسبل الغواية والفحشاء، ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فمِن صدق اليقين، ورسوخ الإيمان، أن يحافظ العبد على الصلاة حق المحافظة، رعايةً لأوقاتها، واستكمالاً لشروطها، وإتماماً لأركانها وواجباتها، وعنايةً بسننها، مع أدائها بحضور قلب وخضوع، وتألُّه وخشوع، فإن الخشوعَ هو روحُ الصلاة ولبُّها، وإن أعظم ما يعين على ذلك أن يستحضر المصلي معاني الذل والعبودية لله تعالى، في كل أذكار الصلاة وهيئاتها، ولا سيما في حالة السجود، فإن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد كما صح الحديث بذلك عن رسول الله ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ [العلق: ١٩].

ولقد أثنى الحق عزّ وجلّ على عباده الذين يحافظون على الصلاة، وتخشعُ

قلوبهم، وتستكينُ جوارحهم فيها لله تعالى، ويظهر أثرها في سلوكهم وأخلاقهم، فقال عزّ وشأنه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١]، وقال عزّ شأنه في وصف أهل اليقين الصادق، والإيمان الكامل: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٣، ٤]، كما أبان رسول الهدى ﷺ لأمته ما في المحافظة على الصلاة من عظيم الفضل وجزيل الثواب، فقال عليه الصلاة والسلام: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً، ونجاة يوم القيامة». رواه الإمام أحمد وغيره.

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لايبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا». وروى مسلم في صحيحه عن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارةً لما قبلها من الذنوب ما لم تُؤتَ كبيرة وذلك الدهر كله».

فهذه يا عباد الله بعض فضائل الصلاة، وشيء منافعها وآثارها على المسلم في حياته وبعد مماته، وتلك منزلتها في الإسلام، ومكانتها في الدين، لم يرخص الله بتركها لأحد من المكلفين ما دام عقله حاضراً، وفكره ثابتاً، إلا الحائض والنفساء، فلم يُرَخِّص الله بتركها حتى للمريض والخائف، وحتى في أحرج الظروف وأشد المواقف، كحال القتال والمنازلة، بل أوجب إقامتها والمحافظة عليها على قدر الطاقة والاستطاعة، يقول عزّ شأنه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ۝٢٣٩﴾ [البقرة: ٢٣٨، ٢٣٩].

ومع هذا الاعتناء الشديد، والتأكيد البليغ من الشارع الحكيم بشأن الصلاة، فإن مما يؤسى له عظيم الأسى ما يشاهد من ضعف العناية بالصلاة، وعدم المحافظة عليها عند كثير من بني الإسلام حتى بلغ الحال بالبعض إلى تركها بالكلية ـ عياذاً بالله ـ دون مبالاة، ومن غير اكتراث، حتى صدق على أولئك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية، ولكن أخروها عن أوقاتها، وقال سبحانه في وعيد الغافلين عن الصلاة: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الماعون: ٤، ٥]، قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في معنى الآية: «هو تأخيرها عن وقتها»، فإذا كان هذا الوعيد الشديد في حق من يؤخر الصلاة عن وقتها، فكيف الحال يا عباد الله بمن لا يصلي إلا بعض الأوقات، أو لا يصلي إلا الجمعة فقط، أو بمن يتركها على الإطلاق، وكل ذلك ذنب عظيم وجرم كبير، قد يُخرج صاحبه من الملة والدين، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «ليس بين الرجل والكفر والشرك إلا تركَ الصلاة» رواه مسلم في صحيحه، وروى الإمام أحمد والبيهقي بإسناد صحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله عزّ وجلّ»، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة) وكان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر سوى الصلاة. فأين التارك للصلاة عن هذا الوعيد والتهديد!، وأين هو عن زواجر القرآن وقوارعه!، فقد قال الله تعالى حكاية عن حال أصحاب الجحيم: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣] وقال عزّ وشأنه: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ [القيامة: ٣١ ـ ٣٦].

فاتقوا الله عباد الله، ولتحافظوا على صلواتكم، ولتأدوها كما أوجبها الشارع على وجه الكمال والتمام، فلقد أمر رسول الله ﷺ بأدائها بطمأنينة وسكينة، وإكمال ركوعها وسجودها، وحَذَّر عن الإخلال والتقصير فيها، وعن كل ما يتنافى مع ما يجب لها من الخشوع والإنابة، وأخبر ﷺ أن أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته، قيل: كيف يسرق من صلاته يا رسول الله؟ قال: لا يتم ركوعها ولا

سجودها). رواه الإمام أحمد والحاكم وصححه، وروى البخاري في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يصلي ولا يتم ركوع الصلاة ولا سجودها، فقال له حذيفة: «ما صليت، ولو مت وأنت تصلي هذه الصلاة مت على غير فطرة محمد ﷺ».

فلتكونوا أيها المؤمنون ممن يعبدون الله حق عبادته، ويحافظون على صلواتهم في أوقاتها وهيئاتها، ولتقبلوا عليها بقلوب ملؤها الخشية لله والإنابة إليه، فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون، أحمده سبحانه وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله تعالى ربكم لعلكم تفلحون، ولتحافظوا على صلواتكم فإنها ركن الملة والدين، ولتأمروا بها من تَلُونَ من الأهل والأولاد، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه: ١٣٢].

ولتعلموا عباد الله أن من المحافظة على الصلاة في حق الرجال القادرين، أن تُؤدى مع جماعة المسلمين حيث يُنادى لها: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧]، فإن للصلاة مع الجماعة من عظيم الفضائل، وجليل المنافع ما لا يتأتى لمن يصليها منفرداً، مما يحمل ذوي الإيمان والتقى على العناية بصلاة الجماعة والحرص عليها، فقد قال عليه الصلاة والسلام في التأكيد على صلاة الجماعة وبيان وجوبها: (من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر). رواه ابن ماجة، وابن حبان، والحاكم وصححه، وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ أعمى، فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له، فيصلي في بيته فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال: هل تسمعُ النداء بالصلاة؟ فقال:

نعم، قال: فأجب» وفي رواية لأبي داود: «أجب، لا أجد لك رخصة»، وروى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «من سره أن يلقى الله غداً مسلماً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر، فيحسن الطُهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتُنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف».

فاتقوا الله رحمكم الله، ولتحافظوا على صلواتكم، ولتأدوها مع جماعة المسلمين حيث ينادى لها، فإن ذلك أزكى لأنفسكم وأعظمُ لأجوركم، وأرفعُ في درجاتكم، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

بر الوالدين

الحمد لله العليم الخبير، أحمده سبحانه وأشكره وهو البر الرحيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الهادي النذير، والسراج المنير، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأكرمين، ومن سار على هديهم وسلك سبيلهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله تعالى حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وتذكروا عباد الله: أن من محاسن دين الإسلام ما شرعه من البر والإحسان بين أفراد المجتمع، لما له من أثر كبير في حصول المودة، حيث أكد ديننا الحنيف على العمل بذلك والاتصاف به كمنهج ينهجه المسلم في حياته، وفضائل يربي عليها أبناءه لما للإحسان من الأثر الأكبر في حصول الوحدة بين أفراد المجتمع، وحلول الوئام والتلاحم بين أبنائه، وإضفاء السعادة والهناء بين جنباته.

وقد أكد الإسلام باديء ذي بدء على العمل بالبر والاتصاف بالإحسان بين أفراد الأسرة، إذ هي اللبنة الأولى للمجتمع، فبصلاح أفرادها وتآلف أبنائها يسعد المجتمع بأسره، ويشع في أرجائه الأمن والاطمئنان، والإخاء والسلام.

ولذا أوجب الإسلام القيام بالبر والإحسان إلى الأقارب والأرحام، وجعله من آكد الحقوق وأعظم الواجبات، وآكد هؤلاء حقاً في الإحسان إليهم، والاعتناء ببرهم الوالدان، إذ ليس أعظم إحساناً على المرء، ولا أكبر فضلاً عليه بعد المولى عزّ وجلّ منهما، ففضلهما على الأولاد جليل، وإحسانهما إليهم كبير، ولذا عظَّم المولى سبحانه حقهما، وقرنه عزّ وجلّ بحقه في العبادة وإخلاص الدين له وحده دون سواه، فقال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النساء: ٣٦].

كما أوجب الحق سبحانه شكر الوالدين بعد شكره إشعاراً بعظيم حقهما، وتأكيداً على جليل فضلهما، فقال سبحانه: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: ١٤].

قال حبر هذه الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: ثلاث آيات مقرونات بثلاث، لا تقبل واحدة بغير قرينتها، وذكر منها قوله سبحانه: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لقمان: ١٤]، فمن شكر لله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه. وقد روي عنه ﷺ قوله: «رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخط الوالدين».

أيها المؤمنون: إن البر بالوالدين من آكد الحقوق، وأعظم الواجبات، وطاعتهما من أفضل القرب والطاعات، لما لهما من فضل كبير وإحسان عظيم، لقد رعياك أيها الولد في حال الصغر، وتحملا من أجلك الشدائد والآلام، وبذلا ما في وسعهما في سبيل تربيتك وإسعادك دون أدنى تحفظ أو تردد، حملتك أمك وهناً على وهن، حملتك كرهاً، ووضعتك كرهاً، ولا يزيدها نموك إلا ثقلاً وضعفاً، حتى يبلغ بها الحال أن ترى الموت مما تقاسيه من الآلام والأوجاع، فإذا خرجتَ إلى هذه الدنيا سليماً معافاً، نسيت من أجلك آلامها، وعلّقت فيك آمالها، ثم شغلتْ نفسها بخدمتك ورعايتك في ليلها ونهارها، طعامك درُّها، وبيتك حجرها، ومركبك يداها وصدرها، تجوعُ لتشبع، وتسهر لتنام، فهي بك رحيمة، وعليك شفيقة، أما والدك فهو يكد ويسعى، ويتحمل الأعباء والمشاق من أجل إسعادك، وتهيئة حاجاتك ومتطلباتك، ينفق عليك ويرعاك ويوجهك إلى ما ينفعك ويرفعك، يسر لفرحك ويتألم لأحزانك، ويدفع عنك صنوف الأذى، ويحميك بإذن الله من الضياع والردى، فهذا شيء من إحسان الوالدين وبرهما، فهل جزاءهما إلا البرّ والإكرام ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، إن حقهما على الأولاد من البنين والبنات الإجلال والتقدير، والطاعة والتوقير والتواضع لهما، وحسن الأدب معهما، لين في الكلام، وتلطف في الحديث، وخفض للجناح وتحقيق لرغباتهما، وتلبية لحوائجهما، وطاعتهما في المعروف، ومسارعة لخدمتهما، وكسب لرضاهما في كل وقت، وعلى كل حال، وإن البر بالوالدين ليس بتأمين الحوائج المعيشية ومتطلبات الحياة المادية فحسب، مع الإعراض عنهما، والانقطاع عن زيارتهما وعدم صلتهما،

بل هو إلى جانب ذلك حنان ووفاء، وتودد وتلطف، ومراعاة للمشاعر والعواطف، وإدخال للسرور على نفوسهما، والأنس إلى قلوبهما بنفس طيبة، وأخلاق كريمة من غير سآمة ولا ضجر، ولا تأفف ولا ملل ودون استكثار لشيء من البر بهما، والإحسان إليهما، فإنه مهما أُسديَ لهما من البر والإكرام، ومُنحا من الرعاية والعناية، فإنه قليل في حقهما لا يساوي إلا اليسير من فضلهما وإحسانهما، فازدد أيها المؤمن بهما براً وعطفاً، واسألهما التجاوز عن الإساءة والتقصير، والتجأ إلى المولى سبحانه بالدعاء لهما بالرحمة والغفران ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٤]، روي أن رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: «إن لي أماً بلغ منها الكبر، وإنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطية، فهل أديت حقها؟ قال: لا. لأنها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك، وأنت تصنعه وتتمنى فراقها، ولكنك محسن، والله يثيب الكثير على القليل».

وروى البخاري ومسلم واللفظ له عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى، قال: فهل من والديك أحد حي؟ قال: نعم بل كلاهما، قال: فتبتغي الأجر من الله تعالى؟ قال: نعم، قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما». وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «سألت رسول الله ﷺ أي العمل أحب إلى الله تعالى، قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله». رواه البخاري ومسلم.

عباد الله: إن من المؤلم حقاً أن يفاجأ الوالدان بالعقوق، والتنكر للجميل، وجحود الفضل والإحسان من فلذات الأكباد، فما أقسى ذلك على نفوسهما، وما أشدّ مرارته على قلوبهما.

إن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب والمعاصي، إنه عار وشنار على صاحبه، وسبب للشقاء والكدر في الدنيا، والعذاب الأليم في الأخرى، عجباً لمن يعق والديه حينما احتاجا إليه، ولمن ينصرف عن رعايتهما بعد ما ضعفا والتجئا إليه، أيكون جزاء إحسانهما الإساءة، وبرهما العقوق والقطيعة، وعطفهما القسوة والغلظة، أليست الجنة تحت أقدام الوالدين، وأن من بر والديه بره بنوه، ومن عقهما

عقه بنوه جزاء وفاقاً، وما ربك بظلام للعبيد، جاء في الحديث الذي رواه الحاكم وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلا عقوق الوالدين، فإنه يعجل لصاحبه قبل الممات». وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان عطاءه، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، والرَّجلة ـ يعني المترجلة من النساء ـ». رواه النسائي والحاكم وصححه.

فاتقوا الله عباد الله، واجتهدوا في البر بالوالدين، والإحسان إليهما، قياماً بالواجب، ووفاءً بالجميل السابق، وأملاً في عفو الله ورحمته.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله، نبيه المصطفى وحبيبه المجتبى صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى، وبدور الدجى ومن سار على هديهم واقتفى.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى لعلكم تفلحون، واستجيبوا لأمر الله ورسوله في الوصية بالوالدين إحساناً، والبر بهما أحياء وأمواتاً، وإن من البر أن يتعاهد الرجل أصدقاء والديه ويحسن كرامتهم، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه». رواه مسلم في صحيحه، وروى أبو داود وابن ماجه وغيرهما عن مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال: «بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله: هل بقي من بر أبَوَيَّ شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم، الصلاة عليهما ـ يعني الدعاء لهما ـ والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما».

فاتقوا الله عباد الله، واعملوا على البر بالوالدين والإحسان إليهما وفاءً لفضلهما وعرفاناً بجميل صنعهما، وطلباً لرضوانٍ من الله ورحمة.

التشويق إلى دار النعيم

الحمد لله الذي جعل الجنة مأوى أوليائه، وبوأها للمتقين من عباده، أحمده سبحانه وأشكره على عموم نواله، وسوابغ نعمائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك في ربوبيته وألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيلهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله وأطيعوه، واستقيموا على شرعه ودينه ولا تعصوه، وسارعوا إلى مغفرته ورحمته، وأجيبوا الداعي إلى دار كرامته ورضوانه، فلقد أعد الله عزّ وجلّ لأهل طاعته ومرضاته جنات تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها، هيأها للمؤمنين، وبوأها للمتقين، وأودع فيها من أصناف النعيم والخيرات، وأنواع الفضل والمسرات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٧].

جلّى لنا ربنا جل وعلا في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ ما أعد لأهل كرامته ورضوانه في دار الإقامة من الفوز العظيم، والملك الكبير، والنعيم المقيم في جنة عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين، أولئك هم الآمنون يوم الدين، يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، يحشرون يومئذ إلى ربهم وفدًا، ويساقون إلى الجنة زمرًا، ويناديهم المولى جلّ وعلا: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٨ ـ ٧٠]، أولُ زمرة منهم يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري أضاء في السماء، على خَلْق رجل

واحد، أبناءَ ثلاث وثلاثين، على صورة أبيهم آدم طوله سُتون ذراعًا وعرضه سبعة أذرع، تحيتهم فيها سلام، يسبحون الله بكرة وعشيًا لا يملون ولا يفترون ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ١٠]، وحين يستقر بهم المُقامُ في الجنة يناديهم المنادي مبشرًا: «إن لكم أن تصحّوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشُبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً» ويُحلُ عليهم المولى رضوانه فلا يسخط عليهم أبدًا.

نعم الدار دار المتقين، دار جلّ من سوّاها وبناها، دار طابت للأبرار منازلها وسكناها، دار تبلغ النفوس فيها مُنيتها ومناها، سقفها عرش الرحمن، وتربتها المسك والزعفران، وحصْباؤها اللؤلؤ والياقوت، وبناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، ﴿غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر: ٢٠]، رياضها مجمع المتحابين، وحدائقها نزهة المشتاقين، وخيام اللؤلؤ والدر على شواطىء أنهارها بهجةٌ للناظرين، ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥].

في الجنة يا عباد الله، يتزاورُ الأقارب والأصحاب، يجتمعون في ظلها الظليل، يتنازعون كؤوسَ الرحيق المختوم، والتسنيم والسلسبيل، ويتنادمون بأطيب الأحاديث، قد نُزع من قلوبهم الغِلُ والأحقاد، وطرد عنهم الهم والأحزان، أمنوا الموت والفناء واطمأنوا لدوام الخلود والبقاء في سرور وهناء ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٧، ٤٨] فاكهين بما آتاهم ربهم متنعمين ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة: ١٥ ـ ٢١]. في ظل ممدود، وخير غير محدود، وقطوف دانية للآكلين، وطعم لذة للطاعمين، وشراب لذة للشاربين، وحليةٍ زينةٍ للناظرين ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحج: ٢٣]، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف: ٧١].

من كمال نعيم أهل الجنة أنهم يأكلون ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا

يبولون، بل طعامهم ذلك جُشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس، لهم فيها أزواج مطهرة، خيرات حسان الوجوه، جمعن الجمال الباطن والظاهرَ من جميع الوجوه، في الخيام مقصورات، وللطرف قاصرات، كأنهن الياقوت والمرجان، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، لا يفنى شبابُهن، ولا يبلى جمالُهن، لو اطلعت إحداهن على الدنيا لملأت ما بينَ الأرض والسماء عطراً وطيباً، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ما في النجوم من ضياء، حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون، راضيات لا يسخطن أبداً، ناعمات لا ييأسن أبدًا، خالدات لا يَزُلن أبداً.

في جنات عدن يأتلف شمل أهل الجنة مع الصالحين من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، وملائكة الرحمن يدخلون عليهم من كل باب، بالسلام والترحيب والإكرام: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

ومعَ ما هم فيه من هذا النعيم المقيم، يتفضل عليهم المولى عزّ وجلّ بيوم المزيد، وما أدراك ما يوم المزيد، يومٌ يكشف فيه الرب الحُجُب، ويتجلى لأهل الكرامة، فيغشاهم من النور ما يغشاهم، وينظرون إلى وجهه الكريم، فيحصل لهم بذلك تمام السرور، وكمال النعيم الذي يقصر دونه كلّ فضل ونعيم ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، أولئك هم أصحاب الحسنى وزيادة.

فهذه بعض أوصاف جنات عدن وما أعد الله فيها من الإكرام والنعيم، فهل من مشمّر إلى تلك الدار، وسالكٍ إليها مسالكَ الأبرار، فلتلك الدار يا عباد الله: فليعمل العاملون، وفي الأعمال الموصلة إليها فليتنافس المتنافسون، فلقد جعلها الحق عزّ وجلّ مستقرًا لخاصته، وأهل كرامته، وملأها برحمته ورضوانه، وبوأها للمخلصين من عباده ﴿ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، الذين ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦١]، ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢ ـ ٦]، ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ

﴿ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المعارج: ٣٢، ٣٣]، ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الشورى: ٣٧]، الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم. أولئك هم عباد الله المقربون، حفظوا وصية الله ورعوا عهده، فأكرمهم سبحانه، وأورثهم جنته، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

اللّهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، اللّهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، برحمتك يا أرحم الراحمين، وبفضلك يا أكرم الأكرمين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله، اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وتذكروا أن الله عزّ وجلّ لم يخلق خلقه عبثًا، ولم يتركهم سدى، وإنما خلقهم لأمر عظيم، وخطب جسيم، عرضه على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنه، وأشفقن منه إشفاقًا، وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه عن حمله، وباء به على ظلمه وجهله، غير أن أكثر الناس قد استثقلوا حمل تلك الأمانة، وغفلوا عن حقيقة ما خلقوا له، استولت عليهم الغفلة، وغرتهم الأماني الباطلة، وخدعهم طول الأمل، وران على قلوبهم سوء العمل، وليس لهم هم إلا في لذات الدنيا وشهواتها كيف حصلت حصّلوها، ومن أي وجه لاحت أخذوها، وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثوابًا من الله ورضوانًا ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ [الروم: ٧].

فالعجب من سفيه في صورة حليم، ومعتوه في مسلاخ عاقل، لحظات حياته معدودة عليه، وكل نَفَسٍ من أنفاسه إذا ذهب لم يرجع إليه، ومطايا الليل والنهار تسرع به، ولا يتفكر إلى أين يحمل، ولا إلى أي الدارين ينقل، يؤثر الحظ الفاني على الحظ الباقي، ويبيع جنة عرضها السموات والأرض، فيها أنواع الملذات وأصناف النعيم بصبابة عيش إنما هو كأضغاث أحلام، أو كطيف زار في المنام،

مشوب بالنغص، ممزوج بالغصص، إن أضحك قليلاً أبكى كثيرًا، وإن سر يوماً أحزن شهوراً، آلامه تزيد على لذاته، وأحزانه أضعاف مسراته، أوله مخاوف، وآخره متالف.

فاتقوا الله رحمكم الله، وأقبلوا على ربكم وأطيعوه، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور، فما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.

الحث على الإخلاص والتحذير من الرياء

الحمد لله رب العالمين، يعلم ما تسرون وما تعلنون، وهو عليم بذات الصدور، أحمده سبحانه وأشكره على جزيل الفضل والإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلاَّم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيدُ الأنام، صلّى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام، ومن سار على هديهم وسلك سبيلهم إلى يوم المعاد.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، والتزموا مسالك الرشاد والهدى، فإنما تزكو النفوس وترتقي إلى مصاف المقربين الأبرار، بتحقيق الإيمان والتقوى، والاستقامة على نهج الحق والهدى، والإخلاص في العبادة والطاعة لله جلّ وعلا.

فإن الإخلاص لله تعالى مطلبٌ عزيز، ومقصد من مقاصد الدين عظيم، بدونه لا يصح من العبد طاعة، ولا يقبل منه عبادة، وما اتصف به مسلم إلا كان عنوان زكاء نفسه، وصدق إيمانه، وقوة يقينه، وهو سِرُّ الله تعالى يقذفه في قلوب العارفين من عباده، يقودهم به إلى جلائل الأعمال، ويحببهم في أحسن الفعال، ويبعث فيهم همماً عالية، وعزيمةً صادقة، ويربي فيهم روحاً طيبة طاهرة، وهو الذي يبرىء العمل من العيوب، ويُخَلِّصُ من المساويء والذنوب، وهو عماد الأعمال وسر النجاح، وسبيل السعادة والتوفيق في الحياة الدنيا وفي الآخرة، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]، ويقول سبحانه: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

أما حين يضعف داعي الإخلاص في النفوس، ويحل محلَّه الرياءُ وحبُ الشهرة

والثناء، فذلك دليل ضعف الإيمان، وقلة اليقين، وهبوط الهمة، وسقوط المنزلة عند الله والخلق، وما ذاك إلا لأن الرياء يا عباد الله داء عضال، وبلاء عريض، ما تمكن من قلوب إلا أعماها، ولا من نفوس إلا أذلها، ولا شابَ عملاً إلا أفسده وأحبطه، كما جاء في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه». رواه مسلم في صحيحه.

وإنه لما في الرياء من عظيم الخطر، وبالغ الضرر، وكثرة الابتلاء به، خافه رسول الهدى ﷺ على أمته، وبالغ في التحذير منه، فقد روى ابن ماجه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال، فقلنا: بلى يا رسول الله، فقال: الشرك الخفي، يقوم الرجل، فيصلي، فيُزَيِّنُ صلاته لما يرى من نظر رجل إليه».

قال بعض العلماء تعليقاً على هذا الحديث: «وإنما كان الرياء كذلك لخفائه، وقوة الداعي إليه، وعسر التخلص منه لما يزينه الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء في قلب صاحبه».

ألا وإن الرياء يا عباد الله من أسوأ ما يبتلى به بعض المتعبدين، ويقع فيه بعض الغافلين، رغبةً في استجلاب ثناء الناس ومدحهم، أو غير ذلك من حظوظ الدنيا.

وإن من مظاهر ذلك الإكثار من نوافل العبادات من صلاة وصيام وصدقة وإحسان على مرأى من الناس، أو الجهر بالذكر والاستغفار، وإظهار الخشية والخشوع في المجامع العامة، ولا سيما عند تلاوة القرآن، ليلفت بذلك أنظار الناس.

ومن مظاهر المراءاة عند البعض أن يتحدث لدى الآخرين عما يؤديه من أعمال صالحة، كأن يخبر عن نفسه بأنه يقوم من الليل، ويصوم كثيراً من الأيام، وأنه قد تصدق بكذا وكذا من الأموال، أو أن يذكر كم حجة حجها، وكم عمرة اعتمرها، أو أن يعدد ما يقوم به من أعمال الخير، وما يشارك فيه من أعمال البر، وربما ظل يردد ذلك أو يقصه ويخبر به المرة تلو الأخرى، حرصاً على إشاعة ذكره والتنويه بفضله، وبغية أن يُسلك في عداد العابدين، أو يوصَف بأنه من المحسنين، أو غير ذلك من المقاصد السيئة، والحظوظ الدنيوية الزائلة.

فكل ذلك وما شاكله ضرب من ضروب المراءاة في الطاعة، تستوجب بطلان تلك الأعمال، وتجلب غضب الجبار، ومقت الخلق لذلك المرائي وبغضَهم إياه، ولذا جاء التحذير من سلوك هذا المسلك، وبيان سوء عاقبة صاحبه على لسان رسول الهدى ﷺ حيث يقول: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمله لله أحداً، فليطلب ثوابه من عنده، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك». رواه الترمذي وابن ماجة.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أوَّل الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استُشهد، فأتي به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدت قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعَلَّمه، وقرأ القرآن فأُتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال تعلمت العلم وعَلَّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كلِّه، فأُتي به فعرفه نعمه، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن يُنفَق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أُمر به، فسحب على وجهه ثم ألقي في النار».

وجاء في بعض الروايات أن معاوية رضي الله عنه لما سمع هذا الحديث بكى بكاءً شديداً، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

وجاء في الحديث عند البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «من سَمَّع سَمَّع الله به، ومن يرآءِ يرآءِ الله به»، قال الإمام الخطابي ـ رحمه الله ـ تعليقاً على هذا الحديث: «أي: من عمل عملاً على غير إخلاص، إنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه، جوزي على ذلك بأن يَشْهَرَه الله ويفضحه، ويبدو عليه ما كان يبطنه ويُسِرُّه من ذلك».

فاتقوا الله عباد الله واجعلوا الإخلاص رائدكم، وما عند الله غاية آمالكم، وتذكروا على الدوام قول الحق عزّ وجلّ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله العلي الأعلى، يعلم السر وأخفى، أحمده سبحانه وأشكره على آلائه العظمى، ونعمه الكبرى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، نبيُه المصطفى وحبيبُه المجتبى، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى، وبدور الدجى، ومن سار على هديهم واقتفى.

أما بعد: فيا عباد الله: اتقوا الله تعالى حق التقوى، وتذكروا أن من دلائل صدق الإيمان، ومن الإخلاص لله تعالى في الأعمال أن يكون ظاهرُ المرء كباطنه، وعلانيتُه كسره، وأن يحرص على إخفاء ما يمكن من نوافل العبادة والطاعة، فإنه من هديه ﷺ، وهو نهج المخلصين من سلف هذه الأمة، وهداتِها الأعلام، وأئمتِها الأخيار، فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معرض التحذير من الرياء: «للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أُثني عليه، ويُنقِصُه إذا ذم به».

ورأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يطأطيء رقبته، فقال: «ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب».

ومر أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه على رجل في المسجد وهو ساجد يبكي في سجوده ويدعو، فقال له: «أنت، أنت! لو كان هذا في بيتك».

ولقد بلغ من خوف السلف الصالح من الرياء أن أحدهم ربما أخفى النوافل من عباداته حتى عن أهله وأولاده، حذراً من الرياء، وحرصاً على الإخلاص لله جلّ

وعلا، وكانوا يجتهدون في إخفاء عباداتهم إلا أن تترجح مصلحة إظهارها على إخفائها، كأن تكون من العبادات التي تشرع لها الجماعة، أو لكي يحصل الاقتداء به والتأسي، كما في الصدقات ونحوها، فقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧١].

فاتقوا الله عباد الله، ولتبتعدوا كل البعد عن الرياء والسمعة ولتُخلصوا لله تعالى أعمالكم، ولتبتغوا بها وجه الله والدار الآخرة، فما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.

الحث على شكر الله

الحمد لله على ترادف آلائه ونعمائه، ومزيد فضله وإحسانه، أحمده سبحانه وأشكره على جزيل عطائه وجميل نواله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته، وفي أسمائه وصفاته، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله خير من عبد ربه حق عبادته، وشكره حق شكره، صلّى الله عليه وعلى آله الأبرار، وأصحابه الأخيار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أيها المسلمون أوصيكم ونفسي بتقوى الله عزّ وجلّ، فإنها وصيته تعالى لعباده الأوائل والأواخر، بها تزكو النفوس، وتطمئن القلوب، وتسمو الضمائر، وبها ينال العبد شرف الدنيا وعز الآخرة، فاتقوا الله أيها المؤمنون حق التقوى، واتصفوا بها ظاهرًا وباطنًا، والتزموا شكر المولى جل وعلا على ما أسبغ عليكم من النعم العظمى، وما حباكم من خيرات تترى، ومنن تتوالى في أنفسكم وأهليكم، وفي جميع شؤونكم إذ كل ما في هذا الكون من نعم فإنما هي من فضله وجوده وحده كما قال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

عباد الله: إن أعظم نعم الله عليكم بعد نعمة الخلق والإيجاد هدايتكم إلى الدين الحق الذي ضل عنه كثير من الخلق.

فتلكم نعمة لا تعدلها نعمة، وفضل لا يوازيه فضل، أخرجكم الله به من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، واستنقذكم به من العذاب المهين إلى الرحمة والنعيم المقيم ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وإن من جليل نعم الله عليكم في هذه البلاد الطيبة ما تهنؤون به من أمن وارف، ورخاء شامل، وخيرات وافرة، ونعم متكاثرة ظاهرة وباطنة ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وإن هذه النعم المترادفة والخيرات المتوالية لتستوجب مزيدًا من الحمد والثناء، والشكر للمنعم المتفضل جلّ وعلا، فإنه ما حفظت النعم إلا بالشكر، ولا سلبت إلا بسبب الجحود والكفر كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧]. وشكره سبحانه إنما هو بالقيام بحقه الذي افترضه على العباد بأن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى وأن يستقام له على الدين الحق، استقامةً يظهر أثرها وتتجلى معالمها بدوام المراقبة له جلّ وعلا في القول والعمل، والاتجاه إليه تعالى بالطاعة والإنابة، والعبودية الخالصة في جميع الأوقات وعلى كل الأحوال، والكف عن المعاصي والذنوب، واجتناب الفواحش والآثام، والبعد عن مسالك الضلالة والغواية، فإن ذلك سبب دوام النعم الخاصة والعامة، وترادف الخيرات، وعموم البركات في البلاد وعلى العباد، كما وعد الحق بذلك في قوله سبحانه: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦]، قال بعض المفسرين في معنى الآية: أي لو استقاموا على طريق الحق والهدى، فكانوا مؤمنين مطيعين لوسع الله عليهم في الدنيا، ووهب لهم عيشًا رغدًا، وإنما ضرب سبحانه المثل بالماء الغدق وهو الكثير؛ لأن الخير والرزق في نزول الغيث كما قال عزّ شأنه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

وإن أسوأ ما تقابل به النعم يا عباد الله المعصية والضلالة، والتمادي في الإعراض عن الله وطاعته، فإن ذلك جحود للفضل، وتنكر لجميل المنعم المتفضل، يحمل على زوال النعم الحاضرة، ومنع الخيرات الوافدة، وحلول العقاب ونزول العذاب، وهو مقام العدل حين لا يجدي الفضل كما قال عزّ وجلّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال: ٥٣].

وإن مما يبعث على عظيم الأسى ما يرى من مظاهر الجحود للنعم، والتنكر

لجميل المنعم لدى كثيرين منا في ضروب من الغفلة عن الله تعالى والإعراض عن طاعته واقتراف الذنوب والمعاصي، والانسياق وراء الأهواء والشهوات، وضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك الحكم بما أنزل الله في كثير من بلاد الإسلام، ورفع ألوية الباطل بمختلف أنواعه من معتقدات باطلة، وبدع مستحدثة، وأفكار وافدة مخالفة لمنهج الحق والهدى، ودعوات مضللة، ودعايات منكرة، تتخذ من حبائل الشيطان وسيلة للإغواء والإغراء بالفتنة، عبر وسائل متنوعة، يأتي في طليعتها قنوات الاتصال ووسائل الإعلام المختلفة، وما يبث فيها من منكرات عظمى تتفطر لهولها قلوب أهل الإيمان واليقين، وتتألم لفظاعتها نفوس الغيورين على الحرمات والدين، فلتحذروا عباد الله من التمادي في العصيان والإسراف في الذنوب والآثام، ولتعملوا جاهدين في صد تلك الشرور والمنكرات، والحيلولة دون فشوها في بلاد الإسلام ومجتمعات المسلمين، فإنه ما ظهرت الفواحش والمنكرات في ديار إلا أهلكتها، ولا تمكنت من قلوب إلا أعمتها، ولا فشت في أمة إلا أذلتها حتى تدع الديار بلا نفع.

وإن من صدق الإيمان واليقين يا عباد الله أن لا يُغترَّ بحلم الله تعالى على الظالمين والعصاة، فإن الله تعالى يمهل ولا يهمل، وإنما يستدرج الظالمين بالنعم حتى يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون كما قال سبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦].

فلتحذروا بأسَ ربكم وسخطَه، وتحوُّلَ عافيته وفُجاءَةَ نقمته، ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ ﷺ قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [هود: ١٠٢، ١٠٣]، وروى الإمام أحمد والطبراني والبيهقي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم الله يعطي العباد ما يشاؤون على معاصيهم، فإنما ذلك استدراج، ثم تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾» [الأنعام: ٤٤، ٤٥]،

قال بعض العلماء: استدراج الله للعبد أنه كلما جدد ذنباً جدد له نعمة، وأنساه الاستغفار، فيزداد أشراً وبطراً بسبب تواتر النعم عليه، ظاناً أن تواترها تقريب من الله له، وإنما هو خذلان وتبعيد، ولذا قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «كم من مستدرَج بالإحسان إليه، ومغرور بالستر عليه، ومفتون بحسن القول فيه، وما ابتلى الله سبحانه أحدًا بمثل الإملاء له»، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣].

فاتقوا الله عباد الله، واشكروا نعم الله عليكم، وقيدوها بالطاعة، ومجانبة المعصية، واستجيبوا لأمر الرب العظيم، واستمعوا لوعده الكريم إذ يقول: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على فضلِهِ وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه سبحانه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون، اتقوا الله حق تقاته، واشكروه سبحانه على ما أسبغ عليكم من النعم الوافرة، وما أولاكم من المنن الضافية، شكرًا تلهج به الألسن، وتوقن به القلوب، وتصدقه الجوارح، بالاستقامة على الدين الحق، والسير على نهج الهدى، والمسارعة إلى مغفرة الله ورحمته صدقاً وإخلاصاً.

فإن المؤمن حقاً يا عباد الله هو من لا تزيده النعم إلا تواضعاً لله، وتذللاً بين يديه سبحانه، فكلما جدد الله تعالى له نعمة ازداد له عبودية وخضوعًا، وإنابة وخشوعًا ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان: ١٢].

فكونوا عباد الله ممن لا تزيده النعم إلا إقبالاً على الله، وتوجهًا إليه، ولا تكونوا ممن أبطرته النعم، فأعرض عن الله، واتبع هواه فكان من الغاوين ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

الحث على خشية الله

الحمد لله الذي خشعت لعظمته قلوب العارفين، واستكانت لعزته نفوس المتقين، أحمده سبحانه وأشكره أنار بفضله دروب السالكين، وخلع عليهم جلباب الإيمان واليقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أتقى الخلق وأخشاهم لله رب العالمين، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته البررة الصادقين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله حق تقاته فإنها زاد المؤمنين، ونهج الصالحين، وسبيل النجاة والفلاح يوم الدين، فاتقوا الله عباد الله، واتصفوا بصفات المتقين الأبرار الذين يخشون الله تعالى في الجهر والإسرار، فإن الخوف من الله عزّ وجلّ من صفات الكُمَّل، ونعوت الخلّص من العباد، وصف الله تعالى به ملائكته المقربين، وأنبياءه ورسله المصطفين، وعباده المؤمنين، فقال عزّ شأنه عن ملائكته: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠]، وقال عن أنبيائه ورسله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال في وصف عباده المؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١].

فقد وصف الحق عزّ وجلّ في هذه الآيات أولياءه المقربين بالجمع بين الإخلاص في العبودية والمسارعة إلى الطاعة، مع دوام الخوف والخشية، ولذا لما سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن معنى قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، فقالت: أهم الذين يشربون الخمر

ويسرقون؟ قال: (لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات). رواه الترمذي وغيره.

فكلما عظمت منزلة الرب في نفس العبد ازداد الله تعالى عبودية وإنابة، وخوفاً منه وخشية، وذلك دليل صدق الإيمان، ورسوخ القدم في مقام الإحسان، فإن من كان بالله أعرف كان منه أخوف، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨]، ولذا فحين بلغ رسول الهدى ﷺ كمال المعرفة بربه عزّ وجلّ، كان أتقى الخلق وأعظمهم خشية لله، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «والله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية». رواه البخاري في صحيحه، وروى الترمذي وحسنه أن رسول الله ﷺ قال: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطَّت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا ومَلك واضع جبهته ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفُرش، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله»، ولقد كان الصفوة الأخيار من سلف هذه الأمة من أشد العباد خوفاً، وأعظمهم لله خشية، حتى كان أبو بكر رضي الله عنه يقول: «وددت لو أني شعرة في جنب عبد مؤمن» ولما حضرته الوفاة قال: «والله لوددت أني كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد» وكان في وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطان أسودان من الدموع، ولما حضرته الوفاة وأثنى عليه الناس خيراً قال: «وددت أني أنجو لا أجر ولا وزر»، وكان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى تبتل لحيته ويقول: «لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي، لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير» وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه شديد الخوف، كثير البكاء، وأعظم ما يشتد خوفه من طول الأمل، واتباع الهوى، وكان يقول: «إنَّ طول الأمل يُنسي الآخرة، واتباعَ الهوى يصد عن الحق»، وكان عبدالله بن عباس رضي الله عنهما كثير البكاء حتى كان في أسفل عينيه مثل الشراك البالي من كثرة الدموع، وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير، ويبكي حتى تجري دموعه على لحيته. وقال الحسن البصري رحمه الله: «إن المؤمنين قوم ذلت منهم والله الأسماع والأبصار والجوارح، حتى

يحسبهم الجاهل مرضى، وإنهم والله الأصحاء ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمُهم بالآخرة، أما والله ما أحزنهم ما أحزن الناس، ولا تعاظم في قلوبهم شيء طلبوا به الجنة، إنه من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ومن لم ير لله عليه نعمة في غير مطعم أو مشرب، فقد قل علمه وحضر عذابه».

فمبعث الخوف والخشية هو عظمة الرب في نفس العبد، ومعرفة ما يجب له تعالى من صفات الكمال، ونعوت الجمال والجلال، وإحاطة علمه بكل شيء، وبالغ قدرته على كل شيء، ومعرفة العبد بعيوب نفسه، وتقصيرها في جنب الله، مع ما بين يديها وأمامها من الأهوال والشدائد يوم القيامة، فيمتلىء القلب حينئذٍ خشية لله عزّ وجلّ ووجلاً، حتى يثمر في نفس صاحبه سمواً في القصد، ونبلاً في الغاية، واتجاهاً إلى الله تعالى بالعبادة والطاعة في شتى دروبها ومختلف أنواعها، المفروضة منها والمسنونة، ومسارعة إلى مغفرة الله ورحمته، ومسابقة إلى فعل الخيرات، وحفظاً للنفس وصيانة لها عن الزلات والخطيئات، وتورعاً عن الشبهات، وزهداً في هذه الحياة، وإقبالاً على الله تعالى في السراء والضراء، فمن كان كذلك أورثه الله عزّ وجلّ في الدار الآخرة الأمنَ والطمأنينة، وأحل عليه رضوانه، وبوأه دار كرامته في ظل ظليل، ونعيم مقيم، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقال عزّ شأنه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢]، وقال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٨]، وروى ابن حبان وغيره بسند حسن عن النبي ﷺ أنه قال: قال عزّ وجلّ: «وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمْنَيْن، إن أمِنَنِي في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإن خافني في الدنيا أمَّنته يوم القيامة».

وإن هذا الجزاء الأوفى من الرب جلّ وعلا، ليحمل ذوي الألباب والنهى على العمل بأسباب الخشية والخوف من الله تعالى.

غير أن من عظيم الأسى ما يُرى في الكثيرين منا من ضعف الخشية من الرب جلّ جلاله، والغفلةِ عما يجب له من الإجلال والتعظيم، في مظاهر مألوفة في كثير

من بلاد الإسلام ومجتمعات المسلمين، من إهمال لشعائر الملة، وفرائض الدين، وفي طليعتها الصلاة التي هي عماد الدين، وترك الحكم بما أنزل الله تعالى في كثير من بلاد الإسلام، وضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والزهد في العلوم الشرعية، والاستخفاف بها، والتنقص لأهل العلم والصلاح، والاستطالة في أعراض عباد الله بالغيبة والنميمة واتباع الأهواء والشهوات، وما يشاهد من اقتراف لكبائر الذنوب كالتعامل بالربا، والتحايل على أكل أموال الناس بالباطل وشرب الخمور والمسكرات، وتعاطي المخدرات، وارتكاب الفواحش والموبقات، وفشو المنكرات، ورذائل الأخلاق، وخلع جلباب الحشمة والحياء، والتبرج والسفور في النساء، وارتفاع أصوات المعازف والمزامير، والمجاهرة بالفسوق والعصيان، والدعوة إلى ذلك دون خوف من الله، ولا حياء من عباد الله، وإضاعة الأوقات في اللهو والباطل من مطالعات ومشاهدات تصد عن ذكر الله وطاعته، وتضعف الديانة والمروءة، وتدعو للتحلل من الفضيلة، واستغلال البعض لأوقات الإجازة بالسفر إلى بلاد الكفر والضلال لمقاصد سيئة ومآرب محرمة، رغم ما يجلب ذلك عليهم وعلى مجتمعاتهم من مفاسد وأضرار عظمى، وغير ذلك من ضروب الغفلة عن الله، وصنوف الإعراض عن طاعة الله، مرد ذلك كله ومنشؤه، عدم إجلال الله تعالى، وضعف خشيته في القلوب، وقلة خوفه في النفوس لدى الكثيرين من أمة الإسلام إلا من رحم الله وقليل ما هم.

أفنحن يا عباد الله على الرغم مما نحن عليه من تقصير عظيم في جنب الله في مأمن من مكر الله بنا، وحلول عقابه علينا، أفلا نزدجر ونتعظ بقوارع التنزيل ومواعظه، فقد قال عزّ وجلّ: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٧ ـ ٩٩].

ولقد كان رسول الله ﷺ وهو في ذلك المجتمع الطاهر الذي لم تر البشرية له نظيراً في الصلاح والتقى إذا رأى الغيم تغير لونه، وأقبل وأدبر فإذا أمطرت السماء سري عنه، فقالت له عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله أرى الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية؟ فقال:

«يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا: هذا عارض ممطرنا» أخرجاه في الصحيحين.

فاتقوا الله عباد الله واقدروه تعالى حق قدره واخشوه حق خشيته تنالوا سعادة الدنيا وعز الآخرة فما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان: ٣٣].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله الذي ظهر لأوليائه بنعوت جلاله، وأنار قلوب أصفيائه بمشاهدة صفات كماله، أحمده سبحانه وأشكره على عظيم نواله، وسابغ عطائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في صفاته وأفعاله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد أنبيائه وصفوة خليقته صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله حق تقاته، واخشوه حق خشيته، وتذكروا أن خشية الحق عزّ وجلّ والخوفَ منه ليست بدعوى تقال في الألسن، ولا بعبرات تسكب من العيون، وتجري على الخدود، مع غفلة القلب وسهوه، وإنما الخوف الصادق ما أثمر صالح الأعمال، وكف عن المعاصي والآثام، وحمل على الزهد في الدنيا، والإقبال على الآخرة، ولذا قال بعض السلف: «ليس الخائف من يبكي ويمسحُ الدموع، وإنما الخائف من ترك ما يقدر عليه»، وقال بعض العلماء: «من ثمرات الخوف أنه يقمع الشهوات، ويكدر اللذات، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه إذا علم أن في سماً، فتحترق الشهوات بالخوف، وتتأدب الجوارح، ويذل القلب ويستكين، ويفارقه الكبر والحقد والحسد، ويصير مستوعب الهم لخوفه، والنظرِ في خطر عاقبته، فلا يتفرغ لغيره، ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة، والضِّنة بالأنفاس واللحظات، ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات، فقوة المراقبة والمحاسبة بحسب قوة الخوف، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى وصفاته، وبعيوب النفس، وما بين يديها من الأخطار والأهوال، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة».

الحث على حفظ اللسان والعناية بأدب الحديث(١)

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علمه البيان، أحمده سبحانه وأشكره، أمر بحفظ الجوارح عن الآثام والعصيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد الديان، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار صلى الله وسلم عليه، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى حق التقوى، فإنها جماع الخيرات، وسبيل السعادة والنجاة، بها تزكو النفوس، وتستقيم الألسن، وتصلح القلوب، فاتقوا الله تعالى في كل ما تقولون وتفعلون، ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله: إن دين الإسلام وهو الدين الكامل في أحكامه، الشامل في تشريعاته قد هدى إلى أرقى الأخلاق، وأرشد إلى أكمل الآداب، ونهى عن مساوىء الأفعال، ومستقبح الأقوال.

وإن مما وجه إليه الإسلام من الفضائل والآداب العناية بأدب الحديث، وحسن المنطق، وحفظ اللسان عن اللغو وفضول الكلام. فلقد أكرم الله تعالى بني آدم، وميزهم عن سائر الحيوان بنعمة العقل والبيان، وامتن سبحانه وتعالى بهذه النعمة على خلقه بقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [يس: ٧٧]، فحق هذه النعمة أن تشكر ولا تكفر، وأن يراعى فيها ما يجب لله تعالى من حفظ عن الحرام، وصيانة عن الآثام، فإن اللسان من أعظم الجوارح أثراً، وأشدها

(١) وهي آخر خطبة خطبها رحمه الله، وكانت في: ١٤٢٢/١١/٤ هـ.

خطراً، فإن استعمل فيما يرضي الحق وينفع الخلق كان من أكبر أسباب السعادة والتوفيق لصاحبه في الدنيا والآخرة، وإن استعمل فيما يسخط الجبار، ويضر بالعباد ألحق بصاحبه أكبر الأوزار وأعظم الأضرار.

ولذا عُني الإسلام بأمر اللسان أيما عناية، فحث ربنا جل وعلا في محكم التنزيل، وعلى لسان سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه على حفظ اللسان، وصيانة المنطق، ومجانبة الفحش والبذاء، فقال جلّ وعلا: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء: ٥٣].

ووصف الله عزّ وجلّ ذوي الإيمان وأرباب التقى بالإعراض عن اللغو، ومجانبة الباطل من القول، فقال عزّ شأنه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٣]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥].

فحفظ اللسان عن المآثم والحرام عنوان على استقامة الدين، وكمال الإيمان كما في الحديث عند الإمام أحمد وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» بل إن جوارح الإنسان كلها مرتبطة باللسان في الاستقامة والاعوجاج، فقد روى الترمذي في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفِّر اللسان، تقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا» قال الإمام النووي رحمه الله: «معنى تكفِّر اللسان، أي تذل له وتخضع».

وإن حفظ المرء للسانه وقلة كلامه عنوان أدبه، وزكاء نفسه، ورجحان عقله كما قيل في منثور الحكم: «إذا تم العقل نقص الكلام»، وقال بعض الحكماء: «كلام المرء بيان فضله، وترجمان عقله، فاقصره على الجميل، واقتصر منه على القليل».

وإن المسلم الواعي ليحمله عقله، ويدفعه إيمانه إلى الاعتناء بحسن اللفظ،

وجميل المنطق حين يرى المقام يدعو إلى الكلام، وإلا آثر الصمت، ولزم الكف طلباً للسلامة من الإثم، عملاً بتوجيه رسول الهدى ﷺ في قوله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت». أخرجاه في الصحيحين. فحسن التعبير عما يجول في النفس أدب رفيع، وخلق كريم، وَجَّه الله تعالى إليه أهل الديانات السابقة، وأخذ عليهم به العهد والميثاق، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وإن الطيب من القول ليجمل مع كل أحد من الناس، سواء في ذلك الأصدقاء أو الأعداء، فهو مع الأصدقاء سبب لاستدامة الألفة والمودة، وأما حسن الكلام مع الأعداء فإنه مما يذهب وحَرَ الصدور، ويسل السخائم، ويطفىء الخصومات، كما قال سبحانه: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

أيها المسلمون: إن للسان آفات عظيمة، وإن للثرثرة وفضول الكلام مساوىء كثيرة، وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التحذير من ذلك: «من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه». وقال بعض السلف: «أطول الناس شقاء، وأعظمهم بلاء من ابتلي بلسان منطلق، وفؤاد منطبق». فمن الحزم والرشاد اجتناب فضول الكلام، وحفظ اللسان عن كل ما لا ينفع ولا يفيد في أمر دين أو دنيا، إذ بهذا وصى رسول الهدى ﷺ أمته وحثها عليه، فقد روى الترمذي وغيره أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «كف عليك هذا وأشار ﷺ إلى لسانه فقال معاذ: يا رسول الله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به، فقال ﷺ: ثكلتك أمك يا معاذ!، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم». وروى الترمذي وغيره عن سفيان الثقفي رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله: ما أخوف ما تخاف علي؟ قال: فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه، ثم قال: هذا».

ولأجل ذا كان سلف هذه الأمة وخيارها يخشون خطر اللسان، ويحاذرونه غاية الحذر، فكان أبو بكر رضي الله عنه يخرج لسانه، ويقول: «هذا الذي أوردني شر

الموارد»، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «والله الذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان»، وقال عطاء بن أبي رباح رحمه الله: «أما يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفته التي أملاها صدرَ نهاره أن يكون أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه».

فاللسان يا عباد الله حبل مرخي في يد الشيطان يصرف صاحبه كيف يشاء إن لم يلجمه بلجام التقوى، أما حين يطلق للسانه العنان، لينطق بكل ما يخطر له ببال، فإنه يورده موارد العطب والهلاك، ويوقعه في كبائر الإثم وعظيم الموبقات، من غيبة ونميمة، وكذب وافتراء، وفحش وبذاء، وتطاول على عباد الله، بل وربما أفضى بالبعض إلى أن يجرد لسانه مقراضاً للأعراض، بكلمات تنضح بالسوء والفحشاء وألفاظ تنهش نهشًا، فيسرف في التجني على عباد الله بالسخرية والاستهزاء، والتنقص والازدراء، وتعداد المعايب، والكشف عن المثالب، وتلفيق التهم والأكاذيب وإشاعة الأباطيل، لا يحجزه عن ذلك دين، ولا يزعه عنه مروءة أو حياء، كأنه لم يسمع قوله عزّ شأنه: ﴿سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾ [ق: ١٨]، وأين هو من قوله عليه الصلاة والسلام: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء» رواه الترمذي وحسنه. وروى البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يهوي بها في جهنم».

وإن البلاء ليعظم حين يُرى من عليه سيما العلم والصلاح، وهيئات الوقار والاحتشام يسفر عن فحش وبذاء، حتى لا يدع لصاحب فضل فضلاً، ولا لذي قدر قدراً، يحمل عليهم الحملات الشعواء، أحياء وأمواتاً، لزلة لسان، أو سبق قلم، أو لموقف خاص معهم، وقد لا يكون شيء من ذلك، وإنما هو الحسد والبغي، أفلا حجزه عن ذلك عقل وخلق إن لم يمنعه دين وتقى، أولا يمنعه من ذلك ما يعلمه من عيوب نفسه، وكثرة مثالبه، وقد قال بعض السلف لمن سمعه يقع في أعراض الناس: «قد استدللنا على كثرة عيوبك بما تكثر من عيوب الناس».

فاتقوا الله عباد الله ولتحفظوا ألسنتكم وسائر جوارحكم عما حرم الله تعالى عليكم، ولتتذكروا على الدوام قول الحق جلّ وعلا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ

قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه العظمى، وآلائه التي تترى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلي الأعلى، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، النبي المصطفى، والخليل المجتبى، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه، أئمة الهدى، وبدور الدجى، ومن سار على هديهم واقتفى، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا عباد الله: إن المتأمل في واقع المجتمعات اليوم ليروعه أن أكثر ما تنشغل به الكثرة الكاثرة من الناس في المجالس والمنتديات، وما يبث عبر وسائل الإعلام المختلفة غالبه من لغو الكلام، وفضول القول، تميل إليه الأنفس وتصغي إليه الآذان، وتلوكه الألسن، ثم لا تعود منه بطائل ولا تخرج منه بفائدة، بل غالبه يعود بالضرر في العاجل والآجل، وكل ذلك ليس من هدي الإسلام وآدابه، لأن الإسلام يكره اللغو والفضول، والانشغال بسفاسف الأمور، ويحب معاليها وفضائلها، وقد قال سبحانه: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

فاتقوا الله رحمكم الله ولتلتزموا تعاليم الإسلام، وتتأدبوا بآداب أهل الإيمان، ولتحفظوا ألسنتكم عن الحرام، فمن وقي شر لسانه فقد وقي شراً عظيماً، ومن استعمل لسانه في الخير والطاعة، والمباح من الكلام وفق للسداد والكمال، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فضيلة الذكر وشرف الذاكرين

الحمد لله ولي الصالحين، ومثيب الطائعين، ومجزل العطاء للذاكرين الشاكرين، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين، وسيد الذاكرين، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الأكرمين، ومن سار على هديهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، فإنها أعظمُ وصية، وخيرُ لباس وحِلْية، كما قال سبحانه: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، فاتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السِّر والنجوى، ولتعلموا عباد الله أن من أَجَلِّ خصال التقوى، ومن أفضل ما تقرب به العبد إلى ربه جلّ وعلا: الإكثار من ذكره تعالى، فإن ذكره عزّ وجلّ أفضلُ ما صرفت فيه الأوقات، وعمرت به الأزمان، وأجهدت في سبيله المهج والنفوس، وهو الحصن الحصين من المخاوف، والدرع الواقي من المهالك، والحامي عن نزغات الشيطان والهوى، والحارس عن المآثم والردى، به تُستنزل الرحمات، وتُستدفع الآفات، وتُفرج الكربات، وبه تحيا النفوس، وتنشرح الصدور، وتطمئن القلوب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

وذكر الله تعالى أجلُّ وأكبر من كل شيء كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وهو باب الله الأعظم، المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يُغلقه العبد بغفلته، فهو الذي يوصل الذاكر إلى المذكور، حتى يدع الذاكرَ عند ربه مذكوراً كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢]، وفي الحديث القدسي المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في

نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم».

أيها المسلمون: لقد عظَّم الحق عزّ وجلّ شأن الذِّكْر، وأشاد بالذاكرين، وأعلا مقامهم بين العالمين، وخلع عليهم من حُلل الرضا والقبول، وأعد لهم من جزيل الفضل وسابغ النعيم ما يحمل على سلوك سبيلهم، والاهتداء بهديهم، فقد قال سبحانه منوهاً بشأنهم: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال عزّ شأنه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]، وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

فالمسلم الحق الذي فتح الله تعالى بصيرته، ونور سريرته، قلبُه عامر بذكر الله على كل حال، ولسانه رطبٌ من ذكر الله كل حين وآن، به يَفتتح يومه، وبه يختمه، ويلازمه فيما بين ذلك، امتثالاً للتوجيه الإلهي، إذ يقول عزّ شأنه: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]، ويقول سبحانه مُوَجِّهاً نبيه ﷺ وهو توجيه للأمة كافة: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، فكان رسول الهدى ﷺ ملازماً للذكر على كل أحواله، وفي جميع أوقاته، ووجَّه الأمة إلى الإكثار من ذكره تعالى، منوهاً بما أعد الله للذاكرين والذاكرات من عظيم الأجر وجزيل العطاء، فروى الترمذي والحاكم وصححه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله»، وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبق المفرِّدون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الذي يذكر الله والذي لا يذكره مثل الحي

والميت». رواه البخاري في صحيحه.

ولقد حث ربنا جلّ وعلا في آي كثيرة من كتابه، وفي أحاديث كثيرة على لسان رسوله ﷺ على الإكثار من الذكر مطلقاً ومقيداً، وندب إليه مؤقتاً ومؤبداً.

وإن أفضل أنواع الذكر: تلاوة كتاب الله الكريم، فإن فضل كلام الله تعالى على غيره كفضل الله تعالى على خلقه، وإن من دلائل توفيق الله للعبد أن يداوم على تلاوة كتاب الله كلَّ يوم، إذ فيه الهدى والنور، والشفاءُ لما في الصدور ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

ويلي كلام ربنا تعالى في الشرف والفضيلة، تمجيدُه تعالى وتعظيمُه بالتهليل والتحميد والتسبيح والتكبير، وغيرِ ذلك من أنواع الأذكار التي ورد الحث عليها فيما صح عنه ﷺ من أخبار، فقد روى الترمذي وحسنه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم عليه الصلاة والسلام ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرىء أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة فقلت: بلى يا رسول الله قال: لا حول ولا قوة إلا بالله» رواه الشيخان، ولهما أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

فهذه طائفة من الأذكار المطلقة التي حث عليها الشارع، وندب المسلم أن يلهج بها كل وقت وعلى كل حال، كما شرع الإسلام أذكاراً مقيدة، وجعل لكل وقت من الأوقات، وكل حالة من الحالات ذكراً خاصاً يناسبه ويلائمه كي يظل العبد مرتبطاً بربه ويكون محفوظاً بحفظ الله من كل ما يحاذر ويخشى، فشرع الإسلام أذكاراً للصباح وللمساء، وعند النوم والاستيقاظ، وفي أدبار الصلوات، وعند دخول المسجد والخروج منه، وعند الخروج من المنزل ودخوله، وعند ركوب وسيلة النقل، وعند السفر والقدوم، وعند الأكل والشرب واللباس ولقاء الأهل، وعند

العطاس، وعند رؤية أهل البلاء، وعند حلول المصائب، وعند تجدد النعم، واندفاع النقم، وغير ذلك من أنواع الأذكار المقيدة بوقت من الأوقات، أو حالة من الحالات.

وإن من دلائل الإيمان الصادق، ورسوخ القدم في مقام الإحسان، أن يحافظ المرء على تلك الأذكار والأوراد، وأن يذكر الله تعالى حقاً وصدقاً، ذكراً يملأ القلب إيماناً ويقيناً، وخشيةً لله وإجلالاً، ويظهر أثر ذلك في المحافظة على الفرائض والواجبات، والكف عن الزواجر والمحرمات، حتى لا يراه تعالى حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره.

عباد الله: إن الله عزّ وجلّ حين أمر العباد بالإكثار من ذكره، نهى أيضاً عما يضاد ذلك، فحذر تعالى عن الغفلة عن ذكره، وندد بالغافلين، ونهى عن سلوك سبيل اللاهين، فقال عزّ شأنه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال عزّ وجلّ: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾ [النجم: ٢٩].

فنسيانُ ذكرِ الله تعالى، والغفلةُ عنه من أسوأ ما يصاب به المرء، وأعظمِ ما يبتلى به العبد، وهو دليل استيلاء الشيطان عليه، وانقياده إليه، ومن استحوذ عليه الشيطان قاده إلى الغواية والضلالة في مختلف دروبها، وشتى مسالكها حتى يخسر دنياه وآخرتَه، وذلك هو الخسران المبين، يقول عزّ وجلّ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩].

ولقد حذر القرآن أهلَ الإيمان من الانشغال بالأموال والأولاد عن ذكر الله، وتوعد من فعل ذلك بسوء العاقبة ومنتهى الخسران، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩].

وإن مما يؤسى له عظيم الأسى ما يُرى من غفلة عن ذكر الله وطاعته في كثير من بني الإسلام، وإن من مظاهر ذلك ما يُرى من مخالفات لدين الله وشرعه، كالتعلق بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وإهمال لشعائر الإسلام، وفي طليعتها الصلاة التي

هي عماد الدين، وترك الحكم بما أنزل الله في كثير من بلاد المسلمين، وما يشاهد من اقترافٍ لكبائر الذنوب، وارتكابٍ للفواحش والآثام، وفشو المنكرات، ورذائل الأخلاق، ومستقبح العادات، وخلع جلباب الحشمة والحياء، والتبرج والسفور في النساء والإغراء بالفتنة، وارتفاع أصوات المعازف والمزامير، وغير ذلك من بلاءٍ عريض وفساد كبير، وخطرٍ عظيم على الديانة والأخلاق، يساعد على ذلك ويُذْكيه وسائلُ الإعلام المختلفة ولا سيما ما يبث عبر فضائياتها العالمية، فإلى متى الغفلة يا عباد الله عما يجب له تعالى من ذكر وإنابة، واستقامة على نهج الهدى، وبعدٍ عن مزالق الشيطان وسبل الشر والضلال.

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا مما حذركم الله منه بقوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر: ١٩]، ولتعمروا أوقاتكم أيها المؤمنون بذكره سبحانه على الدوام، ذكراً تلهج به الألسن وتوقن به القلوب ويحمل على حفظ واجبات الدين، وشرائع الإسلام، ويقود إلى جلائل الأعمال حتى يُسلك صاحبُه في عداد المتقين، ويرتقي إلى مصافِّ الأبرار المقربين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٣].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله تعالى حق تقاته، وأكثروا من ذكره وشكره، فذلك سبيلُ الصالحين، ونهجُ المتقين، وطريقُ الفلاح يوم الدين ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ [الجمعة: ١٠].

وإن للذكر من عظيم الآثار، وجليل الفضائل، ما يحمل أهل الإيمان والتقوى على ملازمته في السر والنجوى، يقول العلامة ابن القيم رحمه الله في بيان بعض منافع الذكر، ووصف حال الذاكرين: «الذكر هو منشور الولاية، الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عُزل، وهو قوت قلوب المؤمنين، به يَستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون به عليهم المصيبات، إذا أظلهم البلاء فإليه مَلجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي بها يتقلبون، ورؤوس أموالهم التي بها يتجرون، وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقاً، ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقاً، وإذا واطأ في ذكره قلبُه للسانه نسي في جنب ذكره تعالى كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضاً من كل شي، به يزول الوَقْرُ عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار، زين الله تعالى به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين».

فاتقوا الله عباد الله وأكثروا من ذكره سبحانه آناء الليل وأطراف النهار، وصلوا وسلموا على سيد الذاكرين الأبرار، كما أمركم بذلك العزيز الغفار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

من فضائل الاستغفار

الحمد لله رب العالمين، يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون، أحمده سبحانه وأشكره على مزيد فضله وعموم نعمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عم بجوده ورحمته جميع خلقه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وحبيبه وخليله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، وتقربوا إليه جل وعلا بصالح الأعمال، وكثرة التوبة والاستغفار، فإن الله تعالى وهو اللطيف الخبير قد علم ما في الخلق من ضعف، وما هم عليه من قصور ونقص قد يحملهم على ارتكاب الذنوب واقتراف المعاصي، ففتح لهم سبحانه باب الأمل والرجاء في العفو والمغفرة، وأمرهم أن يلجؤوا إلى ساحات كرمه، وخزائن فضله، فهو سبحانه رحيم بمن رجاه، قريب ممن دعاه، والخطأ والتقصير مما جبل عليه البشر، والسلامة من ذلك مما لا مطمع فيه لأحد فقد قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم في صحيحه: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم».

وإن شأن الكُمَّل من أهل التقوى وأرباب الهدى أنهم إذا أذنبوا استغفروا وإذا أخطأوا تابوا، كما قال عليه الصلاة والسلام: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما.

وإن من واسع فضل الله على العباد أنه يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، وأنه تعالى يغفر الذنوب كلها، فعلى المرء أن

لا يقنط من رحمة ربه وإن عظمت ذنوبه، وكثرت آثامه، فقد قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ [الحجر: ٥٦]، وروى الترمذي وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة».

ولقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ وهو أتقى الخلق بإخلاص الدين وإدامة الاستغفار فقال عزّ وجلّ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، فكان ﷺ ملازمًا للاستغفار آناء الليل وأطراف النهار، حتى قال عن نفسه ﷺ: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» رواه البخاري في صحيحه.

وروى أبو داود والترمذي وصححه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة يقول: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم) وهكذا شأن أرباب العزائم، وأهل الإيمان الخلَّص يلجأون إلى الله على الدوام ويكثرون التوبة والاستغفار صادقين مخلصين، غير يائسين ولا مصرين، قد ملأت خشية الله قلوبهم، ورسخت في مقام الإحسان أقدامهم، فهم بين مراقبة ربهم، وشهود أعمالهم ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ۝١٧﴾ [آل عمران: ١٦، ١٧] أولئك هم العارفون المتقون، يؤدون الفرائض، ويكثرون من الطاعات والنوافل ثم يسارعون إلى الاستغفار خشية التقصير أو الإخلال فيما قدموا من صالح الأعمال ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨] ورسول الله ﷺ بعد أن فرغ من تبليغ رسالة ربه وبلَّغ البلاغ المبين أمره ربه أن يكثر من الذكر والاستغفار فقال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [سورة النصر]، وكان عليه الصلاة والسلام إذا فرغ من صلاته بادر إلى الاستغفار، وحجاج بيت الله الحرام مأمورون بالاستغفار بعد الإفاضة من عرفة والمشعر الحرام

﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٩].

عباد الله: إن من رحمة الله بكم، ومزيد فضله عليكم ما رتب على الاستغفار من عظيم الجزاء، وسابغ الفضل والعطاء، فإن كثرة الاستغفار والتوبة من أسباب تنزل الرحمات الإلهية والألطاف الربانية، والفلاح في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه: ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النمل: ٤٦] وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١].

وإذا كثر الاستغفار في الأمة، وعم أفرادها، وصدر عن قلوب موقنة مخلصة دفع الله به عن العباد والبلاد ضروبًا من البلاء والنقم، وصنوفًا من الرزايا والمحن، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وإن من آثار الاستغفار أنه سبب لنزول الغيث المدرار، وحصول البركة في الأرزاق والثمار، وكثرة النسل والنماء، كما قال سبحانه حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢] والمستغفرون يمتعهم ربهم متاعًا حسنًا، فيهنئون بحياة طيبة، ويسبغ عليهم سبحانه مزيدًا من فضله وإنعامه ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ [هود: ٣]، وفي ملازمة الاستغفار تفريج الكرب والهموم، والمخرج من ضائقات الأمور، وحصول الرزق من حيث لا يحتسب العبد، ففي الحديث عند الإمام أحمد وأبي داود وابن ماجة: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب».

فهذه يا عباد الله بعض فضائل الاستغفار ومنافعه جلاها لنا ربنا في كتابه، وأفصح عنها رسوله ﷺ فيما صحّ من خبره، تحمل أهل الإيمان وأرباب التقوى على البدار بالتوبة وكثرة الاستغفار، غير أن هذه المنح الإلهية والفضائل الربانية إنما تحصل للمستغفرين الله تعالى حقًا وصدقًا، إذ الاستغفار ليس بأقوال تردده الألسن، وعبارات تكرر بين الحين والآخر فحسب، وإنما الاستغفار الحق ما تواطأ عليه القلب

واللسان، وندم صاحبه على ما بدر منه من ذنوب وآثام، وعزم أن لا يعود إلى ما اقترف من ذلك، إذ هذه أركان التوبة النصوح التي أمر الله تعالى بها العباد، ووعد عليها تكفير الخطيئات والفوز بنعيم الجنات، فقال عزّ شأنه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [التحريم: ٨]، قال الإمام القرطبي رحمه الله: «قال علماؤنا: الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عُقَد الإصرار، ويثبت معناه في الجنان، وليس التلفظ بمجرد اللسان، فمن استغفر بلسانه، وقلبه مصر على معصيته فاستغفاره يحتاج إلى استغفار»، وقال بعض العلماء: «من لم يكن ثمرة استغفاره تصحيح توبته فهو كاذب، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزىء بربه».

فاتقوا الله عباد الله وتذكروا أن في حوادث الزمان وفجائع الأيام ما يحمل أولي الألباب والنهى، وذوي الإيمان والتقوى، على الاعتبار والادِّكار، والعودة إلى الله الواحد القهار، والاعتصام بهدي القرآن، واقتفاء هدي سيد الأنام، والإقبال على طاعة الله ومرضاته، وكثرة التوبة والاستغفار، فإن ذلك من أعظم الأسباب في حلول الأمن في البلاد، وإضفاء الطمأنينة في نفوس العباد، وهو وحده الكفيل بحفظ أمة الإسلام في كافة بلادها، ومختلف مجتمعاتها من كل ما تخشى وتحاذر، فأقبلوا على ربكم وأطيعوه واستغفروه وتوبوا إليه فقد قال عزّ شأنه: ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر: ٥٣، ٥٤].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون وتذكروا أنه لن يخرج أحد من هذه الحياة الدنيا حتى يرى الحسن من عمله، والسيء منه، وإنما الأعمال بالخواتيم، وما الليل والنهار إلا مطيتان، فأحسنوا السير فيهما إلى الآخرة، ولتحذروا التسويف والتفريط، ولا تكونوا ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة لطول الأمل، فإن الآجال مغيبة، والموت يأتي بغتة، ولا يغترنَّ أحدكم بحلم الله عزّ وجلّ، فإن الله يمهل ولا يهمل، وإن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله.

وإن من نفاذ البصيرة وصدق الإيمان: كثرة التوبة والاستغفار على الدوام، فذلك هدي رسول الهدى ﷺ مع أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «ما رأيت أكثر استغفارًا من رسول الله ﷺ»، وإن مما صح عنه عليه الصلاة والسلام من جوامع أدعية الاستغفار ومما وجه الأمة إليه، ما روى البخاري في صحيحه عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللّهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها من النهار موقناً فمات

من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان قد فرّ من الزحف» رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه.

وفي الصحيحين أنه ﷺ كان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللّهم ربنا وبحمدك اللّهم اغفر لي».

وروى مسلم في صحيحه أن من آخر ما كان يقول ﷺ في صلاته قبل التسليم: «اللّهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت».

فاتقوا الله عباد الله وبادروا بالتوبة، ولازموا الاستغفار، وتعرضوا لنفحات ربكم في الجهر والإسرار.

الحث على الزواج وتيسير أسبابه

الحمد لله ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعلى: ٢-٣]، ﴿ خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٤]، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه العظمى، وآلائه التي تترى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلي الأعلى، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، النبي المصطفى والخليل المجتبى، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه، أئمة الهدى وبدورِ الدجى، ومن سار على هديهم واقتفى.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، فإن في تقواه السعادة في الدنيا، والفلاح في الأخرى، فاتقوا الله تعالى في أنفسكم وأهليكم ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

عباد الله: السعادة في هذه الحياة مطلب عظيم، ومقصد جليل يسعى إليها كل حي، ينشدها بكل وسيلة، ويطلبها في كل سبيل، غير أن السعادة والطمأنينة في هذه الحياة لا تحصل إلا بما شرعه الله عزّ وجلّ لعباده، وما أرشدهم إليه من طاعته ومرضاته، والأخذ بما وضع الحق جلّ وعلا من سنن، وما شرع من أسباب.

وإن مما شرع الله عزّ وجلّ من أسباب السعادة وجبل النفوس عليه: الارتباط برباط الزوجية، فإنه من أعظم أسباب السعادة في هذه الحياة، وحصول الطمأنينة والسكينة، وهدوء البال، وراحة النفس، متى ما تحقق الوئام بين الزوجين، وكتب التوفيق لهما، ولذا امتن الله تعالى على عباده بهذه النعمة، فقال سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١]، وفي الحديث عند الإمام أحمد وغيره بإسناد صحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أربع من السعادة.. وعَدَّ منها ﷺ الزوجة الصالحة».

وروى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة».

فالنكاح من سنن المرسلين، وهدي الصالحين، وقد أمر به ربنا جلّ وعلا في كتابه بقوله: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣﴾ [النساء: ٣]، كما رغَّب فيه سيد المرسلين ﷺ بفعله، وحث عليه بقوله: «وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني» ووجّه ﷺ شباب الأمة إلى المبادرة بالزواج، حينما يجد أحدهم القدرة على تحمل المسؤولية، والقيام بشؤون الحياة الزوجية حيث قال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». رواه البخاري ومسلم.

وأرشد ﷺ مريد النكاح إلى اختيار الزوجة الصالحة ذات الدين القويم، والخلق الكريم، والمنشأ الطيب، الودود الولود فقال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك». أخرجاه في الصحيحين. وروى أبو داود والنسائي عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم». وما عناية رسول الهدى ﷺ، وحثه على اختيار المرأة الصالحة إلا لما يُؤَمَّل منها من قيام بالحقوق الزوجية، ورعاية شؤون الزوج وتربية الأولاد، وبناء الأسرة على أسس من التقوى والإيمان.

أما حين تكون الزوجة ضعيفة الديانة، سيئة الخلق، فإنه لا يؤمّل منها بناء أسرة صالحة، ولا يتحقق بسببها هناء ولا سعادة، بل قد تكون سبب عناء وبلاء على الزوج، ولذا جاء التحذير من الانخداع بجمال المرأة الظاهر دون نظر إلى الجمال الحقيقي، والمتمثل في الدين، ومكارم الأخلاق، وطيب المنشأ، فقد روي عنه ﷺ قوله: «لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين». رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما. فما هذه التوجيهات النبوية يا عباد الله إلا مظهر من مظاهر عناية الإسلام بأمر النكاح، وتوجيه الزوج نحو ما يحقق له حياة هنيئة، وسعادة زوجية.

أما فيما يتعلق بالزوجة فإن من عناية الإسلام بأمرها ما وجه إليه أولياء أمور النساء من ترغيبهن في النكاح، والحرص على تزويجهن بالأكفاء، وقبول الخاطب إذا خطبهن، والحذر من رده متى كان صالحاً في دينه مستقيماً في أخلاقه، فقد جعل رسول الله ﷺ ذلك هو المعيار للقبول أو الرد، دون اعتبار لغير ذلك من معايير تواطأت عليها بعض المجتمعات، وتعارف عليها بعض الناس مما لا أصل له في دين الإسلام، بل ربما ترتب عليها من المفاسد والأضرار ما لا يعلمه إلا الله، ولذا قال ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض». رواه الترمذي وابن ماجه.

وإن مما يؤسى له يا عباد الله أن يعمد بعض الأولياء إلى عضل من تحت ولايته من النساء من بنات وأخوات لأطماع مادية، أو لعادات اجتماعية، لا أصل لها في شريعة الإسلام فيُلحق بمولياته من عظيم الضرر، وشديد الحسرة والألم ما الله به عليم.

ألا يتق الله أولئك الأولياء بهذا الصنيع الذي يستوجب غضب الله تعالى عليهم، ومساءلتهم عنه يوم القيامة، فقد قال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

أيها المسلمون: لقد شرع الله عزّ وجلّ النكاح لمصالح الخلق، وعمارة هذا الكون، ففي النكاح مصالح عظمى، ومنافع كبرى، وإنه بقدر عناية المجتمع، وحرص الأمة على أمر النكاح، والسعي في تزويج الناشئة، وتسهيل سبل النكاح، وتيسير أسبابه، يتحقق للأمة ما تؤمل من سعادة أبنائها، وحصول الأمن والطمأنينة في مجتمعاتها، غير أن الواقع المؤلم أن كثيراً من المجتمعات المسلمة اليوم قد ابتعدت عن هدي الإسلام وتشريعاته الداعية إلى تسهيل سبل النكاح وتيسير أسبابه، حيث يغالي البعض في طلب المهور العالية، والتكاليف الباهظة، ويسرفون في إقامة الولائم والحفلات، ويبذلون في سبيل ذلك الأموال الطائلة التي تبدد مال الأغنياء، وتثقل كاهل الفقراء، مما كان عائقاً لكثيرٍ من الشباب عن الإقدام على الزواج، لعجزهم عن أعبائه وتكاليفه، ومما ترتب عليه أيضاً حرمان كثير من الفتيات عن حقهن المشروع في الزواج، وعضلهن عن النكاح بالأكفاء، فكم في المجتمعات المسلمة يا عباد الله

من فتيان وفتيات قد حيل بينهم وبين ما جبلوا عليه من الرغبة في النكاح، وبناء الأسرة، والعيش تحت ظلها الوارف، بسبب تكاليف الزواج الباهظة، أو بسبب بعض العوائق من العادات والتقاليد الاجتماعية المخالفة لهدي الإسلام وتعاليمه، مما أدى إلى مفاسد وأضرار عظمى في بعض المجتمعات المسلمة، وانحراف بعض الناشئة عن طريق العفاف والفضيلة.

ألا فلتتقوا الله عباد الله، ولتتضافر منكم الجهود، ولا سيما من ذوي التأثير في المجتمع من العلماء والوجهاء، والمصلحين والمفكرين وحملة الأقلام ورجال الإعلام في الحث على تسهيل أمور النكاح، وتيسير أسبابه ووسائله، ونشر الوعي العام بذلك في المجتمعات المسلمة تحقيقاً لمصالح الأمة، ودرءاً للأضرار والأخطار عنها، فقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: ٣٢].

بارك الله لي ولكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه سبحانه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، وأتباعه.

أما بعد: فيا عباد الله: اتقوا الله تعالى في كل ما تأتون وتذرون، وتَلَمَّسوا أسباب الخير والبركة في كل ما تريدون وتقصدون، ولتعلموا أن أقوى الأسباب في حلول البركة في الزواج وحصول التوفيق فيه، صلاحُ الزوجين، واستقامتهما على طاعة الله ومرضاته، وتحليهما بآداب الإسلام وشمائله، وتيسير مؤنة النكاح وتكاليفه، والبعد عن مظاهر الإسراف فيه، فذلك كله من أقوى العوامل، وأجدى الوسائل في حصول السعادة والتوفيق في الحياة الزوجية، فقد قال ﷺ في معرض التوجيه للأمة للأخذ بأسباب البركة والتوفيق في النكاح: «أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة». رواه الإمام أحمد وغيره.

وروى أهل السنن عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «ألا لا تغالوا في صداق النساء، فإن ذلك لو كان مكرمة في الدنيا، وتقوى عند الله، لكان أولاكم به رسول الله ﷺ».

فاتقوا الله عباد الله ولتعملوا على العناية بتزويج الناشئة، وتيسير أسباب النكاح عليهم، كي يقدموا عليه بارتياح وطمأنينة، ويقيموا أسراً صالحة، تكون لبنة عاملة في الأمة، إذ بهذا تصلح المجتمعات، وتسعد الأمة، ويتحقق لها ما تُؤمِّل من عز أبنائها ورقي مجتمعاتها، واستقامة شؤونها، وصلاح أحوالها.

الحقوق الزوجية

الحمد لله الكريم المنان، دائم الفضل والإحسان، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه الغزار، وجوده المدرار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الغفار، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد.

أما بعد: فيا أيها المسلمون أوصيكم ونفسي بتقوى الله عزّ وجلّ، فإنها الذخر الذي يبقى، والزاد الذي لا يفنى، فاتقوا الله تعالى في أنفسكم وأهليكم، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

عباد الله: الأسرة أساس المجتمع وقاعدته، ومنها تتكون الأمة وعليها تقيم عمادها، وتوطد أركانها، فبصلاح الأسرة واستقامة أفرادها، واستقرار أحوالها يسعد المجتمع، وتصلح الأمة، وتنال ما ترجوه من غايات كريمة، وآمال منشودة.

وقوام الأسرة رجل وامرأة، جعل الإسلامُ العلاقةَ بينهما من أكرم الوشائج الإنسانية، وأسمى الصلاتِ البشرية، رعاها الشرع الحنيف حق الرعاية، وأحاطها بتوجيهات سديدة، وإرشادات كريمة لا بد للزوجين من تحقيقها والعمل على وفقها.

ويأتي في طليعة تلك التوجيهات تقوى الله عزّ وجلّ ومراقبته، والاستقامة على طاعته، ومعرفة كل واحد من الزوجين ما له من حقوق وما عليه من واجبات أرشد إليها الشرع المبين، وأكَّد على العمل بها، حفاظاً على هذه العلاقة الكريمة، وضماناً لدوامها واستقرار أحوالها، وإن من آكد ذلك المعاشرةَ بين الزوجين بالمعروف، فقد قال عزّ وجلّ: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ [النساء: ١٩]، وقال جلّ شأنه: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ

﴿ٱلَّذِى عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٌۗ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وإن من المعاشرة بالمعروف في حق الزوج أن يكون حَسَنَ الأخلاق مع أهله، محمودَ السيرة، طيبَ السريرة، لين الجانب، سهلاً رفيقاً، لا يرهق عسراً، ولا يكلف شططاً، حازماً في أمره، قائماً بمسؤوليته تُجاه أهله وبيته، آخذاً في اعتباره أن طلب الكمال في المرأة أمرٌ متعذرٌ، والأملَ في استكمال جميع صفات الكمال بعيدُ المنال في الطبع البشري، فمن رجاحة العقل أن يوَطِّن المرء نفسه على التغاضي عن الهفوات، والصبر على بعض المنغصات، لما في المرأة من نقص وضعف، فإنها ضعيفة في خَلْقها وطبعها، والمبالغةُ في تقويمها يقود إلى كسرها، وكسرُها طلاقُها، كما قال عليه الصلاة والسلام: «واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضِلَع، وإن أعوج شيء في الضِّلَع أعلاه، فإن ذهبْتَ تقيمه كسرتَه، وإن تركتَه لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً». رواه البخاري ومسلم.

فالاعوجاج في المرأة من أصل الخلقة، فلا بد من مسايرته والصبر عليه، ولا بد من صرف النظر عن بعض جوانب النقص في الأهل، والنظر إلى ما فيهن من جوانب الخير، كما أرشد إلى ذلك رسول الهدى ﷺ بقوله: «لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً ـ أي لا يبغض ـ إن كره منها خُلُقاً رضي منها آخر». رواه مسلم في صحيحه.

وليعتبر العاقل بنفسه، فهل بلغ الكمال في الأخلاق، وسلم من النقائص والعيوب، فإن ذلك قد يدعوه للصبر على ما يرى في أهله مما لا يرتضيه من التصرفات والأخلاق، فإن الصبر في هذا من أكبر أسباب السعادة، وموارد الخير، كما قال عزّ وجلّ في محكم التنزيل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء: ١٩].

ولكن هل تكون الراحة بين الزوجين يا عباد الله ويحصل السكنُ والمودة بينهما حينما يكون رب البيت فظاً غليظاً!! لا يرى لأهله عليه حقاً، ولا ينيلهم عطفاً وبراً، بل هو ثقيلُ الطبع سيءُ العشرة، ضيق الأفق، يغلبه حمقُه، ويعميه تعجله، سريع الغضب بطيء الرضا، إذا دخل فكثير المَنِّ، وإذا خرج فسيء الظن.

وإن الغيرة المحمومة لتذهب ببعض الأزواج إلى المبالغة في سوء الظن بأهله،

فيتأول كل كلام يسمعه، ويشك في أي تصرف يراه من غير مستند صحيح، مما ينغص الحياة، ويقلق البال، ويورث العداء والبغضاء، ثم قد يفضي إلى الفراق، وتشتت الأسرة وضياع الأولاد، وما ذاك إلا بسبب حمقِ الزوج وطيشِه، وسوءِ عشرته، وعدم أخذه بتعاليم الإسلام الرشيدة التي تحث على إحسان العشرة مع الأهل والرفق بهم، ولين الجانب لهم، كما هو هديه عليه الصلاة والسلام في معاشرته لأزواجه، وفي تعامله مع أهله، وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحث على العمل بهذا المنهج السديد: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي». رواه ابن ماجة وابن حبان في صحيحه.

وأما المرأة المسلمة فلتعلم أن من أسباب سعادتها البيتية، واستقرار حياتها الزوجية، أن تكون ذات عفة ودين، وصلاح وتقى، تعرف ما لها فلا تتعداه، وما يجب عليها فلا تقصر فيه، تستجيب لزوجها وتطيعه بالمعروف لما له من حق القوامة عليها، وتحفظه في نفسها وماله، وتهتم بشؤون بيتها وتحسن تدبيره، وترعى أولادها وتُنَشِّؤهم على تعاليم الإسلام وآدابه، تحرص أن لا يسمع زوجها منها إلا حسناً، ولا يَشُمَّنَّ إلا طيباً، ولا يرى إلا جميلاً، لا تطلب ما يرهقه ويثقله، ولا تتنكر لجميله، ولا تجحد فضله وإحسانه، فقد قال عليه الصلاة والسلام في التحذير من ذلك: «وأُريت النارَ فلم أرَ منظراً كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بكفرهنَّ، قيل: يكفرن بالله، قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدَّهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط». رواه البخاري في صحيحه.

وإن من إحسان المرأة لزوجها أن تغفر له الزلات، وتتغاضى عن الهفوات، وأن تتحلى بالصبر على ما قد يحصل من الزوج من قسوة أو جفاء، وأن لا تسيء إليه إذا حضر، ولا تخونه إذا غاب، بل تكون حريصة في كل الأحوال على كسب مودته ورضاه، لعظم حقه عليها، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها». رواه الترمذي وحسنه.

وروى أيضاً وحسنه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة».

فاتقوا الله عباد الله، وعليكم بالعمل بهذه التوجيهات الإسلامية، والتعاليم الشرعية، لتنعموا باستقرارِ الحياة الزوجية، وتصلحَ أحوالكم الأسرية، ويكون من ثمارها ذريةٌ طيبة، ونشءٌ صالح، يبرُ الوالدين، وينفعُ المجتمع ويفيدُ الأمة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، سيد الورى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى أمة الإسلام، واعلموا أن أساس العلاقة الزوجية الذي يقوم عليه صرحُها، ويدوم به بنيانها إنما هو دين متين، وخلق كريم، ومعاملة حسنة، وثقة متبادلة، فإن هذا هو الذي يحفظ ما بين الزوجين من وشائج وصلات، ويحافظ عليهما عند الخلاف والنزاع، ويدرأ عنهما أعاصير التصدع والتشتت، ورياح الانفصام والتفكك، وبه يتم الوئام، وتتوفر السعادة، ويحصل السكن والطمأنية، وبذلك تطيب الحياة، وتسعد الأسرة، ويتهيأ الجو الصالح للتربية، وتنشأ الناشئةُ في بيت كريم، مليء بالمودة، عامرٍ بالتفاهم، بين عطف الأبوة، وحنان الأمومة.

فاتقوا الله عباد الله واتصفوا بمكارم الأخلاق فيما بينكم، وتحلوا بحسن المعاملة مع أهلكم وذويكم، يكتب الله تعالى لكم الخير والتوفيق ويهيء لكم من أمركم رشداً.

الحث على الكسب الحلال والتحذير من الحرام

الحمد لله الذي أنعم فأجزل، وأعطى فأغنى، وكل شيء عنده بمقدار، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه الغزار، وجوده المدرار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الإله الواحد القهار، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المصطفى المختار، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، ومن سار على هديهم وسلك سبيلهم إلى يوم المعاد.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله حق تقاته، فإن تقواه سبحانه شعار المؤمنين، ودثار المتقين، ووصية الله للناس أجمعين، فاتقوا الله تعالى في كل ما تأتون وتذرون، واتقوا الله لعلكم تفلحون.

عباد الله: لقد جبل الله عزّ وجلّ الخلق على حب المال، وركب في الطباع الحرص على طلبه وتحصيله، لأن به قوام حياة الناس، وانتظام أمر معايشهم، وتمام مصالحهم، وقد جاء الشرع الحنيف بالحث على السعي في تحصيل المال، واكتسابه، على أنه وسيلة لغايات محمودة، ومقاصد مشروعة، وجعل للحصول عليه ضوابط وقواعد واضحة المعالم، لا يجوز تجاوزها، ولا التعدي لحدودها، كي تتحقق منه المصالح للفرد وللجماعة.

وقد أوجب الشارع على المسلم أن يطلب المال ويسعى في أسباب تحصيله مما أذن الله به وشرعه من طرق الكسب الحلال، والعمل المباح، حتى يستغني المرء به عن ذل السؤال للغير، والحاجة للخلق، فطلب الرزق وتحصيله شرف للمؤمن، وعزة للمسلم، به تصان الأعراض، وتحفظ الكرامة، وبه يستعان على كثير من أعمال البر والطاعة، فنعم المال الصالح للمرء الصالح يقول الصحابي الجليل عبد الرحمن بن

عوف رضي الله عنه: «يا حبذا المال أصون به عرضي، وأرضي به ربي».

الكسب الطيب والمال الحلال ينير القلب ويشرح الصدر، ويورث الطمأنينة والسكينة والخشية من الله، ويعين الجوارح على العبادة والطاعة، ومن أسباب قبول العمل الصالح، وإجابة الدعاء.

أما الكسب الخبيث فإنه شؤم وبلاء على صاحبه، بسببه يقسو القلب، وينطفىء نور الإيمان، ويحل غضب الجبار، ويمنع إجابة الدعاء.

المال الحرام مستخبَث الأصول، ممحوق البركة والمحصول، إنْ صرفه صاحبه في برٍ لم يؤجر، وإن بذله في نفع لم يُشكر، ثم هو لأوزاره محتمِل، وعليه معاقب.

قال بعض الحكماء: «شر المال ما لزمك إثم مكسبه، وحُرِمْتَ أجر إنفاقه»، وفي الحديث عند الطبراني وغيره أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة، فقال له النبي ﷺ: «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يُتَقَبَّلُ منه عمل أربعين يومًا، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به». وروى مسلم في صحيحه «أن رسول الله ﷺ ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، يا رب يارب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك»، فلقد استجمع هذا الرجل من صفات الذل والمسكنة، والحاجة والفاقة إلى ربه ما يدعو إلى رثاء حاله، ويؤكد شدة افتقاره، ولكنه قد قطع صلته بربه، وحرم نفسه من مدد الله وفضله، وحال بينه وبين قبول دعائه ما هو عليه من استعمال للحرام في المأكل والمشرب والملبس.

وماذا يبقى للعبد إذا انقطعت صلته بربه، وحجب دعاؤه، وحيل بينه وبين رحمة الله! ولذا كان السلف الصالح في غاية الخوف من أكل الحرام، والمبالغة في التحذير منه، حتى قال بعضهم: «لو قمت في العبادة قيام السارية ما نفعك ذلك حتى تنظر فيما يدخل بطنك». وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه غلام، فجاء له يوماً بشيء فأكل منه، فقال له الغلام: أتدري ما هذا، فقال أبو بكر: وما هو؟ فقال: تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما

أحسن الكهانة، إلا أني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك هذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر رضي الله عنه يده فقاء كل شيء في بطنه»، وفي رواية أنه قال: «لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها. اللهم إني أبرأ إليك مما حملت العروق، وخالط الأمعاء»، وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شرب لبنًا فأعجبه، فقال للذي سقاه: «من أين لك هذا؟ فقال: مررت بإبل الصدقة وهم على ماء، فأخذت من ألبانها، فأدخل عمر يده فاستقاء» وأوصت إحدى الصالحات زوجها فقالت له: «يا هذا اتق الله في رزقنا فإنا نصبر على الجوع، ولا نصبر على النار».

وإن من العجب أن يحتمي بعض الناس من الحلال مخافة المرض، ولا يحتمون من الحرام مخافة النار، وما ذاك إلا لقسوة القلوب، واستيلاء الغفلة على النفوس، وضعف الإيمان، وقلة البصيرة في الدين.

عباد الله: إن للمكاسب المحرمة آثارًا سيئة على الفرد والمجتمع، فإنها تُضعف الديانة، وتعمي البصيرة، ومن أسباب محق البركة في الأرزاق، وحلول المصائب والرزايا، وحصول الأزمات المالية المستحكمة، والبطالة المتفشية، وانتشار الإحن والشحناء والعداء والبغضاء.

وإن مما يؤسى له عظيم الأسى أن في الناس من لا يتحاشون عن اكتساب المال الحرام، وتحصيله من أي طريق، وعبر أي وسيلة، إذ ليس لهم هم إلا تكديس الأموال، وتضخيم الثروات، فالحلال في عرفهم ما قدروا عليه، والحرام ما تعذر وصولهم إليه، يسلكون في طلبه مسالك معوجة، وسبلاً مشبوهة، بل وقد لا يكترثون من المجاهرة بالمكاسب الخبيثة، والاستيلاء على الأموال المحرمة التي لا شبهة في تحريمها، حتى أصبح هذا المسلك المشين لشيوعه وانتشاره ظاهرة مألوفة في كثير من مجتمعات المسلمين، حيث فشا فيها أكل الربا، وتعاطي الرشوة، والغصب والسرقة والمتاجرة بالمحرمات، كالخمور والمخدرات، وآلات اللهو والغناء ونحوها، وتطفيف المكاييل والموازين، والغش والخداع في البيوع والمعاملات، وإنفاق السلع بالأيمان الفاجرة، وأكل أموال اليتامى والقاصرين، والاستيلاء على الحقوق والممتلكات، واختلاس الأموال الخاصة والعامة بأساليب مختلفة، وسبل متنوعة بلا خوف من الله، ولا حياء من عباد الله في صور مهينة من صور البطر والأشر، والجشع

والطمع لدى بعض النفوس حين يضعف فيها وازع الإيمان، وتتحلل من المروءة ومكارم الأخلاق.

وإنه ليكاد يصدق على هذا الزمان ما جاء في الحديث عند البخاري وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه، أمن الحلال أم من الحرام»، فأين هؤلاء عن قوارع التنزيل التي تتلى، والأحاديث التي تروى في التحذير من أكل الحرام وبيان عاقبة صاحبه!، وسوء مصيره ومنقلبه.

أليس لهم فيها مذّكرٌ وواعظ!، ومزدَجَرٌ ورادع! ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

يقول الحق جلّ وعلا في التحذير من الربا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]، ويقول عزّ شأنه في بيان ما أعد من العذاب لأكلة أموال اليتامى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠]، ويقول جلّ وعلا متوعدًا أهل التطفيف للمكاييل والموازين: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ١ ـ ٦].

وفي الحديث عن أبي أمامة الحارثي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة، فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيرًا يا رسول الله؟ قال: وإن كان قضيبًا من أراك». رواه مسلم في صحيحه. وروى أيضًا عن عدي بن عميرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطاً فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة»، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [آل عمران: ١٦١]، فاتقوا الله عباد الله ولتجتنبوا ما حرم ربكم عليكم ونهاكم عنه من المكاسب الخبيثة والأموال المحرمة، ولتقنعوا بما أحل لكم من الطيبات، ففي الحلال الغُنية والكفاية، والسعادة في الدنيا والآخرة.

اللهم أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك يا واسع الفضل والإحسان يا أكرم الأكرمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وحبيبه وخليله، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله حق تقاته، واعلموا أن من دلائل التوفيق وأمارة السعادة والفلاح للعبد أن يكف عما حرم الله من المكاسب الخبيثة، وما نهى عنه من الأموال المحرمة، وأن يتورع عما يَشتبه عليه من ذلك، حرصاً على سلامة دينه، وصيانة عرضه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه». رواه البخاري ومسلم. وروى الترمذي وابن ماجه عنه ﷺ أنه قال: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس». وقال الإمام الحسن البصري رحمه الله: «ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرًا من الحلال مخافة الحرام».

ولتعلموا عباد الله: أن المشتبهات يحصل للقلوب عندها قلق واضطراب يحمل على الشك والتردد في حلها، والورع من عباد الله يكون وقّافاً عند المشتبهات، فيدع ما يريبه إلى ما لا يريبه، فذلك مسلك الصالحين، ونهج المتقين، فاتقوا الله أيها المؤمنون ولتستطيبوا مطاعمكم ومشاربكم وسائر مكاسبكم ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

الصدق وأثره في المجتمع

الحمد لله رب العالمين، يهدي من يشاء بفضله إلى صراط مستقيم، أحمده سبحانه وأشكره، أمر بالصدق ورفع شأن الصادقين، وأشهد أن لا إله إلا اله وحده لا شريك له الإله الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه البررة الصادقين، ومن سار على هديهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى ربكم لعلكم تفلحون، واستمسكوا بدينكم، وافرحوا بهدايتكم إليه، فلقد تكفل الله عزّ وجلّ لمن تمسك به بالسعادة في الدنيا، والفوز بالنعيم المقيم في الأخرى.

عباد الله: إن دين الإسلام دينُ فضائلَ كريمة، وشمائلَ حميدة، ومُثُلٍ عالية، وأخلاق نبيلة، وإن من أعظم تلك الفضائل مكانة في دين الإسلام، وآكدها وجوباً، وأعمِّها نفعاً التحلي بالصدق، والاتصاف به قولاً وعملاً، وظاهراً وباطناً، فإن الصدق أيها المؤمنون من أكرم الصفات الإنسانية، وأرقى الفضائل الأخلاقية، ومن أهم الأسس في بناء المجتمع وسعادة الأمة إذ به يرتبط كل شأن من شؤون الحياة وتتعلق به كل مصلحة من مصالح الناس، ولذا أمر الله عزّ وجلّ بالتحلي به، وجعله خُلُقاً لأشرف خلقه، وحملة وحيه، وأمنائه على شرعه، فكان رسول الهدى ﷺ المثل الأعلى للبشرية في الصدق قولاً وعملاً، وكذلك كان الأنبياء والمرسلون من قبله كما قال سبحانه عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ [مريم: ٤١].

وقال سبحانه عن إسماعيل عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ

كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم: ٥٤].

وقال عزّ وجلّ عن إدريس عليه الصلاة والسلام: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ [مريم: ٥٦].

وحينما عاش المجتمع الإسلامي الأول في ظل الصدق، واتصف به أفراده، وسرت تلك الفضيلة في نفوسهم، وظهر أثرها في علاقاتهم ومعاملاتهم، وفي سائر شؤونهم الخاصة والعامة ساد الأمن والاستقرار ربوعهم، وعمَّ الأمن والإخاء أرجاءهم.

ألا وإن ديننا الحنيف ليوجب على المسلم أن يتصف بالصدق في عبادته وطاعته لربه سبحانه وفي معاملاته لعباد الله، وأن يلتزم به قولاً وعملاً، ويسير على هديه ظاهراً وباطناً، وقد قال عزّ وجلّ موجهاً عباده المؤمنين إلى هذا المنهج القويم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩] فحقيقة الصدق في القول يكون بالإخبار عن الشيء بالأمر الواقع دون زيادة أو نقصان، أو تحريف أو تبديل أو تلبيس أو تدليس.

أما الصدق في الأفعال فإنما يتحقق بمطابقة ظاهر الإنسان لباطنه، وفعله لقوله، وقد قال عزّ وجلّ منكراً على من خالف ذلك ومندداً به: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢، ٣].

عباد الله: إن الاتصاف بالصدق واجب على كل مسلم، إلا أن أهميته تزداد وشأنه يعظم في حق القدوة من الناس، فالعلماء الربانيون الذين هم ورثة الأنبياء أمناء في تبليغ الرسالة الإلهية، ونشر الدعوة المحمدية بكل صدق وأمانة، يخلصون لله تعالى في دعوتهم، ويتجردون عن كل غرض أو هوى، بأن لا يكون لهم قصدٌ إلا بيانَ الحق، ونفع الخلق.

أما قادة الأمة الأمناء الصادقون فهم الذين يسعون للإصلاح، وتطبيق شرع الله على عباد الله وتنفيذ أحكامه، ليحققوا للشعوب الخير والفلاح، والأمن والاطمئنان، ويرفعوا شأن الأمة، ويُعلوا مكانتها بين الأمم.

وإن على أرباب الفكر وحملة الأقلام، ورجال التربية والتعليم، والصحافة

والإعلام، أن يكونوا مثالاً للصدق والالتزام به في الأقوال والأعمال، فلا يقدموا للأمة إلا ما يتفق مع العقيدة الإسلامية الصحيحة، والفطر السوية السليمة، ونقل الأخبار النافعة بكل صدق وواقعية.

وعلى التجار والموظفين، وأصحاب المهن أن يتحروا الصدق فيما يؤدونه من أعمال وأن يبتعدوا عن الغش والخداع والكذب والتدليس، والتسويف والمماطلة فيما التزموه من أعمال.

وإن على كل فرد منا أيها المسلمون أن يتصف بالصدق في عباداته لربه سبحانه، وأن يظهر أثر ذلك في سلوكه وتعامله مع عباد الله، فإن ذلك من عوامل الفلاح في المجتمع، والرقي في الأمم ومن أسباب السعادة في الدنيا، والنجاة في الأخرى، وقد قال عليه الصلاة والسلام موجهاً الأمة إلى وجوب الاتصاف بالصدق والعمل به، وبيان حسن عاقبته: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً». رواه البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له.

أيها المسلمون: حينما أمر الإسلام بالصدق عمل أيضاً على القضاء على كل ما ينافيه مما يكون سبباً في زعزعة الثقة بين الناس، وحصول البغضاء والعدوات فيما بينهم، فنهى عن الكذب والافتراء، وإشاعة الأقوال المختلقة والأخبار المغرضة ضد فرد من المسلمين، أو مجتمع من مجتمعاتهم، فإن الكذب من خلال الشر ومساوىء الأخلاق، يدل على مهانة النفس، ودناءة الهمة، وسقوط المنزلة، ولذا قال بعض أهل الحكمة: «لم يكذب أحد قط إلا لصغر نفسه عنده»، وما ذاك إلا لأنه جماع كل شر ومنبع كل ضر لسوء عواقبه، وقبح نتائجه، إذ به تنتشر النميمة والبغضاء، وتعم العداوة والشحناء، ومتى انتشرت العداوات بين الناس لم يبق أمن ولا اطمئنان ولا ثقة ولا استقرار، ولذا أشهر الإسلام على الكذب الحرب العوان، وأخرج المتصف به من دائرة أهل الإيمان، فقال عزّ شأنه: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل: ١٠٥]، وقال عليه الصلاة والسلام محذراً الأمة من الكذب ومبيناً سوء عاقبته: «إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله

كذباً». نعوذ بالله من الكذب ما أسوأه! فكم ضاعت بسببه من حقوق، وانتهكت من حرمات، وكم كان سبباً في قطع عرى المودة والإخاء بين الجماعات، وكم حصل بسبب إشاعة باطلة وقول مختلق فرقة بين صديقين متآلفين، أو زوجين متصافيين، بل وكم ثار بسبب ذلك عدوات وبغضاء جرّت إلى حروب طاحنة، وعدوات مستحكمة.

والعجب يا عباد الله من تساهل البعض منا، حين يقبلون على سماع الإشاعات ويتقبلونها، وكأنها حقائق ثابتة لا يتطرق إليها الشك، بل وربما ساعدوا على بثها وإشاعتها دون فحص وتثبت عن أهل هذه المقولة، أو تلك الإشاعة، ولو سئل أحدهم عن أصل ذلك لأجاب بأن الناس قالوا كذا وزعموا كذا، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود عن رسول الله ﷺ في التحذير من هذا المسلك أنه قال: «بئس مطية الرجل زعموا».

ذلك أن صاحب الغرض والهوى لا يجد متنفساً لما في صدره من الشرور إلا تلفيقَ الأكاذيب، ونشرَ الأباطيل والتلبيس والتدليس، يخلط الصدق بالكذب والحق بالباطل، ويعمل على ترويج الأخبار المغرضة تحت ستار: زعموا وقالوا، متنصلاً في ظنه من مسؤولية ذلك، وهيهات أن يسلم من جريرة الفرية، وإشاعة ما فيه بلبلة للرأي العام، ومفسدة للمجتمع، ولقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع». رواه مسلم في صحيحه.

وإن مما أرشد الله عزّ وجلّ عباده المؤمنين إليه التثبت عند سماع الأخبار، ولا سيما إذا كانت تحمل في طياتها ذماً أو قدحاً في فرد أو مجتمع، فقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات: ٦]. وروي عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «أيها الناس من عرف من أخيه وثيقة دين، وسداد طريق، فلا يسمعن فيه أقاويل الرجال، أما إنه قد يرمي الرامي، وتخطىء السهام، ويحيك الكلام، وباطل ذلك يبور والله سميع شهيد».

فاتقوا الله تعالى أيها المؤمنون والتزموا الصدق، وتحلوا به في أقوالكم وأعمالكم، لتزكو بذلك نفوسكم وتصلح أحوالكم، ويتحقق لكم الخير والفلاح،

وتفوزوا بمغفرة من الله ورضوان، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونثني عليه الخير كلَّه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله تعالى حق تقاته وتذكروا أن من أشدِّ أنواع الكذب قبحاً، وأسوئها شراً، وأعظمها ضرراً في المجتمع: اختلاقُ الكذب على الغير، وإلصاق التهم الباطلة بهم إساءةً إليهم، وتشويهاً لسمعتهم، يحمل على ذلك خلاف معهم، أو عداء فيما بينهم، وربما لا يكون شيء من ذلك، وإنما هو البغي والعدوان والحسد، نتيجة ضعف الإيمان، ولقد حذر الإسلام من هذا الصنيع، وجاء الوعيد الشديد والتهديد البليغ بمرتكب ذلك على لسان رسول الهدى ﷺ في الحديث الذي رواه الطبراني وغيره بإسناد جيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من ذكر امرأً بشيء ليس فيه ليعيبه به، حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه».

فاتقوا الله عباد الله واحذروا من ذلك الحذر الشديد، وتذكروا أن عليكم من الله رقيباً يحصي كل ما تقولون وتفعلون، فقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٨].

في الصبر على البلاء

الحمد لله مثيب الطائعين، ومجزل العطاء للصابرين، أحمده سبحانه وأشكره على فضله العظيم، وخيره العميم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الإله الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إمام المتقين، وسيد الصابرين صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه البررة الصادقين، والحنفاء الصابرين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله حق التقوى، فإن من اتقاه سبحانه جعل له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، وهيأ له من أمره رشدًا ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق: ٤].

عباد الله: إن الله عزّ وجلّ بحكمته البالغة، وإرادته النافذة قد جعل هذه الحياة الدنيا داراً للابتلاء والامتحان، وموطناً للأكدار والأحزان، لا يدوم لأحد فيها هناء، ولا يستمر له فيها سرور، فإن سر منها يومًا، ساءته أياماً، وإن أقبلت إليه، فسرعان ما تدبر عنه، والأيام دول، فيوم لنا، ويوم علينا، ويوم نُساءُ، ويومٌ نُسَرّ ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وهكذا حال الحياة وتصريف الأيام على الدوام ابتلاء من الله تعالى للعباد ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١].

وإن من دلائل صدق إيمان العبد أن مصائب الزمان، وفجائع الأيام لا تزيده إلا ثقة بالله ويقيناً لعلمه أن قضاء الله تعالى نافذ، وقَدَره نازل، وأن ما شاء الله كائن لا محالة، فيحمله ذلك على التحلي بالصبر عند الشدائد، والتجلد عند الخطوب، فإن

الصبر من أعظم مقامات الدين، وأجل منازل السالكين، وهو زاد المؤمنين، وعماد المتقين، ونهج الصالحين، وملاذ الخائفين.

به تستنزل الرحمات، ويستمد العون، ويستلهم النصر، ولذا أمر به القرآن، وأشاد بأهله في تسعين موضعاً، ترغيباً في التحلي به، وبيانًا لجليل فضله، وعظيم ثوابه يقول عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠]، وقال عزّ شأنه في بيان معيته للصابرين بالحفظ والتأييد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣]، وأبان الحق عزّ وجلّ أن التحلي بالصبر من أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ونوه رسول الهدى ﷺ بفضل الصبر بقوله: «ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر» وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بيان مكانة الصبر: «إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد وإنه لا إيمان لمن لا صبر له»، وما هذه الفضائل المترتبة على الصبر إلا لأنه يحمل صاحبه على أداء الواجبات وفعل العبادات، والكف عن المعاصي والآثام، ويبعث على الرضى والتسليم بمُرِّ القضاء، وهذه أركان الصبر الثلاثة التي متى حققها العبد، فقد صدق يقينه وكمل إيمانه، وعظم قدره عند ربه ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٥]، يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: «فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة، واستحالت البلية عطية، وصار المكروه محبوبًا، فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته، فإن لله تعالى على العبد عبودية في الضراء، كما له عليه عبودية في السراء، وإن له عليه عبودية فيما يكره، كما له عليه عبودية فيما يحب، وأكثر الخلق إنما يُعْطَون العبودية فيما يحبون، والشأن في إعطاء العبودية في المكاره، ففيه تفاوت مراتب العباد، وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى، فمن كان عبداً لله في الحالين، قائمًا بحقه في المكروه والمحبوب فذلك الذي يتناوله قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾» [الزمر: ٣٦].

وإنَّ سنة الله في خلقه أن لا يسلم أحد في هذه الحياة من مصائب ورزايا تؤلمه

وتحزنه، وتكدر عليه أيام أنسه وسروره، وتعكر عليه صفو حياته من أمراض مستديمة، أو علل مستعصية، أو فقد لحبيب وقريب، أو خسارة في تجارة، أو إخفاق في عمل أو دراسة، وغير ذلك من حوادث الأيام التي لا يسلم منها أي إنسان، فيظل جراء ذلك يعاني آلامًا، ويتجرع غصصًا، ويكابد أحزانًا. والمرء بحكم بشريته وطبعه ملول عجول، يستعجل الأمور، ويضجر بالمقدور، ويود أن يبقى سليمًا معافى، دون بلوى تصيبه، أو محنة تُمَحِّصه، أو شدة تَصْهَرُه، وليس ذلك بكائن في دار البلاء وهيهات أن يسلم من ذلك أحد، إذ لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وصفوته من خلقه، فلقد أصابهم من البلاء، وحل بهم من البأساء والضراء، ما لا يقدر على تحمله سواهم من البشر. ففي الحديث عند الإمام أحمد وابن ماجه أن رسول الله ﷺ سئل: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة».

وإن شأن المسلم الواعي أن يوطن نفسه على التحلي بالصبر عند البلاء، والتجلد أمام الخطوب، لعلمه بأن ما قدر الله تعالى عليه واقع لا محالة ؛ لأنه مما جرى به القلم، وقيد في الأزل، فيرضى ويسلم، حتى يورثه ذلك طمأنينة في القلب وسكينة في النفس كما قال عزّ وجلّ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١]، وإن مما يسلي المؤمن عند اشتداد البلاء، ويهون عليه مرارة المصيبة واللأواء تذكره بما تؤول إليه حال الصابرين من عواقب حميدة في هذه الحياة، وما أعد الله لهم في الآخرة من عظيم الجزاء لهو خير وأبقى، فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يوسف: ٩٠]، وفي الحديث عند الترمذي وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السُّخط»، وفي الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته، وحطت عنه ذنوبه، كما تحط الشجرةُ ورقها» وروى البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: « يقول الله تعالى ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل

الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة».

وإن في هذا الفضل العظيم من الرب الكريم لأعظم تسلية للمؤمن عند المصائب والشدائد.

فاتقوا الله عباد الله ولتتصفوا بصفات الصابرين الأبرار، يعظم الله تعالى لكم الأجر والثواب، فما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله المحمود على كل حال، المتصرف بخلقه على كل الأحوال، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، وهدى للناس أجمعين صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون، اتقوا الله تعالى لعلكم تفلحون، وتدرعوا بالصبر على أقدار الله المؤلمة لعلكم تهتدون، وتذكروا ما أصاب رسل الله من مصائب عظمى، قصها الحق تعالى في كتابه الكريم، لتكون عبرة للمؤمنين، وتسلية للمصابين.

وإن مما قصه عزّ وجلّ من ذلك، ما ابتلى به نبيه يعقوب عليه الصلاة والسلام من فراق يوسف ثم أخيه، فتدرع بالصبر الجميل على ما أصابه، حتى جمع الله شمله بابنيه، وأقر عينه بحبيبيه، بعد الشدة وطول الحزن والفرقة، كما ابتلى الله تعالى نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام بأنواع من البلاء في أهله وولده ونفسه، حتى لم يبق منه عضو سليم، سوى قلبه ولسانه، ثم استجاب الله دعاءه، وكشف عنه البلاء، وعوضه خيراً مما ذهب عليه، وأضحى صبره مضرب المثل في الحاضر والماضي، يقول عزّ وجلّ: ﴿ ۞وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

كما صبر سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه على ما لا يحتمله بشر، جراء ما

أصابه من فقد لبعض أحبته وأصفيائه، وما لحقه من أذى المشركين، واليهود والمنافقين، حتى كان عاقبة صبره النصر المبين، والعزّ والتمكين، وهكذا تكون عاقبة الصبر على الدوام حميدة، فَعَوِّدوا أنفسكم أيها المؤمنون الصبر عند الملمات، ولتكونوا ممن وصفهم الحق سبحانه بقوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة ١٧٧].

الحث على الحلم والصفح

الحمد لله الحليم التواب، ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾ [غافر: ٣]، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عليه توكلت وإليه مئاب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أعظم الناس خُلُقاً، وأوسعهم حلماً، وأقواهم عزيمة وصبراً، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأتقياء، والسادة الحنفاء، ومن سلك سبيلهم واقتفى، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أيها المسلمون أوصيكم ونفسي بتقوى الله عزّ وجلّ، فإنها الذخر الذي يبقى، والزاد الذي لا يفنى، فاتقوا الله تعالى في السر والنجوى، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً.

عباد الله: عنوانُ رقي الأمم وتقدمها، وسبيلُ عزها ومجدها إنما يكون بالحفاظ على القيم والآداب ومكارم الأخلاق، والأخذ بمعالي الفضائل وجميل الشمائل في مجتمعاتها وأفرادها، لذا فلا غرو أن يعنى الإسلام بأمر الأخلاق عناية عظمى، وأن يوليها رعاية كبرى، حتى قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق». رواه الإمام أحمد وغيره.

وإن مما عُني به الإسلام من محاسن الأخلاق، وفضائل الآداب، ووجه إلى التحلي به الاتصاف بالحلم، فإن الحلم يا عباد الله من أرقى الآداب، وأنبل الأخلاق، وأجل الشمائل، وأسمى الفضائل، فقد وصف الله تعالى به نفسه، وجعله خلقاً لأوليائه، وحملة وحيه، ومبلغي رسالاته، فقال عزّ شأنه عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة: ١١٤]، وقال عن إسماعيل عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الصافات: ١٠١].

أما خاتم الأنبياء والمرسلين وهو الذي بلغ الغاية في الفضائل، والنهاية في المكارم، فقد كان في الذروة بين البشر في الحلم، وسعة الصدر، وكظم الغيظ، وضبط النفس، والاستعلاء على الغضب، وكان حلمه صلوات الله وسلامه عليه مضرب المثل، فقد صبر على ما لا يصبر عليه غيره، وتحمل من الأذى ما لم يتحمله سواه، رغم قساوة ما لاقى، ومرارةِ ما عانى من جهل الجاهلين، وتطاول المنافقين، وأذى اليهود والمشركين، غير أنه عليه الصلاة والسلام وهو صاحب الخلق العظيم كان يقابل ذلك كله بحلم واسع، وصفح جميل، وصبر عظيم، عزّ نظيره، وقلّ مثيله، مستوحياً ذلك من توجيه الحق سبحانه بقوله: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر: ٨٥]، وقوله عزّ وجل: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة: ١٣]، وقوله عزّ شأنه: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٧، ١٢٨]، فامتثل صلوات الله وسلامه عليه هذه التوجيهات الإلهية حتى ضرب بحلمه أسمى الأمثال، وبصفحه أروع الأفعال، فلم يكن ﷺ ينتقم لنفسه من أحد قط إلا أن تنتهك حرمات الله، فينتقم لله تعالى لا لنفسه، كما وصفته بذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولقد بلغ من عظيم حلمه، وجليل عفوه ﷺ أنه حينما عاد إلى مكة فاتحاً منتصراً لم يزد على أن قال لأهلها، وهم الذين آذوه وأخرجوه منها: «لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء».

ومما صح عنه ﷺ من مواقف كبرى، ودروس عظمى في الحلم والصبر، ما روى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثّر بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد! مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ، ثم ضحك ثم أمر له بعطاء».

وفي الصحيحين أن رجلاً قال للنبي ﷺ وهو يقسم غنائم حنين: يا محمد! اعدل، فقال ﷺ: «ويلك من يعدل إن لم أكن أعدل؟ لقد خبتُ وخسرتُ إن لم أكن أعدل. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أقتل هذا المنافق،

فقال ﷺ: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي».

وروى البخاري ومسلم أن رجلاً قال يوم أن قسم النبي ﷺ غنائم حنين: ما أريد بهذه القسمة وجه الله، فبلغ قوله النبي ﷺ، فلم يزد على أن قال: «لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر»، فأي حلم فوق هذا!، وأي عفو وفضل أجَلُّ من هذا!، إذ لم يعاقب النبي صلوات الله وسلامه عليه واحداً من أولئك على الرغم من شناعة ما قالوا، وبشاعة ما اقترفوا في حقه ﷺ، لكنه آثر العفو والصفح، وتدرع بالحلم والصبر، وهكذا شأن الكُمَّل من الرجال المصطفين الأخيار، وإن في هذا لأعظم أسوة، وأبلغ قدوة لأمته ﷺ من بعده.

عباد الله: كم يمر على المرء في هذه الحياة من مواقف تؤلمه وتضجره، وتثير كوامن نفسه، وقد تخرجه عن حدود الاعتدال، وتؤدي به إلى الغضب والانفعال، ثم قد يتبع ذلك تصرفات قولية أو فعلية لا يحمدها في عاقبة أمره حين تهدأ نفسه، ويذهب غيظه، ويعود إلى رشده، بل قد يَأْسَ أسىً بالغاً على بعض تصرفاته، ويندمُ ندماً شديداً على بعض أقواله، ولو اتصف بالحلم وتدرع بالصبر، وضبط النفس لما ندم على شيء من ذلك ولكن ولات ساعة مندم.

ولذا فإن من رسوخ الإيمان، ورجاحة العقل، وقوة العزيمة أن يملك المرء نفسه عند الغضب، ويحفظها عما لا يحمد، ويكبح جماحها، ويحد من ثورتها، وألا يسترسل وراء الانفعال، وينقاد لهوى النفس حين يستثار من جاهل يتطاول عليه، أو يبتلى بأحمق يسيء إليه، بل يقابل ذلك بحلم واسع وصبر جميل، ويُعرِضُ إعراضَ من لم يسمع ولم ير، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ليعظم بذلك أجره، وتزكو به نفسه، ويرتفع به قدره، وتلك فضيلة عظمى، ومنقبة كبرى لا يقوى عليها إلا الأفذاذ من الناس، الأقوياء في إيمانهم، الأشداء في عزائمهم، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى: ٤٣]، وكما قال عليه الصلاة السلام في معرض التوجيه للأمة: «ليس الشديد بالصُّرَعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب». أخرجاه في الصحيحين. فقد أبان ﷺ في هذا الحديث أن القوة الحقيقية في نظر الإسلام ليست بقوة الأجسام والأبدان، وإنما هي القوة في العزيمة والإرادة، والقدرة

على ضبط النفس والتحكم بها عند الغضب وحفظها عن ارتكاب المآخذ أو الوقوع في المآثم.

فبالحلم يا عباد الله تستجلب كثير من المصالح والخيرات، وتندفع كثير من الشرور والآفات، كما قيل في منثور الحكم: «الحلم حجاب الآفات»، وقال بعض الحكماء: «ما ذب عن الأعراض كالصفح والإعراض»، وقال حكيم آخر: «من أرسل حلمه على سقطات الجاهل أمن الغوائل، وفاز بالسداد الكامل»، وكان الأحنف بن قيس رحمه الله يضرب به المثل في الحلم، وإذا تعجب الناس من حلمه قال: «إني لأجد ما تجدون، ولكني صبور». وكان يقول أيضاً: «ما آذاني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث: إن كان فوقي عرفت له فضله، وإن كان مثلي تفضلت عليه، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه».

وكفى بالحلم فضلاً وشرفاً أنه خُلُقٌ يحبه الله، ومدعاة لقرب المرء من ربه ومولاه، كما قال عليه الصلاة والسلام لأشج عبدالقيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة» أخرجاه في الصحيحين.

وإن من الحزم والرشاد أن يعوّد المرء نفسه على التخلق بالحلم والاتصاف به، فقد روي في الأثر: «إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه».

وقال الإمام الليث بن سعد رحمه الله: «تعلموا الحلم قبل العلم، فما جُمع شيء إلى شيء أحسن من علم إلى حلم».

فاتقوا الله عباد الله ولتتصفوا بالحلم، وتتحلوا بالعفو والصفح يكتب الله تعالى لكم الخير والسداد، والتوفيق والرشاد ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤ ـ ٣٦].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله ولي الصالحين، ومعينِ الصابرين، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الإله الحق المبين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، وهدى الناس أجمعين، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله تعالى حق التقوى، واتصفوا بصفات أهل البر والنهى، وتحلوا بالحلم والصفح عند جهل الجهلاء، أو تعدي السفهاء، واحذروا أسباب الغضب ودوافعه، واجتنبوا مثيراته ومهيجاته، فذلك دليل العقل والرشاد، وقوة الإيمان، فإنَّ من ضعف العزيمة، وقلة البصيرة، أن يكون المرء غضوباً عجولاً، يثور لأتفه الأسباب، وينفعل عندما يُمَسُّ بأدنى سوء أو أذى، ويظل يرتعش كالمحموم، ينطق بالبذاء، ويتكلم بالفحشاء، وربما تجاوز ذلك إلى الضرب والاعتداء، فيجلب على نفسه بسبب حمقه وطيشه العداوة والبغضاء، وربما خسر بسبب ذلك صديقه وأليفه، وألحق الضرر بنفسه وأهله، وشتت شمل أسرته بسبب تلفظه بطلاق ونحوه، ولو اتصف بخلق الإسلام، وتأدب بأدب أهل الإيمان، ونهج هدي سيد الأنام في حلمه وأناته، وصبره وتحمله، لسلم من ذلك العناء، واستراح من ذلك الشقاء.

ولتعلموا عباد الله أنه كلما ازداد إيمان العبد، وقوي يقينه عظم حلمه، وتجلت سماحته، وظهرت مروءته، وابتعد عن مواطن الغضب المؤدي إلى الزلل في الأقوال والأفعال، وعذر الناسَ من أنفسهم، والتمس المبررات لأغلاطهم، وبذلك تنطفىء كثير من العدوات والبغضاء، والإحن والشحناء، وتتآلف القلوب، وتتصافى النفوس،

وتقوى أخوة الإيمان، ورابطة الإسلام بين أبناء المجتمع، وأفراد الأمة، وبذلك يُستجلب رضوان الله تعالى ومغفرته كما قال عزّ شأنه: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢]. وقال عزّ وجلّ: ﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

الحث على كفالة اليتامى

الحمد لله ولي الصالحين، ومثيب الطائعين، أحمده سبحانه وأشكره، يحب عباده المحسنين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأكرمين، والسادة الغر الميامين والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون أوصيكم ونفسي بتقوى الله عزّ وجلّ، فإنها الذخر الذي يبقى، والزاد الذي لا يفنى، وهي السبيل إلى السعادة في الآخرة والأولى، فاتقوا الله تعالى حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤﴾ [الطلاق: ٤].

عباد الله: قد شرع الله عزّ وجلّ لعباده المؤمنين أنواعاً من سبل الخير، وضروباً من أبواب البر، ووجَّه الأنظار إلى العمل بها، والمسارعة في اغتنامها لما لها عند الله تعالى من عظيم الأجر وجزيل الثواب، فقال عزّ شأنه: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

وإن من آكد أنواع البر والإحسان، ومن ضروب التكافل الاجتماعي الذي شرعه الإسلام: الإحسان إلى الضعفاء والبر بهم، وإعانتهم على ما يلاقون من شدائد الحياة، ونوائب الدهر من الفقراء والمساكين، والأرامل واليتامى والمعوزين، وإن أحقَّ هذه الفئات بالعطف والرعاية، وأولاهم بالبر والعناية، لمسيس حاجتهم، وعظيمِ بلواهم، فئة اليتامى القاصرين الذين فقدوا آباءهم قبل أن يبلغوا رشدهم

فأضحوا في حال من الضعف والمسكنة، ترق لهم القلوب المؤمنة، وتحمل على الشفقة عليهم والرأفة بهم، سعياً في التخفيف من معاناتهم، والتقليل من آلامهم، وتعويضهم عما فقدوا من حنان أبوة كانت ترعى شؤونهم، وتحوط مصالحهم، وتسعى في إدخال الأنس إلى قلوبهم، والسرور على نفوسهم.

عباد الله: لقد أولى الشارع الحكيم هذ الفئة من فئات المجتمع عنايةً عظمى، ورعاية كبرى، يبدو ذلك جلياً في كثرة ما ورد من الآيات والأحاديث التي تحض على العناية بهذه الفئة، وتؤكد على وجوب الرعاية لها، والسعي في الإحسان إليها، وتحقيق مصالحها، بل جعل الشارع القيام بذلك في طليعة الأعمال الصالحة التي ينبغي أن يتسابق إليها المتقون، ويُعنى بها المحسنون، ورتب على القيام بها فضلاً عظيماً، وأجراً كبيراً، يقول عزّ وجلّ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ [النساء: ٣٦].

وروى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما شيئاً»، قال الإمام ابن بطال تعليقاً على هذا الحديث: «حقٌ على من سمع هذا أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ، ولا منزلة أفضل من ذلك».

وفي الحديث عند الإمام أحمد وغيره عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا لله، كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات، ومن أحسن إلى يتيمةٍ أو يتيم عنده، كنت أنا وهو في الجنة كهاتين، وفرّق بين أصبعيه السبابة والوسطى».

وإن من أسباب حلول الخير والبركة في البيوت: أن يُكفل فيها يتيم ويحسنَ إليه ويُبَر به، ففي الحديث عند البخاري في الأدب المفرد وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت في يتيم يساء إليه».

كما أبان رسول الهدى ﷺ عن فضل المرأة التي تقوم على رعاية أولادها اليتامى، مُؤْثرةً ذلك على بعض حظوظها ورغباتها المباحة فقال عليه الصلاة والسلام:

«أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة، وجمع بين أصبعيه السبابة والوسطى، امرأة ذات منصب وجمال آمت من زوجها، حبست نفسها على أيتامها حتى بانوا أو ماتوا». رواه أبو داود وأحمد واللفظ له.

وإن ملاطفة اليتيم، وإدخال السرور على نفسه من أسباب رِقَّة القلوب ولينِها ففي الحديث عند الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال عليه الصلاة والسلام: «امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين».

وإن في هذه النصوص الشرعية، والتوجيهات الإلهية، والإرشادات النبوية، ـ يا عباد الله ـ ويا أرباب الهمم العالية: لأعظم دافع على السعي في كفالة اليتامى، والقيام برعايتهم، والإحسان إليهم، تعرضاً لنفحات المولى سبحانه، وتحرياً لنيل ما رتَّب على ذلك من فضل عظيم وأجر كبير.

وإنَّ كتاب الله العزيز ليستجيش عواطف المؤمنين، ويستثير مشاعر المحسنين نحو العناية باليتامى، والسعي في توفير الحياة الكريمة لهم، كما يُحَذِّرُ الأولياء من التقصير أو التهاون في القيام بما يجب عليهم لليتامى من حقوق وواجبات، يقول عزَّ وجلَّ: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء: ٩].

لقد شرع الإسلام لليتامى حقوقاً ألزم بها الأولياء والأوصياء، عليهم أن يتقوا الله تعالى في أدائها حق الأداء، ورعايتها حق الرعاية، بأن يُعنَوا بتحقيق مصالح اليتيم الدينية والدنيوية، كالعناية بالأبناء وفلذات الأكباد.

وإنَّ أولى مصالح اليتيم بالعناية، وأحقها بالرعاية أن يُجتهد في استصلاح دينه وأخلاقه بتنشئته على تعاليم الدين القويم، وآداب الشرع المبين، حتى يشب سليم المعتقد، صحيح الديانة، محافظاً على التكاليف الشرعية، والواجبات الدينية، مهذباً في أخلاقه قويماً في سلوكه وآدابه، مجتنباً سيء الأخلاق ومساوءها، مع الاعتناء بالرفق واللين، والتلطف في التوجيه والتقويم، والحذرِ من الإساءة إليه، أو القسوةِ والغلظة عليه إلا أن يُحتاج إلى شيء من ذلك بقصد التأديب والتقويم بالنافع غير

الضار، وليكن من غير إيذاء وإيلام، أو تعنيف وإذلال، فقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ ﴾ [الضحى: 9]، وقال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ ﴾ [الماعون: ١، ٢]، قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره هذه الآية: «الذي يَدُعُّ اليتيم هو الذي يقهره ويظلمه حقه، ولا يطعمه ولا يحسن إليه».

وإن من حق اليتيم أن يوجَّه إلى التعليم والتثقيف بما يلائم طبعه وميله من علوم ومعارف مفيدة، أو مهن شريفة نافعة، تكون سبباً في استغنائه بنفسه في مستقبل حياته، ليكون فرداً صالحاً، وعضواً نافعاً لأهله ومجتمعه، وإن من البر باليتيمِ، ومن آكد حقوقه أن يُعنى بحفظ ماله إن كان ذا مال، والإنفاقَ عليه منه بالمعروف، والعمل على تنميته واستثماره في الأوجه المشروعة، وعلى الأولياء والأوصياء أن يتقوا الله تعالى في أموال اليتامى، وليحذروا من إضاعتها، أو اختلاس شيء منها، والاستيلاء عليها ظلماً وعدواناً، استغلالاً لضعفهم وعدم إدراكهم، فإن ذلك من كبائر الذنوب، وعظيم الآثام، توعد الله تعالى مرتكبيه بأشد أنواع العذاب، بأن يُصْلَوا في نار السعير وبئس المصير، يقول عزّ شأنه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [النساء: ١٠]، ويقول جلّ وعلا: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [النساء: ٢]، أي: ذنباً كبيراً وجرماً عظيماً. وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات ـ أي المهلكات ـ وعَدَّ منها: «أكل مال اليتيم»، إلا أن الله عزّ وجلّ قد رفع الحرج عن الأولياء وأباح لهم الأكل من أموال اليتامى بالمعروف إن كانوا من ذوي الفقر والحاجة، مقابل ما يقومون به من رعاية وعناية، ووجه سبحانه إلى الترفع عن ذلك في حال الغنى واليسار، حتى إذا ما بلغ اليتيم رشده، وكان قادراً على حفظ ماله وإصلاحه، فليُدفع إليه كاملاً غير منقوص كما قال عزّ وجلّ: ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾ [النساء: ٦].

فهذه يا عباد الله من أهم الحقوق التي فرضها الإسلام لليتامى وأوجب على

الأولياء القيام بها، وجماع ذلك كله أن يُسعى في جلب المصالح لهم، ودفع المفاسد والأضرار عنهم، كما قال جلّ وعلا: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ [البقرة: ٢٢٠].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه سبحانه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله تعالى ربكم لعلكم تفلحون، ولتعلموا عباد الله أن من أجَلِّ الطاعات، وأفضل القربات: كفالة اليتامى، والسعي في استصلاحهم، والقيام على شؤونهم، والمساهمة في إعانتهم، وآكد ما يكون ذلك عند اشتداد الحاجة، كما هو الحال في بعض البلاد التي تعاني أحوالاً مؤلمة جراء ما حل بها من محن ورزايا، وما أصابها من البأساء والضراء بسبب حروب طاحنة، أو حوادث مروعة، خَلَّفت كثيراً من الأرامل واليتامى هم في أمس الحاجة إلى الدعم والمساندة من قبل إخوانهم المسلمين.

وقد وفق الله تعالى بعض أهل الغيرة من ذوي البر والإحسان والخير والصلاح، فبذلوا جهوداً حثيثة لمساعدة إخوانهم المنكوبين، فأسسوا الجمعيات الخيرية، والمؤسسات الإنمائية التي تُعنى بكفالة اليتامى ورعاية الفقراء، وتهيئة وسائل الحياة الكريمة لهم، فأنشأوا لهم المساكن والملاجىء، ودور التربية والتعليم والمشافي، وإن من مقتضى الأخوة الإيمانية دعمَ هذه الأعمال الخيرة، والجهود الموفقة مادياً ومعنوياً، وإعانتها على أداء رسالتها السامية، سواء كانت على مستوى الأفراد أو الجمعيات أو الهيئات.

وإنّ بذل الأموال من الزكوات والصدقات في هذا السبيل، من أفضل أنواع البر، وخير دروب الإحسان، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٥].

الحث على صحبة الأخيار

الحمد لله الموصوف بصفات الجلال والكمال، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، أحمده سبحانه وأشكره على جزيل العطاء والنوال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الأنام، حث أمته على اصطفاء الأخيار، وحذر من صحبة الأشرار صلّى الله وسلم عليه وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد: فيا أيها المسلمون، اتقوا الله حق تقاته، واستقيموا على طاعته ومرضاته، فلقد وعد سبحانه من أناب إليه واستقام، بأكرم جزاء، وأحسن مآل، فقد قال عزّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤].

ألا وإن أعظم ما يُعنى المسلم ـ يا عباد الله ـ على تحقيق التقوى والاستقامة على نهج الحق والهدى مصاحبةُ الأخيار، ومصادقةُ الأبرار، والبعدُ عن قرناء السوء، ومخالطةِ الأشرار، لأن الإنسان بحكم طبعه البشري يتأثر بصفيّه وجليسه، ويكتسب من أخلاق قرينه وخليله، والمرء إنما توزن أخلاقه، وتُعرف شمائله بإخوانه وأصفيائه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل». رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما من شيء أدل على شيء من الصاحب على الصاحب»، ومن كلام بعض أهل الحكمة: «يظن بالمرء ما يظن بقرينه».

فلا غرو حيئنذٍ أن يُعنى الإسلام بشأن الصحبة والمجالسة أيما عناية، ويوليها بالغ الرعاية، حيث وجه رسول الهدى ﷺ كل فرد من أفراد الأمة إلى العناية باختيار

الجلساء الصالحين، واصطفاء الرفقاء المتقين، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي». رواه أبو داود والترمذي بإسناد حسن.

كما ضرب ﷺ لأمته مثل الجليس الصالح وجليس السوء بشيء محسوس وظاهر، كلٌ يدرك أثره وعاقبته، ومقدار نفعه أو ضره، فقد أخرج الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح، وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة»، قال الإمام ابن حجر تعليقاً على هذا الحديث: «فيه النهي عن مجالسة من يُتَأذّى بمجالسته في الدين والدنيا، والترغيبُ في مجالسة من يُنتفع بمجالسته فيهما».

لذا فإن من الحزم والرشاد، ورجاحة العقل، وحصافة الرأي أن لا يجالس المرء إلا من يرى في مجالسته ومؤاخاته النفع له في أمر دينه ودنياه.

وإن خير الأصحاب لصاحبه، وأنفع الجلساء لجليسه من كان ذا برٍّ وتقى، ومروءة ونهى، ومكارم أخلاق، ومحاسن آداب، وجميل عوائد، مع صفاء سريرة، ونفس أبية، وهمة عالية.

وتكمل صفاته، ويجل قدره حين يكون من أهل العلم والأدب، والفقه والحكمة، إذ هذه صفات الكُمَّل من الأنام، الذين يأنس بهم الجليس، ويسعد بهم الصديق، لإخلاصهم في المودة، وإعانتهم على النائبة، وأمن جانبهم من كل غائلة، فمن وفق لصحبة من كانت هذه صفاته وأخلاقه، وتلك شمائله وآدابه، فذلك عنوان سعادته، وأمارة توفيقه، فليستمسك بغرزه، ولَيَعَضَّ عليه بالنواجذ، ولْيَرْعَ له حق الصحبة بالوفاء والصدق معه، وتوقيره وإجلاله، ومؤانسته حال سروره، ومواساته حال مصيبته، وإعانته عند ضائقته، والتغاضي عن هفواته، والتغافل عن زلاته، إذ السلامة من ذلك أمر متعذر في طبع البشر، وحسب المرء فضلاً أن تعد مثالبه ومعائبه.

وإن شر الأصحاب على صاحبه، وأسوئهم أثراً على جليسه، من ضعفت

ديانته، وساءت أخلاقه، وخبثت سريرته، ولم تحمد سيرته، من لا همَّ له إلا تحقيق مآربه وأهوائه، ونيلَ شهواته ورغباته، وإن كان على حساب دينه ومروءته، ولربما بلغ الحال ببعض هؤلاء أن لا يقيم للدين وزناً، ولا للمروءة اعتباراً، ولا يرى للصداقة حقاً، فمؤاخاة هذا وأمثالِهِ ضرب من العناء، وسبيل من سبل الشقاء، لما قد يجلبه على صاحبه وجليسه من شر وبلاء بصده عن ذكر الله وطاعته، وتثبيطه عن مكارم الأخلاق، ومقتضيات المروءة، وتعويده على بذاءة اللسان، والفحش في الكلام، وحمله على ارتكاب أنواع من الفسق والفجور، والأخذ به في سبيل اللهو واللعب، وضياع الأوقات فيما يضر ولا ينفع من أنواع الملهيات والمغريات وتبذير الأموال في صنوف من المحرمات، وليُتأمل ـ يا عباد الله ـ في حال من ابتلوا بإدمان المسكرات، وتعاطي المخدرات، واقتراف الفواحش والمنكرات، واكتساب الأموال المحرمة من ربا ورشوة وغيرها من المكاسب الخبيثة، وما هم عليه من سوء الحال في أنفسهم وأهليهم، وما كان لهم من أسوأ الأثر على من يخالطهم ويصافيهم، فمن شقاء المرء أن يجالس أمثال هؤلاء الذين ليس في صحبتهم سوى الحسرة والندامة، لأنهم ربما أفسدوا عليه دينه وأخلاقه، حتى يخسر دنياه وآخرته، وذلك هو الخسران المبين، والغبن الفاحش يوم الدين، كما قال سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

فتلكم ـ يا عباد الله ـ بعض صفات من تحسن صحبتهم من أهل البر والتقى، والألباب والنهى، وبعض صفات من يجب الحذر من مجالستهم من قرناء السوء، وذوي الفسق والفجور، والناس بين ذلك على مراتب، فمنهم من إلى الخير والفضل أرجى، وآخرون إلى السوء والشر أدنى، والحازم يزن الناس بميزان الشرع والعقل، فمن غلب خيره على شره، ونفعه على ضره، اتخذه خليلاً، واصطفاه جليساً، والعكس بالعكس، ومن تحرى صحبة الصالحين، وحرص على مجالسة المتقين، وفق لذلك على قدر نيته واجتهاده، وليُتَذَكَّر يا عباد الله أن كل صحبة وخلة فمآلها إلى العدواة والبغضاء إن عاجلاً أو آجلاً، إلا مؤاخاة المتقين، فإنها الباقية الدائمة لأصحابها في الدنيا والآخرة.

فاتقوا الله عباد الله، واسلكوا سبيل الراشدين، وانهجوا نهج المهتدين في مؤاخاة الصالحين، ومجالسة المتقين، والحذر من مجالسة الفاسقين والظالمين. فقد قال سبحانه: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ [الزخرف: ٦٧].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره على ما أنعم وأولى، وأكرم وأعطى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلي الأعلى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، نبيه المصطفى وخليله المجتبى، صلّى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى، وبدور الدجى، ومن سار على هديهم واقتفى.

أما بعد: فيا عباد الله، اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، ولتتأملوا رحمكم الله حال كثير من الناس اليوم، ولا سيما الناشئة، وما هم عليه من انحراف في العقائد والأخلاق، وفساد في السلوك والآداب، لتَروا أن مَرَدَّ ذلك ومنشأة في الغالب صحبة الأشرار، وقرناء السوء، من دعاة الباطل والأهواء الذين أجلبوا بخيلهم ورجلهم عبر وسائل متنوعة، وقنوات مختلفة، يبثون الشرور، وينشرون السموم، حتى انحرف كثير من ناشئة المسلمين عن جادة الحق والرشاد، وطريق الفضيلة والصلاح، وسلكوا مسالك الضلالة، ونهجوا دروب الغواية، رغم تحذير الحق عزّ وجلّ عن طاعة أهل الباطل، وذوي الأهواء، حيث قال جلّ وعلا: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨]، وإنَّ هذا لنذير شؤم وبلاء على أمة الإسلام إن لم يُتدارك من المصلحين الغيورين على الإسلام وأهله من الدعاة وأرباب الفكر وحملة الأقلام ورجال التربية والإعلام في بلاد الإسلام، ببذل الجهود، وحشد الطاقات واستغلال الوسائل النافعة المعينة على صلاح الناشئة، وتهذيب أخلاقهم، وتقويم سلوكهم، والحيلولة دون تأثير دعاة السوء وأهل الأهواء.

وإن المسؤولية لتقع في الدرجة الأولى على عاتق الآباء والأمهات في العناية بفلذات الأكباد، وتنشئتهم على آداب الدين وتعاليم الإسلام، وحفظهم عن قرناء السوء، ومخالطة الأشرار، ووسائل الشر والفساد، سعياً في استصلاحهم وتحقيق ما يسعدهم في العاجل والآجل، وقياماً بما أوجب الله تعالى لهم من رعاية وعناية، فتلكم مسؤولية عظمى وأمانة كبرى حملكم الله إياها أيها الآباء والأمهات، فلتؤدوها حق الأداء، ولترعوها حق الرعاية امتثالاً لتوجيه الحق سبحانه إذ يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ ﴾ [التحريم: ٦].

فضل يوم الجمعة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وفضلنا به على سائر الأنام، أحمده سبحانه وأشكره على جزيل الفضل والإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك العلام، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيد الأنام. صلّى الله وسلم عليه وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله فإن تقواه سبحانه بها العصمة من الضلالة والسلامة من الغواية، وهي السبيل إلى السعادة والنجاة يوم القيامة، فاتقوا الله حق تقاته والتزموا طاعته ومرضاته.

وتذكروا عباد الله أن الله عزّ وجلّ قد فضل بعض مخلوقاته على بعض اصطفاء منه واختيارًا، وتشريفًا وتكريماً، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، وإن مما فضل الحق عزّ وجلّ من مخلوقاته تفضيله بعض الأيام على بعض، وجعلها موسماً لإفضاله وإنعامه، ومتجراً لأوليائه وأصفيائه، يغتنمونها بما يقربهم إليه تعالى ويدنيهم من رحمته ورضوانه.

ألا وإن يوم الجمعة أعظم الأيام عند الله قدراً، وأجلها شرفاً، وأكثرها فضلاً، فقد اصطفاه الله تعالى على غيره من الأيام وفضله على سواه من الأزمان واختص الله عزّ وجلّ به أمة الإسلام، فقد ضلت عنه اليهود والنصارى وهدى الله تعالى أمة الإسلام إليه تشريفاً وتكريماً لها ببركة نبيها ﷺ الذي نالت بيمن رسالته كل خير وفضيلة. روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «أضل الله عن الجمعة من

كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة».

فيوم الجمعة سيد الأيام كلها، خصه الله بخصائص عظمى، وشرفه بمزايا كبرى، ليست لغيره من الأيام، وندب الله عزّ وجلّ العباد إلى اغتنام ما فيه من الفضائل والمسارعة إلى ما خص له من الطاعات.

وإن مما أشار إليه رسول الهدى ﷺ من فضائل هذا اليوم وخصائصه ما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»، وروى الإمام أحمد وابن ماجة عن أبي لبابة البدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن يوم الجمعة سيد الأيام، وأعظمها عند الله، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر، فيه خمس خلال: خلق الله عزّ وجلّ فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله آدم، وفيه ساعة لا يسألُ اللهَ فيها العبدُ شيئًا إلا أعطاه ما لم يسأل حراماً، وفيه تقوم الساعة، ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يُشفقن من يوم الجمعة».

فقد عدد رسول الله ﷺ في هذه الأحاديث بعض خصائص هذا اليوم ومزاياه وإن من أجلها ما أشار إليه ﷺ من أن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله: «أكثر الأحاديث في الساعة التي ترجى فيها إجابة الدعوة أنها بعد صلاة العصر»، وقد روى أبو داود والنسائي والحاكم وصححه عنه ﷺ أنه قال: «التمسوها آخر ساعة بعد العصر».

وإن مما شرع من العبادات في هذا اليوم قراءة سورة الكهف، ففي الحديث عند النسائي والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين الجمعتين».

عباد الله: إن من أعظم ما شرع الله تعالى في هذا اليوم المبارك ومن أجل

خصائصه صلاة الجمعة، فإنها من أعظم الصلوات قدراً، وآكدها فرضاً، وأكثرها ثواباً، قد أولاها الإسلام مزيد عناية، وبالغ رعاية، فحث على الاغتسال لها، والتنظف والتطيب وقطع الروائح الكريهة والخروج إليها بأحسن لباس، وأكمل هيئة، والتبكير في الخروج إليها، والدنو من الإمام واستجماع القلب للاستماع للموعظة والذكر، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر».

وروى أبو داود والحاكم وصححه عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «احضروا الجمعة وادنوا من الإمام، فإن الرجل ما يزال يتباعد حتى يؤخر في الجنة وإن دخلها».

ثم إن على المرء إذا حضر في المسجد أن يشتغل بالعبادة والطاعة من صلاة وذكر وتلاوة للقرآن حتى يخرج الإمام، فإذا خرج الإمام أصغى واستمع للخطبة متعظاً بما يكون فيها من آيات تتلى وأحاديث تروى تذكر بالله تعالى والدار الآخرة، وتدعو إلى التمسك بتعاليم الشرع المبين، والحث على ما فيه خير وصلاح للفرد والأمة في العاجل والآجل، ثم يؤدي الصلاة بخشوع وسكينة وتدبر لما يتلى فيها من كلام الله عزّ وجلّ وما يكون فيها من هيئات الذل والعبودية لله تعالى، فإذا فرغ من صلاة الفرض اشتغل بالأذكار المشروعة بعد الصلاة، ثم يسن أن يتنفل بأربع ركعات في المسجد أو بركعتين في بيته، وتأخيرها إلى البيت أفضل لفعله ﷺ كما ثبت في الصحيحين.

فمن حرص على فعل ذلك وأداه بنية خالصة فحري به أن ينال فضل هذا اليوم المبارك وأن يحظى بثوابه العظيم من المنعم الكريم فقد قال ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت، غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام». رواه مسلم في صحيحه.

ولتحذروا عباد الله كل ما نهى عنه الشرع وحذر مما يكون سبباً في فوات أجر

الجمعة أو نقصان ثوابها كالتأخر في الذهاب إليها حتى يخرج الإمام، أو إشغال المصلين بتخطي رقابهم فقد رأى ﷺ وهو يخطب يوم الجمعة رجلاً يتخطى رقاب الناس، فقال له ﷺ منكرًا عليه: «اجلس فقد آذيت وآنيت» وإنه ليخشى على من يفعل ذلك أن يدخل في عموم قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وليحذر التشويش على عباد الله برفع الصوت بالذكر أو التلاوة فقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك بقوله للصحابة حينما علت أصواتهم بالقراءة: «لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن» والأسوأ من ذلك أن يحصل التشويش بالحديث مع الغير في أمور الدنيا، ولا سيما أثناء الخطبة فإن من الحرمان وقلة البصيرة أن ينشغل المرء عن الخطبة بحديث، أو عبث بحصى أو غيره، فيفوته بذلك ثواب الجمعة وفضلها، فقد قال رسول الله ﷺ: «من مس الحصى فقد لغا». رواه مسلم في صحيحه، وروى أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت»، وروى أبو داودَ في سننه عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال يوم الجمعة لصاحبه والإمام يخطب صه، فقد لغا ومن لغا فليس له في جمعته تلك شيء».

وإن من كبائر الذنوب يا عباد الله أن يتخلف المسلم عن الحضور للجمعة من غير عذر شرعي، فقد شدد رسول الله ﷺ في التحذير من ذلك، مبيناً عليه الصلاة والسلام أن من فعل ذلك فقد عرض نفسه للإصابة بداء الغفلة عن الله والطبع على قلبه، ومن طبع الله على قلبه عميت بصيرته وساء مصيره، روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «لينتهين أقوام عن ودْعِهم الجمعات، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكُونُنَّ من الغافلين». وروى الإمام أحمد بإسناد حسن والحاكم وصححه عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير ضرورة طبع الله على قلبه».

فاتقوا الله عباد الله، ولتغتنموا يوم الجمعة بجلائل الأعمال الصالحة التي تقربكم إلى الله تعالى وتدنيكم من رحمته ورضوانه، فإن ذلك من أسباب الفلاح والتوفيق في الحياة الدنيا وفي الآخرة، يقول عزّ وجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ

لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ٩، ١٠].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونثني عليه الخير كله، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، ولتعلموا أن من أفضل الأعمال الصالحة يوم الجمعة وليلتها الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الهدى ﷺ فقد روى أبو داود بإسناد صحيح عن أوس بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا عَلَيَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عَلَيَّ»، وروى البيهقي وغيره بإسناد حسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أكثروا من الصلاة عَلَيَّ يوم الجمعة وليلة الجمعة».

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «ورسول الله ﷺ سيد الأنام، ويوم الجمعة سيد الأيام، فللصلاة عليه في هذا اليوم مزية ليست لغيره، مع حكمة أخرى، وهي أن كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة، فإنما نالته على يده، فجمع الله لأمته بين خيري الدنيا والآخرة، فأعظم كرامة تحصل لهم فإنما تحصل يوم الجمعة، فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنة، وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة، وهو يوم عيد لهم في الدنيا، ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم، ولا يرد سائلهم، وهذا كله إنما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده، فمن شُكْرِهِ وَحَمْدِهِ وأداء قليل من

حقه ﷺ أن نكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته»، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد إمام المتقين، وسيد الأولين والآخرين. . .

حرمة البلد الحرام

الحمد لله رب العالمين، يخلق ما يشاء ويختار وهو الحكيم العليم، أحمده سبحانه وأشكره على آلائه ونعمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، نبيه المجتبى، وحبيبه المصطفى صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى، وبدور الدجى، ومن سار على هديهم واقتفى.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى ربكم حق تقاته، واشكروه سبحانه على ما أنعم به عليكم من نعم عظمى، وآلاء تترى ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

عباد الله: لقد خلق الله عزّ وجلّ الخلق بقدرته، وفضّل بعضهم على بعض بحكمته وإرادته، واصطفى سبحانه من خلقه ما يشاء تشريفاً منه وتكريماً ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨].

فقد اصطفى المولى سبحانه وتعالى هذا البلد الحرام على سواه من البلاد، وشرفه على غيره من الأمكنة والبقاع، وخصّه ببيته العتيق الذي جعله مثابة للناس وأمناً، فهو أول بيت وُضع للناس مباركاً وهدىً للعالمين، ومهوى أفئدة المؤمنين، وملتقى جموع المسلمين، وقبلة أهل الإسلام.

فيه بُعث رسول الهدى ﷺ، فشرفت به البلاد، وسعد به العباد، وأنزل الله تعالى عليه فيه القرآن هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان، فمِن هذه الرحاب الطاهرة والمواطن المقدسة انبلج نور الإيمان، وعلت راية التوحيد، وانطلقت كلمة الحق مدوِّية في الآفاق، تدعو إلى دين الله القويم، وإخلاص العبودية لله رب العالمين، وقطعِ علائق الشرك والوثنية، حتى استضاءت بنور الوحي المبين المشارق والمغارب، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وأودع الله عزّ وجلّ في قلوب عباده

المؤمنين تعظيم بيته الحرام والشوق إليه، وجَبَل القلوبَ على مهابته، والنفوسَ على إجلاله والسعي في الوصول إلى رحابه المشرَّفة، وساحاتِه المباركة، والتوافد إليه من كل فج عميق، في كل وقت وحين، حُجَّاجاً ومعتمرين، استجابة لأمر الله، وتحقيقاً لنداء خليله عليه الصلاة والسلام، أملاً في حط الأوزار، والخطايا والآثام، والعفو عن الزلات، وتكفير السيئات، ورفع الدرجات، والفوز برضوان من الله ورحمة.

ولقد خصَّ ربنا عزّ وجلّ أهل بلده الحرام، والوافدين إليه بمزيتين جليلتين، ونعمتين عظيمتين، بهما تحصل السعادة، وتحل السكينة والطمأنينة، وهما الأمن ورغد العيش، امتن الله بهما على عباده، ونوَّه بهما في كتابه، فقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص: ٥٧]، فما برح هذا البيت العظيم، وما برحت هذه الرحاب المباركة محفوظة بحفظ الرحمن عبر العصور والأزمان، ومع تطاول الدهور والأعوام، محفوظة بحفظ الله، ممنوعة بقدرة الله عن أيدي الجبابرة الظالمين، والطغاة المفسدين، فما أراد أحد بهذا البيت أو أهله سوءاً إلا عاجله الله بالعقوبة، وفيما قصه الحق سبحانه في محكم التنزيل عن أصحاب الفيل، وما أنزل عليهم من العذاب الأليم لعبرة للمعتبرين، وذكرى للغافلين: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥].

أيها المسلمون: إن من تعظيم الله تعالى لهذا البيت الحرام أنه جعله حرماً آمناً، يأمن فيه كلُّ شيء، يأمن فيه الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، ويأمن فيه الصيدُ من الاصطياد، والشجرُ والنبات من القطع والاحتشاش، ولذا وصفه الحق سبحانه في كتابه الكريم بأنه البلد الأمين، والبلد الآمن، وأنَّ من دخله فهو آمن، فقال عزّ شأنه: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ [التين: ٣]، وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص: ٥٧]، وقال جلّ وعلا: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

والمعنى في هذه الآيات كما قال المفسرون: إنه يجب تأمين داخله وحمايتُه، والحذرُ من التعرض له بأي سوء أو أذى، آدمياً كان أو غيره مما يصاد من الطير والحيوان ما لم يكن مؤذياً.

ولقد أوضح رسول الله ﷺ يوم فتح مكة حرمةَ هذا البلد الحرام، وأبان للأمة

عن مكانته في الإسلام، وحرمة أهله والوافدين إليه، فقد جاء في الحديث عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم فتح مكة: «إنَّ هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعةً من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا يُنَفَّر صيده، ولا يَلتقِطُ لُقَطَتَه إلا من عرَّفها، ولا يختلى خلاه، فقال العباس بن عبدالمطلب: يا رسول الله إلا الإذخر، فإنه لِقَيْنِهِم ولبيوتهم، قال ﷺ: إلا الإذخر». رواه البخاري ومسلم.

وفي لفظ آخر لهما، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجرة، فإنْ أحد ترخص بقتال رسول الله فيها، فقولوا له: إنَّ الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي ساعةً من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلِّغ الشاهدُ الغائب».

ألا فلتتقوا الله أيها المسلمون ولتعظموا بيته الحرام، وبلده الأمين، وإن من تعظيمه الاستقامة فيه على الطاعة، والسير على نهج المتقين، وسنن الصالحين، وإخلاص الدين لله وحده بجميع أنواع العبادة، وعدم الالتفات لسوى الحق سبحانه كائناً من كان، والحذر من انتهاك حرمات الله فيه، أو التعرض لأهله والوافدين إليه بظلم أو أذى، فإن لهذا البيت عند الله حرمة عظيمة، غير أن المؤمن أعظمُ عند الله حرمة منه.

وإن في تحريم الله عزّ وجلّ تنفير الصيد، وقطع الشجر، وعضد الشوك في هذا البلد الحرام، مع ما في الشوك من الأذى لآكد دليل على عظم حرمة المؤمن عند ربه عزّ وجلّ، فاحذروا أيها المؤمنون من انتهاك حرمات الله وشعائره، وحرمات إخوانكم المؤمنين، وعظِّموا بيتَ ربكم، وبلدَه الآمن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢].

عباد الله: إن هذا البلد الحرام مكان تطهير النفوس وصفاء القلوب، وتزكيتها بنور الإيمان وصالح الأعمال، والتخلص من أدران الذنوب، وأوضار الفواحش

والآثام، إلا أن من عظيم الأسى ما يُرى من حال البعض منا من عدم استشعارٍ لقدسية هذه الأماكن المشرفة، والرحاب الطاهرة، واستهانة بحرمتها في مظاهر مألوفة للعيان، من تقصير في الواجبات الشرعية، ولا سيما الصلاة التي هي عماد الدين وركنه القويم، وإهمالٍ لبعض شعائر الدين القويم، وما يُرى من ارتكاب المحرمات، وعدم المبالاة باقتراب المعاصي والفواحش والمنكرات، والاعتداء على عباد الله الآمنين فيه، اعتداء على الأنفس، واستطالة في الأعراض، واستيلاء على الأموال، ومنع للحقوق، واحتقار لعباد الله المؤمنين، وازدراء الضعفاء والفقراء والمساكين من عباد الله الصالحين، وغير ذلك من المخالفات والمعاصي، فلم يراع أولئك حرمة هذا البلد الأمين، ولا حرمات إخوانهم المسلمين، غافلين أو متغافلين عما يجره ذلك عليهم من وزر كبير، وإثم عظيم.

ألا يخشى أولئك من سخط الرب جّل جلاله، وتحولِ عافيته وفُجاءةِ نقمته، واستجابةِ دعوات المظلومين، حين تنطلق من جوار هذا البيت العتيق، فتُفتح لها أبوابُ السماء، إذ ليس بينها وبين الله حجاب، وقد قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» أخرجه الشيخان.

فاتقوا الله عباد الله، واستشعروا على الدوام قدسية بلد الله الحرام، وشرفوه وعظموه فإن ذلك من تقوى القلوب.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله: اتقوا الله تعالى حق تقاته، وتذكروا أن من تفضيل الله عزّ وجلّ لهذا البلد الحرام ما خصه به من عبادات لا تتأتى في سواه من البلاد، وما خصه به سبحانه من مضاعفة الثواب والحسنات، فالصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة فيما سواه، وكل الأعمال الصالحة فيه تضاعف كما نص على ذلك بعض أهل العلم، كما أن المعصية فيه أعظم من المعصية في غيره، فهي في هذا البلد الحرام أعظم ذنباً وأشد إثماً، ولم يؤاخذ الله عزّ وجلّ أحداً على الهمّ بالمعصية، إلا في هذا البلد الحرام، زيادة في التأكيد على رعاية حرمته وإجلاله وتعظيمه، ولذا يقول سبحانه: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥]، والإلحاد هو الميل عن شرع الله ودينه، إما بترك واجب من واجبات الدين، أو ارتكاب معصية من المعاصي، أو انتهاك حرمة من حرمات الله، فإذا كان العبد مؤاخذاً بمجرد الهم والعزم على العصيان في بلد الله الحرام وإن لم يفعله، فما بالكم أيها المؤمنون بمن يفعل المعاصي، ويرتكب الفواحش والآثام، ويهمل ما أوجب الشارع عليه من واجبات الدين، ورعاية الحرمات دون مبالاة أو اكتراث، ولا خوف من بأس الله الشديد وعذابه الأليم.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واستشعروا مكانة هذا البلد الحرام عند ربكم،

واقدروه حق قدره، وعظموه في النفوس، وأجلوه في القلوب إجلالاً يظهر أثره في الاستقامة على طاعة الله والإنابة إليه، والبعد عن معصيته، والحذر من مخالفة أمره، فإن ذلك من تعظيم حرمات الله، وقد قال عزّ شأنه: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠].

التحذير من النفاق

الحمد لله العليم الخبير، يعلم ما تسرون وما تعلنون، وهو عليم بذات الصدور، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، الصادق الأمين، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه البررة الصادقين، ومن سار على هديهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون، اتقوا الله تعالى ربكم حق تقاته، وأخلصوا له الدين وحده، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

عباد الله: حينما بُعث رسول الهدى ﷺ، وأشرقت الدنيا برسالته ضياءً وابتهاجاً، آمن به من آمن ممن كتب الله لهم الهداية والسعادة، وآزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، وأعرض عنه قومٌ آخرون ممن كتب الله عليهم الشقاء والضلال، فكفروا به وبما جاء به من عند الله، فكان الناسُ في العهد النبوي بمكة فريقين، منهم المؤمن الصادق في إيمانه، ومنهم الكافر المعلن كفره وضلاله، حتى إذا ما هاجر ﷺ إلى المدينة، وأسَّسَ بها دولة الإسلام، وأعزَّه الله ونصره ومن اتبعه من المؤمنين، شَرِقَ أعداء الإسلام بانتشار نور الإيمان، وجزعوا من عموم هدايته للأنام، فتخلل بين صفوف المسلمين من أظهر الإسلام وأبطن الكفر، بقصد القضاء على الإسلام وأهله، وإطفاء نوره ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [التوبة: ٣٢]، فكاد أولئك المنافقون للمسلمين المكائد، وتربصوا بهم الدوائر، وكم هموا بما لم ينالوا، فحفظ الله تعالى نبيه والمؤمنين من كيدهم ومكرهم ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٤].

اتصف أولئك المنافقون بحسن الظاهر، فإن رُؤوا أعجبوا، وإن قالوا أحسنوا،

إلا أنَّ بواطِنَهُم انطوت على الكفر والضلال، وامتلأت نفوسُهم من الغِلِّ والأحقاد على الإسلام وأهله ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [المنافقون: ٤].

آثروا الضلالة على الهدى، والكفر على الإيمان، والحياةَ الدنيا على الآخرة، فبئس ما يصنعون ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٦]، كان ذلك مسلكَ أولئك المنافقين، وديدنَ أولئك المفسدين، كما أفصح عنهم بذلك القرآن الكريم، ولم يكن ذلك المنهج قصراً على ذلك الجيل من المنافقين الذين عاصروا الوحي، وشاهدوا بزوغ شمس الحق، بل هذه سمةُ أهل النِّفاق، ومسلكُ أهلِ الفساد في كل زمان، قد انقلبت موازين الأمور عندهم، وانعكست مقاييسها في نفوسهم، وتغلغل الشرُّ في قلوبهم، فأعماهم عن الحق، وأضلَّهم عن الهدى، زاعمين أنَّ ما هم عليه هو عينُ الصلاح، وروحُ الإصلاح، فلا يزال الإسلام وأهله منهم في كل زمان ومكان في عناء وبلاء.

أيها المسلمون: إنَّ النفاقَ داءٌ عُضال ومرضٌ خطير، وشرٌّ مستطير، وبلاءٌ عريض، إنه أُسُّ الرَّذائل، ومجمع المساوىء، ما حلَّ في نفس إلا كان دليلاً على سوء الطوية، وانحطاط الهمة، وسقوط المنزلة عند الله وعند الخلق، ولا فشا في مجتمع إلا كان نذيرَ شؤمه وبلائه وسبيل زواله، ولقد جاء في القرآن الكريم وعلى لسان سيد المرسلين ﷺ وصفُ أمارات النفاق، وكشفُ أسرار المنافقين، وهتكُ أستارهم، وتجليةُ صفاتهم، ليكون أهل الإيمان منها ومن أهلها على حذر، ذلك أن بليةَ الإسلام بهم أعظمُ بلية، ومصيبتَهم على الإسلام أرزأُ مصيبة، لأنهم منسوبون إلى الإسلام وأهله، وهم في الحقيقة أعداؤه وخصومه.

ألا وإنَّ من علامات المنافقين التي أفصح عنها القرآن الكريم أنهم لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، ولا يشهدون الجماعة إلا رياءً، ولايذكرون الله إلا قليلاً، ولا ينفقون إلا وهم كارهون، يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ويَسْخَرُون بالصالحين، ويستهزئون بالمتقين، ويسعون في الأرض فساداً، والله لايحب المفسدين، كما جلَّى رسول الهدى ﷺ لأمته أخلاقهم، وأسفر عن أوصافِهم نُصحاً للأمة وتحذيراً، فقال عليه الصلاة والسلام: «أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً،

ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها، إذا ائتُمن خان، وإذا حَدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر». رواه البخاري ومسلم، ولهما أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمن خان).

زاد مسلم: (وإن صام وصلّى وزعم أنه مسلم). فهذه أوصاف أهل النفاق الأكبر المخرج لصاحبه عن دائرة أهل الإيمان ممن أبان الحق سبحانه عن جزائهم ومصيرهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥].

وهناك أيها المؤمنون نفاق آخر، وهو العمل بشيء من أخلاق المنافقين، والتلبسُ ببعض صفاتهم المنافيةِ لصفاء الدين، كما قال عليه الصلاة والسلام: «ومن كانت فيه خصلةٌ منهن - يعني صفات المنافقين - كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها». فإن هذا النوع من النفاق من أكبر المعاصي وأعظمِ الذنوب، وهو وإن لم يُخرِج صاحبه عن دائرة الإسلام إلا أنه يُخشى على المرء إذا ما أصَرَّ عليه وأكثر من الاتصاف به، والتخلق بأخلاقه أن يُسلب منه الإيمان، ويصير منافقاً خالصاً.

ومَرَدُّ هذا النوع من النفاق يعود إلى اختلاف علانية المرء وسريرته، إذْ يُبدي علانيةً صالحة، ويبطن ضدَّها، يُظهر الصدقَ وهو كاذبٌ، ويدَّعي الأمانةَ وقد نوى الخيانة، ويتظاهر بالخشوع في عباداته، وقلبُه ساهٍ غيرُ خاشع، وغيرُ ذلك من أعمال المرائين، وأخلاق المنافقين.

قال الإمام الحسنُ البصري رحمه الله: «كان يقال: النفاق اختلاف السر والعلانية، والقولِ والعمل، والمدخلِ والمخرج»، وكان من دعاء بعض السلف قوله: «اللهم إني أعوذ بك من خشوع النفاق، قيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يُرى البدنُ خاشعاً والقلبُ ليس بخاشع».

ألا وإنَّ من عظيم الأسى يا عباد الله ما يُرى في كثير من المجتمعات الإسلامية اليوم من مظاهر النفاق وعلامات المنافقين، وعمومِ البلاء فيه، في كثير من المنتسبين للإسلام، حتى تعدى عامةَ الناس إلى بعض المنتسبين للعلم، والمتظاهرين بالصلاح،

فكم بيننا أيها المسلمون ممن لا يتورع عن الكذب في أقواله وأخباره، وإشاعةِ الأقوال المختلَقة، وترويجِ الأخبار المغْرِضة، بقصد الإساءة إلى فرد أو جماعة، وكم ممن تلبس بالغش والخداع، والمكرِ والتدليس في المعاملة حتى أصبح لا يؤمَنُ جانبه، ولا يُطمئنُ إلى معاملته، ولا يُوثَق بأقواله، إنه لايبالي أن يُخلفَ وعداً، أو ينكُثَ عهداً، أو يخونَ أمانة، وكم هنالك ممن يحاول خِداع النَّاسِ بحسنِ كلامه، ورقة حديثه، ولطافةِ خُلُقِه، يُظهر للآخرين النصحَ والأمانة، والصِّدق والمودة، ولكنه بخلاف ما يُظهر، وعلى عكس ما يبدي، قد امتلأ قلبه غيظاً وحقداً، وحسداً وغِلّاً، ونفاقاً ومراوغة، يبيع دينه بعرض من الدنيا، ويهدر كرامته في سبيل نيلِ غرضٍ شخصيٍّ، أو مصلحة دنيوية زائلة، غير عابىء بعظيم جرمه، وقبيح صنعه.

أنسيَ أولئك أو تناسوا أنَّ الله تعالى مطلّعٌ على السرائر وما تخفي الصدور، وسيجازي كلاً بما عمل على وفق نيته وقصده.

فاتقوا الله عباد الله، واتصفوا بصفات أهل الصِّدق والإيمان، ولتحذروا أخلاق أهل النفاق والرياء، ولتُعنوا بإصلاح النفس وتزكيتها بالإيمان وصالح الأعمال، والارتقاء بها إلى مصافِّ المتقين الأبرار، الذين وعدهم الحق بأحسن جزاء وأكرم مآل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: ٦٧، ٦٨].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أسعد بجواره من أطاعه واتقاه، وقضى بالذل والهوان على من خالف أمره وعصاه، أحمده سبحانه وأشكره على سوابغ فضله ونعمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى حق التقوى، وأخلصوا له في السرِّ والنجوى، ولتحذوروا عباد الله من النفاق ولنكن منه على خوف ووجل، فلقد خاف النفاقَ على أنفسهم خيارُ هذه الأمة وصفوتُها من أصحاب رسول الله ﷺ، ومَن بعدهم من أئمة الإسلام، وأهلِ الصلاح والتقوى، حتى قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: «ما خاف النفاقَ على نفسه إلا مؤمن، ولا أمنَه على نفسه إلا منافق». وسأل عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه حذيفةَ بن اليمان رضي الله عنه صاحبَ سرِّ رسول الله ﷺ وقال له: «ناشدتك الله، هل عدَّني لك رسول الله ﷺ في المنافقين؟ فقال: لا، ولا أزكِّي أحداً بعدك».

وروى البخاري في صحيحه عن ابن أبي مُليكة قال: «أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلُّهم يخاف على نفسه النفاق». فإذا كان هؤلاء المتقون الأبرار، والصفوة الأخيار من هذه الأمة يخشون النفاق على أنفسهم فإن غيرهم من الناس لا سيما في أعقاب الزمن أولى بالحذر منه، والخشية من الاتصاف بشيء منه.

فاتقوا الله عباد الله، وأخلصوا لله أعمالكم، وأحسنوا له القصد والعمل، فإنَّ الجزاء من جنس العمل، وما ربك بظلام للعبيد، يقول عزّ شأنه: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠].

موقف المسلم عند تأزم الفتن

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الإله الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، وهدى للناس أجمعين، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابه الغر الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون، اتقوا الله حق تقاته، فإن في تقواه عزّ وجلّ العصمة من الضلالة، والسلامة من الغواية، والأمن من المخاوف، والنجاة من المهالك، ومن حقق التقوى آتاه الله نوراً وضياءً، يفرق به بين الضلالة والهدى، والبصيرة والعمى، كما قال جلّ وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

فاتقوا الله عباد الله واستقيموا على شرعه القويم، والتزموا صراطه المستقيم، الذي لا يضل سالكه؛ لأنه طريق واضح لا لبس فيه، ومستقيم لا التواء فيه ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فصراط الله المستقيم هو كتابه الكريم، وهدي رسوله الأمين، الذي سار عليه وربى عليه أصحابه، ووجه أمته إلى السير عليه، والعمل على وفقه في الاعتقاد والعمل، دون غلو ولا جفاء، ومن غير إفراط ولا تفريط، وإنما وسط واعتدال كما قال عزّ وجلّ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وتلك فضيلة عظمى، امتازت بها شريعة الإسلام الحنيفية السمحة، وهو الحق والعدل الذي

يجب أن يسلك وينهج، كما قال سبحانه: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٢﴾ [هود: ١١٢].

وإن من صدق الإيمان ودلائل التوفيق يا عباد الله: أن يستقيم المرء على دين الله وشرعه أيام حياته، في حال السراء والضراء، وفي حال الشدة والرخاء، فيكون عابداً شاكراً لله في حال السراء، وصابراً محتسباً في حال الضراء، ملتزماً نهج رسول الهدى ﷺ الذي سار عليه ووجه أمته إليه، إذ ما من خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه، ولم ينتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى حتى أكمل الله تعالى به الدين، وأتم به النعمة على الخلق أجمعين، حتى ترك أمته على المحجة البيضاء الواضحة للسالكين، والبينة للناهجين، لا يزيغ عنها إلا من كان من الهالكين، كما أنه عليه الصلاة والسلام قد أخبر بما يكون في الأمة بعده إلى قيام الساعة من تفرق واختلاف ونزاع وشقاق ينشأ عنه فتن عظمى، ومحن كبرى، يوقد نارَها، ويذكي جذوتَها أعداءٌ متربصون، وكفرةٌ حاقدون، أو جهلةٌ قاصرون، منحرفون عن منهج الحق والعدل، فتتأجج نار الفتن في الأمة، وتشتد ضراوتها، ويستشري ضررها، ويتفاقم خطرها، ويجل خطبها، وتلتبس عندئذٍ كثير من الحقائق، وتختلط كثير من المفاهيم، وتختل الموازين، ويهلك بسببها خلق كثير، ويحتار جراءها ذوو العقول والبصائر، وهكذا شأن الفتن إذا عظمت في الأمة، كما وصفها بذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله: «تبدأ في مدارج خفية، وتؤول إلى فظاعة جلية، فتزيغ قلوب بعد استقامة، وتضل رجال بعد سلامة، وتختلف الأهواء عند هجومها، وتلتبس الآراء عند نجومها، من أشرف لها قصمته، ومن سعى فيها حطمته، تغيض فيها الحكمة، وتنطق فيها الظلمة، وتثلم منار الدين، وتنقض عقد اليقين، تهرب منها الأكياس، وتدبرها الأرجاس، مرعاد مبراق، كاشفة عن ساق، تُقَطَّع فيها الأرحام، ويفارق عليها الإسلام».

ثم يوجه رضي الله عنه بعد ذلك إلى اجتناب الفتن، فيقول: «فلا تكونوا أنصاب الفتن، وأعلام البدع، والزموا ما عُقد عليه حبلُ الجماعة، وبنيت عليه أركان الطاعة، واقدموا على الله مظلومين، ولا تقدموا عليه ظالمين، واتقوا مدارج الشيطان، ومهابط العدوان» انتهى كلامه رضي الله عنه. فما أعظمه من وصف بليغ،

وبيان دقيق لحقيقة الفتن وواقعها، وما أجلها من نصائح صدرت من قلب امتلأ إيماناً ويقيناً، وبصيرة وعلماً، ابتلي بالفتن فخبرها، واصطلى بنارها فصبر عليها، وأبلى بلاءً عظيماً في القضاء عليها، وسن فيها للأمة سنناً باقية إلى أن تقوم الساعة، وما تزال الفتن في الأمة يا عباد الله تظهر عبر عصور الإسلام بين الحين والآخر، حتى ابتليت أمة الإسلام بما يحدث الآن على الساحة العالمية من أحداث وتداعيات، وما أفرزته من فتن تلاطمت أمواجها، ومحن هاجت أعاصيرها، وطال بلاد الإسلام وأهل الإسلام منها عظيم الأضرار، وبالغ الأخطار، حتى تَحَيَّر جراء ذلك ذوو الرأي والنهى، والعارفون بمجريات الأحداث، وعسر عليهم التنبؤ بما تؤول إليه الأحوال في مستقبل الأيام، واشتغل عامة الناس بالمتابعة والتحليل لما يسمعون ويقرؤون، واستغل المرجفون هذه الأحداث ببث الأكاذيب، واختلاق الأباطيل، وإشاعة الأراجيف بالتوقعات والتكهنات، التي لم تبن على حقائق ثابتة، ولا تستند إلى معلومات موثقة، وإنما هي تخرصات وأوهام تشيع في المجتمعات البلبلة، وتشغل الرأي العام بما لا طائل تحته.

وما هكذا يكون حال الأمة عند تأجُّج الفتن، ولا هكذا يكون شأن المسلم عند حلول المحن، فإن الواجب على أمة الإسلام في مثل هذه الأحوال أن تراجع دينها، وتصحح مسيرتها، وأن تحكِّم شرع الله على عباد الله في جميع الشؤون وعلى كل المستويات، وأن تعود إلى ربها وتقبل على طاعته والإنابة إليه، وأن تكثر من الاستغفار والتوبة والتضرع إلى الله جلّ وعلا بأن ينصر دينه ويعلي كلمته وأن يحفظ الإسلام وأهله من كيد الكائدين، وشر الأعداء المتربصين، فإن ذلك من أسباب تنزل الرحمات الإلهية، والألطاف الربانية، وزوال الفتنة، وارتفاع البلاء عن الأمة، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النمل: ٤٦]، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تكون فتنة لا يُنَجِّي منها إلا دعاء كدعاء الغَرِق». رواه ابن أبي شيبة والحاكم نحوه وصححه.

وإن من الواجب على أصحاب القرار، وذوي التأثير في الأمة أن يعملوا على جميع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم، والوقوف ضد قوى الشر والعدوان، وذوي البغي والفساد، وأن يسعوا جاهدين في إطفاء نار الفتنة، وإزالة أسبابها، والتخفيف

من وطأتها قدر الطاقة والاستطاعة، بما يحقق مصالح أمة الإسلام، ويدرأ عنها المفاسد ويجنبها المخاطر.

وأما سواد الناس وعامتهم فإن الأولى في حقهم، ومن حصافة الرأي ونفاذ البصيرة أن يكفوا عن الخوض في الفتن وأن يقبل كل فرد منهم على ما يعنيه أمره، ويهمه شأنه في خاصة نفسه من عبادات دينية، وواجبات دنيوية، وأن يحفظ لسانه وسائر جوارحه عن الدخول في شيء من أمر الفتنة، إذ بهذا وجه رسول الهدى ﷺ أمته، مبيناً عليه الصلاة والسلام أن العمل بذلك دليل سعادة المرء وتوفيقه، ومن أسباب نجاته وسلامته، فقد روى أبو داود وغيره عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: «أيم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن السعيد لمن جُنِّب الفتن، إن السعيد لمن جُنِّب الفتن، إن السعيد لمن جُنِّب الفتن، ولمن ابتلي فصبر»، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ستكون فتنة صماء عمياء من أشرف لها استشرفت له، وإشراف اللسان فيها كوقع السيف». رواه أبو داود وابن ماجه، ولهما أيضاً عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: «بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة فقال: إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم، وكانوا هكذا، وشبك بين أصابعه، قال: فقمت إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ قال: الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ بما تعرف، ودع عنك ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة».

ووفق هذه التوجيهات النبوية سار أعلامُ الصحابة والتابعين، وأئمةُ الإسلام البصيرين، وأرشدوا الأمة إلى ذلك، فقد قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وهو أعلم الأمة بأمر الفتن: «إياكم والفتن لا يشخص إليها أحد، فوالله ما شخص فيها أحد إلا نسفته، كما ينسف السيل الدمن، فإذا رأيتموها فاجثموا في بيوتكم، وكسروا سيوفكم، وقطعوا أوتاركم، وغطوا وجوهكم»، وكذلك فعل عدد من خيار الصحابة، كسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر رضي الله عنهما وغيرهما من أفاضل الصحابة الذين اجتنبوا الفتن واعتزلوها في زمانهم، وحمدت الأمةُ صنيعهم، وعُدَّ ذلك من أعظم مناقبهم كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

فاتقوا الله أمة الإسلام واحذروا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وتوبوا إلى الله

تعالى وتقربوا إليه بصالح الأعمال، واستديموا دعم إخوانكم اللاجئين في أفغانستان، والمضطهدين في فلسطين، وفي غيرها من سائر الأوطان، فإن ذلك مما تقتضيه أخوة الإيمان، ومن أفضل أنواع البر والإحسان، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]. وتضرعوا أيها المؤمنون إلى ربكم جلّ وعلا أن يكشف عن أمة الإسلام البلاء والفتن، وأن يرفع عنها المصائب والإحن، فإنه سبحانه سميع مجيب، وإنه تعالى نعم المولى ونعم النصير.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه العظمى وآلائه التي تترى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلي الأعلى، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله، النبي المصطفى، والخليل المجتبى، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى وبدور الدجى، ومن سار على هديهم واقتفى، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا عباد الله، اتقوا الله حق تقاته، واستقيموا على طاعته ومرضاته، وتقربوا إليه سبحانه بما يحب ويرضى من صالح الأقوال وأزكى الأعمال، والعمل بتوجيهات سيد الأنام صلوات الله وسلامه عليه، الذي ما فتىء في نصح الأمة وإرشادها إلى كل ما يحقق لها الخير والسعادة، ويجنبها أسباب الشقاء والضلالة، وإن من عظيم نصائحه، وجليل توجيهاته للأمة ماحث عليه من اغتنام أيام العمر، وأوقات الحياة بجلائل الطاعات، وأنواع القربات، قبل أن ينزل بالمرء ما يمنعه من ذلك، من فتن خاصة أو عامة، فيندم حينئذٍ على تفريطه وإهماله، ولات ساعة مندم، وإن من أعظم توجيهاته ﷺ في ذلك ما روى الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال سبعاً هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر»، قال بعض العلماء تعليقاً على هذا الحديث: «والمقصود منه الحث على البدار بالأعمال، قبل حلول الآجال، واغتنام الأوقات قبل هجوم الآفات».

فاتقوا الله عباد الله وسارعوا إلى الطاعات، وسابقوا الفتن بالصالحات،

واحذروا البدع والمحدثات، فإن مما أحدث بعض الناس في هذا الشهر الاحتفاءَ بليلة النصف من شعبان، وتخصيصها بأنواع من العبادات، رغم أن ذلك لم يثبت فيه نقل صحيح عن رسول الله ﷺ ولا عن صحابته، ولم يؤثر فعله عن سلف هذه الأمة، وإنما هو أمر محدث كما نبه على ذلك الإمام النووي والعراقي، وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم من أئمة الإسلام، فلتجتنبوا ذلك عباد الله حرصاً على اقتفاء هدي رسول الله ﷺ فإن خير الهدي هدي رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالسمع والطاعة، ولزوم الجماعة، فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النار.

شؤم المعاصي

الحمد لله الحليم التواب، ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [غافر: ٣]، أحمده سبحانه وأشكره، كتب العز لمن أطاعه واتقاه، وقضى بالذل والهوان على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الإله الواحد القهار، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله تعالى حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، وعظموه تعالى في النفوس، وأجلوه في القلوب، فإن حقه سبحانه أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.

ألا وإن من دلائل صدق الإيمان شكرَ الله عزّ وجلّ على الدوام، شكراً تلهج به الألسن، وتصدقه الجوارح والأعمال بالاستقامة على نهج الحق، وسلوك سبيل النجاة، والبعد عن أسباب الشر والغواية، والمعصية والضلالة، فإن أسوأ ما نقابل به نعم الله تعالى معصيته، والإعراض عن طاعته.

فلتحذروا عباد الله المعاصي والذنوب، فإنها شؤم وبلاء، وتمرد على المنعم جلّ وعلا، تورث الذل والمهانة، والخزي والندامة، وتكسب صاحبها قسوة في القلب، ووحشة في النفس، ويهون بسببها على الرب، وترتفع مهابته من الخلق ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج: ١٨].

قال حبر هذه الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «إن للسيئة ظلمةً في القلب، وسواداً في الوجه، ووهناً في الدين، وضيقاً في الرزق، وبغضاً في قلوب الخلق»، وقال بعض السلف في وصف حال العصاة: «إنهم وإن هملجت بهم البغال،

وطقطقت بهم النعال، فإن ذل المعصية على وجوههم بادية، أبى الله إلا أن يذل من عصاه»، فتلك من آثار المعصية على الفرد.

وأما أثرها على الأمة حين تفشو فيها المعاصي، وتعم فيها المنكرات، فإنها من أسباب محق البركات، وسحق الخيرات، وحصول التلف والهلاك في الأنفس والزروع والثمرات ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

وإن سنة الله تعالى في خلقه، ولا تبديل لسنته أنه ما ظهرت المعاصي في أمة إلا أذلتها، ولا تمكنت من قلوب إلا أعمتها، ولا فشت في ديار إلا أهلكتها، حتى تدع الديار بلاقع ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

بسبب المعاصي عم قوم نوح الغرق، وأهلكت عاداً الريحُ العقيم، وأخذت ثمودَ الصيحةُ، وقلب الله على قوم لوط ديارهم، وأمطر عليها حجارة من سجيل ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وإن ما تعانيه بعض البلاد اليوم جراء ما حل بها من مصائب وكوارث، من فيضانات مغرقة، وزلازل مهلكة، وأعاصير مدمرة، وحوادث مروعة، وحروب طاحنة، وفتن مستديمة في أصقاع مختلفة من المعمورة، ما هو إلا لون من ألوان العقاب، حين يصر الخلق على العصيان، ويتمادون في الغي والطغيان.

وإن من عظيم الرزايا ألا يحس المعاقَبُ بالعقوبة، وأشدُّ منه أن يحصل السرورُ بما هو بلاء وفتنة، وذلك حين يفرح المرء باقتراف المعصية، ويُسَرُّ بقدرته على الخطيئة، وما ذاك إلا لاستيلاء الغفلة على القلب، والإعراض عن الحق، واتباع الشهوات والهوى.

أيها المسلمون: إن الذنوب والمعاصي شؤم وبلاء في شتى أشكالها، واختلاف ضروبها، غير أن من أسوأها أثراً، وأعظمها خطراً، وأشدها عقاباً: المجاهرةَ بها أمام

الملأ، والإعلانَ بها بين الورى، دون خوف من الله، ولا حياء من عباد الله، وقد جاء الوعيد الشديد على ذلك فيما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين» أي: إن المجاهرين بالمعاصي ليسوا في عافية من عذاب الله، لما في المجاهرة من الجرأة على الله عزّ وجلّ، والاستهانة بعقابه، وإعانة الغير على المعصية، وشق الطريق له في الانحراف.

وإن من ألوان المجاهرة بالمعصية ما أوضحه رسول الهدى ﷺ بقوله: «ومن المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله عزّ وجلّ، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه».

وإن من عظيم الأسى ما يرى من المجاهرة بالمعاصي في بعض المجتمعات المسلمة اليوم، كالإهمال لشعائر الإسلام، وفي طليعتها الصلاة التي هي عماد الدين، وما يشاهد من اقتراف لكبائر الذنوب، كالتعامل بالربا والتحايل على أكل أموال الناس بالباطل، وشربِ الخمور والمسكرات، وتعاطي المخدرات، وارتكابِ الفواحش والآثام، وفشوِ المنكرات ورذائل الأخلاق، ومستقبح العادات، وخلعِ جلباب الحشمة والحياء، والتبرجِ والسفور في النساء، والإغراءِ بالفتنة، وارتفاعِ أصوات المعازف والمزامير، وغيرِ ذلك من بلاء عريض، وفساد كبير، وخطر عظيم على الأخلاق والدين. يساعد على ذلك ويُذْكيه وسائل الإعلام المختلفة، ولا سيما ما يبث عبر الفضائيات العالمية.

فإلى متى نظل يا عباد الله غافلين أو متغافلين عما يجب علينا لله تعالى من طاعةٍ واستقامةٍ على نهج الحق والهدى، وبعدٍ عن مزالق الشيطان وسبلِ الغواية والضلالة فإنه ما يصيب الناس من مصائب عامة أو خاصة إلا بسبب المعاصي كما قال عزّ وجلّ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠].

وما أصاب أمة الإسلام في أعقاب الزمن من ضعف وهوان حتى تكالب عليها الأعداء من كل جانب، وتحكموا في كثير من قضاياها، واستولوا على كثير من خيراتها ومقدراتها، وقاموا باحتلال بعض بلادها، وفي مقدمتها الأرض المباركة

فلسطين ومسجدها الأقصى المبارك أولى القبلتين، وثالث المسجدين الشريفين. كل ذلك لم يحصل إلا حين ضعف تمسك المسلمين بالإسلام، وابتعد كثير منهم عن حقيقة الدين الخالص.

فاتقوا الله أمة الإسلام، ولتحذروا المعاصي والذنوب، ولتقبلوا على ربكم وطاعتِه، ولتستقيموا على شرعه ودينه، يكتب الله تعالى لكم العزَّ والتمكين في الدنيا، والفوزَ والنجاة يوم الدين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٦ ـ ٩٩].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله، اتقوا الله تعالى حق تقاته، واشكروه سبحانه على ما تنعمون به في هذه البلاد المباركة من أمنٍ وارف، ونعمٍ وافرة، وخيرات مترادفة، فاقدروا هذه النعم حق قدرها، وقيدوها بالشكر لله جلّ وعلا، واحذروا المعاصي والذنوب، والمجاهرة بالفواحش والآثام، واخشوا سخط الجبار جلّ وعلا، فإنه ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، وإنه ما حصل البلاءُ العام في بعض البلاد، ولا وقعت المصائبُ المتنوعة، والكوارثُ المروِّعة، ولا فشت الأمراض المستعصية التي لم يكن لها في الماضين ذكر، ولا انحبس القطر من السماء إلا نتيجةَ الإعراض عن طاعة الله عزّ وجلّ، وارتكابِ المعاصي، والمجاهرةِ بالمنكراتِ، كماورد في الحديث الذي رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ولم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله تعالى، ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم».

فاتقوا الله أيها المسلمون وأنيبوا إلى ربكم وأطيعوه، واستغفروه وتوبوا إليه، فإنه سبحانه يقبل التوبة، ويعفوا عن الزلة وكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون.

التحذير من بعض مساوىء الأخلاق

الحمد لله الذي ألَّف بين قلوب المؤمنين، وجعلهم بنعمته إخواناً متآلفين، أحمده سبحانه وأشكره وأثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، جمع المؤمنين على التقوى، وحثهم على المودة والإخاء، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه البررة الأوفياء، والسادة الأتقياء، ومن سار على هديهم واقتفى.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى حق تقاته، اتقوه سبحانه في أقوالكم وأعمالكم، فإنه لا سعادة للمرء في الدنيا، ولا فوز له في الأخرى إلا بتحقيق التقوى، والاتصاف بها ظاهراً وباطناً.

عباد الله: إنَّ من محاسن دين الإسلام، وأجلِّ مزاياه، ما عقده من أخوة صادقة، ورابطة جامعة بين أفراد المسلمين على اختلاف أجناسهم وأوطانهم، تحمل على التآلف والتعاطف، والتآزر والتناصر، يرعى قويُّهم حق ضعيفِهم، وغنيُّهم حق فقيرِهم، فتقوى بذلك وحدتهم وينتظم شملهم، ويكونوا كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، كما وصفهم بذلك رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه.

ولقد وجَّه الإسلامُ إلى آداب سامية، ومُثُلٍ عالية، من شأنها أن تقوي تلك الرابطة بين المؤمنين، وتعمل على ترسيخ الأُخُوة بين المسلمين، فلقد حث ديننا القويم على التحلي بمكارم الأخلاق وجميل الشمائل، والاتصاف بحسن المعاملة مع الآخرين، وأن يكون المسلم ذا لين في الجانب، وخفض للجناح، ورعاية للحقوق، ومحافظة على الحرمات، وبعدٍ عن كل ما يتنافى مع مقتضيات الأخوة الصادقة من

علل الأخلاق ومساوىء العادات التي طالما كانت سبباً في تقويض أركان المجتمع، وتصَدُّع بنيانه، وزعزعة الثقة بين أبنائه، وحصول العداء والبغضاء بين أفراده.

ألا وإن من تلك القبائح ومساوىء الأخلاق التي حذر منها الإسلام، مما هي مع شديد الأسى مظاهر مألوفة في واقع كثير من الناس اليوم، ما يُرى من استهانة بأقدار الناس، واستخفافٍ بكرامتهم، والسخرية منهم، والظن بهم الظنون السيئة، ونبزهم بالألقاب، ووصفهم بما يكره ويعاب، وإهدار الأوقات في الغيبة والنميمة، والولوغ في أعراض الغافلين والغافلات، من المؤمنين والمؤمنات، دون اكتراث أو مبالاة، في صور لئيمة من صور بعض النفوس البشرية حين يضعف فيها الإيمان، وتخلو من المروءة ومكارم الأخلاق، يفعل ذلك البعض غافلين أو متغافلين عما يجره ذلك عليهم من إثم عظيم، ووزر كبير، وما ينتج عنه من عداوة وبغضاء، وإحن وشحناء، وقطعٍ لعرى المودة والإخاء، وغير ذلك من فسادٍ عريض وضرر كبير.

إنه ما فشت تلك المخالفات، ولا كثرت تلك المساوىء في مجتمع من المجتمعات، إلا كان نذير خرابه، وحلول عقابه، من أجل ذلك وحماية للمجتمع المسلم من تلك الأخطار، أحاط الإسلام حرمات المسلمين بسياج حصين، ودرع واق متين، فلا يجوز أن تنتهك تلك الحرمات في أي صورة من الصور، ولا أن تُمس بحال من الأحوال إلا حين يَرتكب أصحابها ما يؤاخذون عليه، إذ يجب أن يعيش الناسُ في المجتمع المسلم آمنين على أنفسهم، آمنين على أعراضهم، آمنين على أسرارهم وعوراتهم، ومن حق المسلم أن تُحفظ حرماته، وتصان كرامته ما دام محافظاً على حدود الله وحرماته وحقوق إخوانه المسلمين، ولذا جاء الوعيد على من خالف ذلك في قول الحق سبحانه في محكم التنزيل: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

عباد الله: كيف يسوغ لمسلم أن يتشاغل بالبحث عن العيوب، ورجم الناس بها، بل وربما أخفى ما يعلم عنهم من صالح الأعمال، وجميل الخلال وأظهر المعايب والمساوىء، وربما تعدى ذلك إلى البهتان والافتراء، فلا يزعه عن غيه وضلاله وازعٌ ولا دين متين، ولا يمنعه عن ذلك مانعٌ من ضميرٍ أو خلقٍ كريم.

هل من شأن المسلم يا عباد الله ووظيفتِه في هذه الحياة أن يلوك لسانه في أعراض المسلمين ويتتبع عوراتهم!، أليس في عيوبه ما يشغله عن عيوب الآخرين! ويصده عن أذية عباد الله المؤمنين! جاء عن بعض السلف قوله: «إذا سقط العبد من عين الله أشغله بما لا يعنيه».

أليس من الواجب شرعاً، ومن المروءة ومكارم الأخلاق أن ينأى المسلم بنفسه عن ارتكاب تلك المساوىء، وأن يحفظ نفسه وجوارحه عن إلحاق الأذى بأحد من عباد الله!، ألا يعلم أولئك أن الله قد وكَّل بهم ملائكةً كراماً كاتبين يسجلون كل ما يقولون ويلفظون: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

ألا فليتذكر من ابتلي بشيء من تلك المنكرات ومساوىء الأخلاق أنه ربما سخر ممن هو خير منه، أو احتقر من هو أفضل منه، أو تطاول على من هو أعز وأكرم عند الله منه، فإنَّ ميزان الفضل ومعيار القيم والأقدار ليست في المظاهر المادية في حياة الناس، وإنما هي في ميزان الإسلام بما يتحلى به المرء من خلق كريم، وأدب رفيع، وما يتصف به من نقاء في القلب وصفاء في السريرة، وما يحققه من تقوى الله عزّ وجلّ وطاعته: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: «يا أيها الناس إنَّ ربكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى». رواه الإمام أحمد وغيره.

كما أشار عليه الصلاة والسلام في حديث آخر إلى أن في الناس من قد لا يُؤْبَه به، ولا يلتفت إليه، استقلالاً لشأنه، إلا أن شأنه عند الله عظيم فهو من عباده المتقين وأوليائه المقربين، فقد روى الإمام أحمد ومسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبَرَّه». وفي هذا توجيه نبوي كريم إلى الحذر من التنقص لأحدٍ من عباد الله مهما كانت منزلته وضيعةً في ميزان هذه الحياة.

أيها المؤمنون: إن تعاليم الشرع المبين، ومقتضى الأخوة الإسلامية، تفرض على المسلم الابتعاد عن تَلَمُّس عيوب الآخرين، واستكشاف ما ستروه، واستطلاع

أسرارهم وعوراتهم، والتنقص لأقدارهم، وانتهاك حرماتهم، والولوغ في أعراضهم، وتطلب العثرات، والبحث عن الزلات والهفوات، فإن ذلك مما يتنافى مع هدي الإسلام، وليس من المروءة ومكارم الأخلاق، إذ الأصل في المسلم الصلاح والعدالة، ومن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، حتى يفضحه في بيته، كما ورد بذلك الحديث عنه ﷺ.

وروى الإمام أحمد وغيره عنه ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: شراركم المشاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبُرآءِ العنت». وقال عليه الصلاة والسلام: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ﷺ - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وعرضه، وماله، إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». رواه مسلمٌ في صحيحه.

فاتقوا الله عباد الله، وحققوا الأخوة الصادقة فيما بينكم، واحذروا ارتكاب ما يخالف ذلك من قبيح الأقوال والأفعال، وتقربوا إلى ربكم بجميل الأخلاق وصالح الأعمال.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١١، ١٢].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه سبحانه، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى رضوانه، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى ربكم حق تقاته، واعملوا بطاعته ومرضاته وعليكم عباد الله بتحقيق معاني الأخوة الإسلامية فيما بينكم، وليؤد كل فرد منكم ما شرعه الإسلام من حقوق لإخوانه المسلمين، فلقد شرع الإسلام لهم حقوقاً كثيرة، حث على القيام بها، والعناية بشأنها، ورتب على أدائها الفضل العظيم والثواب الجزيل، وجماعُ تلك الحقوق أن يحب المسلم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، وأن يكره له ما يكره لنفسه، فإنه لا يكمل إيمان المرء إلا بذلك، كما ورد في الحديث المتفق عليه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

فاتقوا الله عباد الله، واعملوا على تحقيق الأخوة الإسلامية الصادقة التي تجعل المسلم سنداً لأخيه المسلم عند الشدائد والنوائب، وعوناً له على كل خير، وحاجزاً له عن كل شر، ليسعد بذلك المجتمع، وينتشرَ في أرجائه الأمن والاطمئنان، ويعمَّ في ربوعه السعادة والسلام.

خطر السحرة والمشعوذين

الحمد لله الهادي إلى سواء السبيل، يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، لا معقب لحكمه، وهو الحكيم العليم، أحمده سبحانه وأشكره على سوابغ فضله، وترادف آلائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، وكل شيء عنده بمقدار، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، خير من توكل على ربه وأناب، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى حق تقاته، وأخلصوا له العبادة والطاعة، وأنيبوا إلى ربكم إنابة خالصة يظهر أثرها في الأعمال والأقوال، فإن من دلائل تحقيق التقوى، وأمارة إخلاص الدين لله جلّ وعلا أن تتعلق القلوب به وحده، وأن تُفَوِّضَ جميع الأمور إليه، وتتوكل عليه دون سواه ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المائدة: ٢٣].

وإن من ضعف اليقين، وقلة البصيرة في الدين، أن تلتفت القلوب إلى غير ربها وخالقها، وتتعلق النفوسُ بسوى بارئها وفاطرها، رغبة أو رهبة، خوفاً أو رجاء، تعلقاً تظهر آثاره في السلوك والتصرفات.

وإن من ضروب ذلك وأنواعه في واقع بعض الناس إتيانَ السحرة والمشعوذين، وقصدَ الكهنة والعرافين، أملاً في رفع ضر نزل، أودفع خطر متوقع، أو استخبار عن أمور مغيَّبة، وكشف أحوال مستقبله لا يعلمها إلا الحق سبحانه، وأسوأ من ذلك أن بعضاً من الناس لا يقدم على عمل ذي شأن كسفر أو نكاح أو عقود تجارية إلا بعد أن يسأل عرافاً أو كاهناً أو منجماً فما وجهه إليه عمل به وانقاد إليه.

وصنف آخر من الناس يقصد أولئك للاستشفاء والتداوي لمرض حسي أو نفسي، ويعرض حاله على بعض أولئك الكهنة والعرافين ممن يمتهن الطب الشعبي، وهو كاذب محتال، فيزعم أن بالمريض مساً من الجن، أو أن به شيئاً من السحر، وقد يصف له شيئاً من الأدوية، أو يُعلِّق عليه حروزاً وتمائم، أو يكتب له شيئاً من الطلاسم، ويأمره بالعودة إليه مرات يعقبها كرات، حتى يحصل منه على أموال طائلة، ثم يؤوب ذلك المريض بالخيبة والخسران، لم يشف من مرض ولم يسلم له مال.

وكل ذلك يا عباد الله من تزيين الشياطين وإغوائهم لبني آدم، واستدراجهم لهم، ليصدوهم عن الحق المبين، والهدي القويم، وليحتالوا على الاستيلاء على أموال الناس بالباطل بما يدَّعون ويزعمون من معرفة الغيب، والتنبؤ عما يكون في المستقبل، والكشف عن المستور والمخبأ، ويُلبِّسون على بعض العامة من السذج والرعاع من ضعاف العقول والإيمان، بما قد يتظاهرون به من صلاح واستقامة، وما يبدون من خوارق للعادة، بسبب أعمال سحرية وحيل شيطانية، يستعينون فيها بأوليائهم من الجن ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

إنه ليس بمستغرب أن يدعِّي السحرة والمنجمون ونحوهم من الكهنة والعرافين شيئاً من علم الغيب، أو المعرفة بالطب لتحصيل غرض دنيوي من جاه أو مال، لكن العجب أن يغتر بأولئك المبطلين من أكرمهم الله بالقرآن وهداهم إلى الإسلام.

كيف لهؤلاء أن يصدقوا الظنون والشكوك، ويتأثروا بسراب خادع من ساحر كذاب أو كاهن محتال، أفلا ينتفع أولئك الغافلون بآيات تتلى، ومواعظ تلقى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤].

إن أولئك الأشرار من السحرة والمشعوذين والكهنة والعرافين ونحوهم، أغوتهم الشياطين عن الهدى والرشاد، وأضلتهم عن سواء السبيل، وباعوا الآخرة بالدنيا، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فهل يرجى ممن هذه حاله حصول نفع!، أو يتحقق بسببه دفع ضر!، إنه لن يكون من ورائه إلا الخيبة والخسران، فقد

قال الحق عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩]. فكيف يليق بعاقل أن يقصدهم! أو بمؤمن أن يصدقهم!، أليسوا بشراً يأتيهم القدر فلا يستطيعون له دفعاً!، وتنزل بهم المصائب فلا يطيقون لها رداً!، ولو كانوا يعلمون الغيب ويقدرون على جلب النفع لاختاروا لأنفسهم كل سعادة وهناء، ولما جلسوا يصطادون الضعفاء والبسطاء من الرجال والنساء، ويحتالون على أخذ شيء من أموالهم ليسدوا حاجتهم، ولو كانوا يستطيعون أن يدفعوا الضر لدفعوه عن أنفسهم ونجوا من كل شر وشقاء.

إن ما يزعمه أولئك المضللون من الاطلاع على شيء من أمور الغيب، أو الكشف عن المخبأ والتنبؤ عما يكون في المستقبل، وغير ذلك من دعاوى الكذب والباطل من أعمال الجاهلية المنكرة، وعقائدها الفاسدة، جاء الشرع بإبطالها والتحذير منها، فهل يعلم الغيب إلا الله، أو يقدر على جلب النفع، أو دفع الضر سواه، وهو القائل سبحانه في محكم التنزيل: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥]، وقال عزّ شأنه مخاطباً صفوة الخلق ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨]. وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾ [يونس: ١٠٧].

وجاء على لسان رسول الهدى ﷺ التهديدُ البليغ والوعيد الشديد لمن يأتي السحرة والمشعوذين والكهنة والعرافين ونحوهم من المبطلين، ويصدقهم بما يقولون، لمنافاة ذلك كمال توحيد الله عزّ وجلّ، والإقرار له بالقدرة والإرادة، ولما فيه من إعانة على نشر الباطل، وإشاعة الضلالة والغواية بين الناس.

روى الطبراني والبزار بإسناد جيد عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من تَطير أو تُطير له، أو تكهن أو تُكُهن له، أو سَحر أو سُحِر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»، وروى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ أنه قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً».

إن في هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لأبلغ زاجر وأعظم رادع عن تصديق أولئك المبطلين من السحرة والمشعوذين وإخوانهم من الكهنة والعرافين.

فاتقوا الله عباد الله، والتزموا الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، واعتصموا بكتاب ربكم، وتمسكوا بهدي نبيكم، ففيهما العصمة من الضلالة، والسلامة من الغواية، والسعادة في الدنيا والآخرة، وتوكلوا على ربكم في جميع أحوالكم فهو سبحانه القادر على كل شيء وبيده النفع والضر، وغيره لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين، وهدى للناس أجمعين، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه البررة المتقين والسادة الأكرمين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى حق تقاته، وتعاونوا فيما بينكم على محاربة الباطل وأهله، حماية للدين، وحفاظاً على عقائد المسلمين، وحرصاً على سلامة المجتمع وصلاح الأفراد من أخطار أهل الشر والعدوان، فلقد كثر المفسدون في الأرض من السحرة والمشعوذين ونحوهم من الكهنة والعرافين في بلاد الإسلام، وعظم البلاء بهم، واستشرى خطرهم في كثير من المجتمعات المسلمة، فكم كانوا سبباً في تقويض أسرٍ هانئة، وخراب بيوتات عامرة، وكما أثاروا من عداوات وبغضاء، وإحن وشحناء بين أقارب وأرحام وجيران، وكم كانوا سبباً في الفرقة بين زوجين متآلفين، وصديقين متآخيين، وكم من أموال طائلة استولوا عليها بالباطل والاحتيال، كل ذلك بسبب أعمالهم السحرية، وخُدَعهم الشيطانية، فلتحذروا عباد الله من أولئك المفسدين الأشرار، ولا تغتروا بما يدَّعون ويزعمون من التُّرَّهات والأباطيل وإن تظاهر بعضهم بمظهر أهل الصلاح، فإنهم يَلْبسون لكل زمان ما يناسبه، ولكل مجتمع ما يوافقه، تمويهاً وتدليساً، وإن في ممتهني الطب الشعبي من هؤلاء لكثير، لا كثرهم الله.

إن على أمة الإسلام لا سيما من له الأمر والنهي في بلاد المسلمين أن يقفوا

لأولئك المفسدين بالمرصاد، وينزلوا بهم العقوبات الرادعة، ويقيموا عليهم الحدود المشروعة، حماية للعقائد السليمة والفطر السوية، ودرءاً للأمة عن شرور أولئك المضللين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

وإن من الواجب على كل مسلم أن يتعاون مع ولاة الأمور في الكشف عن حال أولئك الأشرار وبيان زيفهم وباطلهم، وهتك أستارهم وإبلاغ الجهات المسؤولة عنهم، فإن ذلك من التعاون على البر والتقوى، وتحقيق ما فيه صلاح للعباد وللبلاد، وقطع لدابر الفساد، فقد قال الحق سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢].

التحذير من جريمة القتل

الحمد لله ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك: ٢]، أحمده سبحانه وأشكره، ﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص: ٧٠]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الإله الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين، وهدى للناس أجمعين، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، فما أوصى موص بخير منها، وما عمل عامل بأفضل منها، إنها أعظمُ وصية، وأفخرُ لباس وحِلية، يقول عزّ وجلّ: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

عباد الله: لقد كرّم الله تعالى بني آدم، وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً، فضلهم تعالى وشرفهم، وأحاطهم وأولاهم بأنواع من التبجيل والتكريم، وشرع لهم من الشرائع والأحكام ما يكفل لهم حياة طيبة وسعادة دائمة في الدنيا والآخرة ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧].

أيها المسلمون: لقد جاءت شريعة الإسلام المباركة فيما جاءت به من تشريعات وأحكام بما يحقق الأمن والاطمئنان لبني الإنسان في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة، واتفقت الشرائع السماوية على حفظ الضروريات للحياة الإنسانية، ووجوب رعايتها، والعناية بها.

وإنَّ في طليعة هذه الضروريات التي اتفقت الشرائع على رعايتها حفظَ النفس

الإنسانية، والعنايةَ بسلامة الأرواح البشرية عن كل بغي وعدوان قد يُلحق بها ضرراً، أو يودي بها إلى التلف والهلاك، إلا أن تستوجب ذلك حين تتجاوز سنن الله المشروعة، وأحكامه المفروضة، فعندئذٍ ترتفع عنها الحصانة الشرعية، والحرمة الربانية، وتستحق حينئذٍ أن تعاقب على قدر جناياتها، وأن تجازى بمثل صنيعها، جزاء ما اقترفت، ومؤاخذة بما فعلت وما ربك بظلام للعبيد، يقول عزّ وجلّ في النهي عن قتل النفس بغير حق: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥١]، إنه الحق الذي شرعه الله تعالى، وأوضحه رسوله ﷺ فيما ثبت عنه عند البخاري ومسلم أنه ﷺ قال: «لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة»، أما ما سوى هذا الحق المشروع في إزهاق الروح الإنسانية فقد حرمه الإسلام أعظم تحريم، ونهى عنه النهيَ الشديد، وعدَّ إزهاق روح المعصوم مسلماً كان أو غير مسلم عمداً وقصداً، جريمةً من أعظم الجرائم، وكبيرةً من أكبر الكبائر، وموبقةً من أخطر الموبقات تلي الشرك بالله تعالى في الإثم والعقوبة، يدل على ذلك ما أخرجه الشيخان: أنه ﷺ سُئل: أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: أن تدعو لله نداً وهو خلقك. قال: ثم أي؟ قال: ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قال: ثم أي؟ قال: ثم أن تزاني حليلة جارك، فأنزل الله عزّ وجلّ تصديقها في قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

ولقد بلغ من تحريم الإسلام لهذه الجريمة النكراء أن الله تعالى جعل قتل النفس الواحدة تعدل جريمة قتل الناس جميعاً، وذلك لأن حق الحياة ثابت لكل نفس، فقتل واحدة من هذه النفوس يعتبر تعدياً على الحياة البشرية كلها، كما قال عزّ وجلّ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ﴾ [المائدة: ٣٢].

وحينما بُعث ﷺ كان القتل فاشياً في أهل الجاهلية، يزهقون الأرواح عدواناً وظلماً، وتثور بينهم الحروب الطاحنة التي يروح ضحيتها الكثير من النفوس البريئة

عند أتفه الأسباب، فعمل ﷺ على القضاء على ذلك، وأكد ما جاء في كتاب الله تعالى من النهي عن القتل، والعدوان على النفس المعصومة منذداً ﷺ غاية التنديد بمن يرتكب ذلك، مبيناً ما توعد الله تعالى به من أقدم على إزهاق روح المعصوم بغير حق من شديد العقاب، وسوء الحال والمآل، فقال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات ـ يعني المهلكات ـ ثم عد منها ﷺ قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق». رواه البخاري ومسلم. ولهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقول الزور». وروى الترمذي والنسائي بإسناد صحيح عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «لَزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم»، قال الإمام ابن العربي رحمه الله تعليقاً على هذا الحديث: «ثبت النهي عن قتل البهيمة بغير حق، والوعيد في ذلك، فكيف بقتل الآدمي؟ فكيف بالمسلم؟ فكيف بالتقي الصالح» ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يُصِبْ دماً حراماً». رواه البخاري في صحيحه، وله أيضاً أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله».

ولقد بلغ من تحذيره ﷺ عن قتل النفس اعتباره أن الإعانة على ذلك ولو بأدنى إعانة مشاركةٌ للقاتل في الجريمة، تستوجب لصاحبها المقت والطرد من رحمة الله ورضوانه، فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة، لقي الله عزّ وجلّ مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله». رواه ابن ماجه، والبيهقي بنحوه. وروى الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار».

عباد الله: أَبَعْدَ هذه الزواجر والقوارع من الشارع يفكر من له أدنى لب، أو فيه أضعف إيمان، في الإقدام على إزهاق روح امرىء معصوم بغير حق، غير عابىء بما يكون جراء ذلك من أضرار عظمى، ومفاسد كبرى، لا يعلم مداها إلا الله عزّ وجلّ.

إنه لا يقدم على اقتراف هذه الجريمة النكراء، والفعلة الشنعاء، مهما كان الدافع لها والحامل عليها، إلا من تأصل الشرُّ في نفسه، والعدوانُ في طبعه، واستولت عليه الغفلة، وانتُزِعت من قلبه الرحمة، وانعدم ضميره، وتخلى عن

بشريته، وأشبه السباع الضارية، والوحوش المفترسة، فحق عليه بذلك غضب الله ومقته، واستحق أن يوقَع به أعظمُ عقوبة في الدنيا، بأن يقتل قصاصاً إن اختار الأولياء ذلك، عملاً بقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، وما هذه العقوبة البليغة إلا مجازاة له بمثل صنيعه، ومؤاخذة له بجنس جريمته، جزاء وفاقاً، ولا يظلم ربك أحداً.

أما العقوبة في الآخرة فإنها أعظم بأساً، وأشد تنكيلاً، أفصح عنها ربنا جلّ وعلا في معرض التحذير من اقتراف هذه الجريمة بقوله سبحانه: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: ٩٣]، وأما إن كان المقتول من غير أهل الإسلام ممن أُعطي العهد والأمان بحقن دمه، وحفظ حقوقه، فقد أبان ﷺ عن عقوبة قاتله بقوله ﷺ: «من قتل معاهداً لم يَرَحْ رائحة الجنة، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً». رواه البخاري وغيره.

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا مما حذركم الله منه، واجتنبوا ما نهاكم عنه، وتعاونوا على كف البغي والعدوان، والأخذِ على أيدي المجرمين المعتدين، وتنفيذ أحكام الله تعالى فيهم، دون رأفة أو هوادة، ولا تأخذكم في الله لومة لائم، فإن ذلك مما يكفل لكم الأمن والأمان في البلاد، وينشر الطمأنينة والسلام بين العباد، كما قال الحق عزّ شأنه: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله الولي الحميد، الفعال لما يريد، أحمده سبحانه وأشكره على فضله المزيد، وإنعامه المديد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش المجيد والطَّول الشديد، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أولي الهدي السديد، والعمل الرشيد، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واحذروا الانقياد للهوى، والاتباع للنفس الأمارة بالسوء، فكم أوردا موارد العطب والهلاك.

ألا وإنَّ من أسوأ ذلك ضرراً، وأعظمِه خطراً على المسلم أن تسوِّلَ له نفسه الإقدام على إنهاء حياته وإزهاق روحه، حين يُمنى بالفشل فيما أمَّل وتمنى، أو حين يبتلى بأنواع من المصائب والرزايا، فينفد منه الصبر، ويضعف عن التجلد عند الخطوب، فيرى أن الحياة قد ضاقت به ذرعاً، ويستولي عليه اليأس من رَوْحِ الله، ويبلغ به القنوط من رحمة ربه منتهاه، فيقدم على إزهاق روحه، ليضع حداً لما يمر به من شقاء، وما يكابد من عناء على حد زعمه، ويتجرع كأس المنية بيده، في أفظع تجربة يمنى بها المرء حين يفقد إيمانه ورشده، ويحل عليه بذلك غضب الجبار وسخطه، وهو يظن أنه بهذا الانتحار يَخْلُصُ إلى حياة لا يشوبها كدر، ولا ينغصها منغص، ولم يَدُر بخلده أن ذلك من أسباب شقائه، ودوام عذابه عياذاً بالله تعالى، فإنَّ مقتضى العدل الإلهي أن يعامل بنقيض قصده، وعلى عكس ظنه، حيث أعد الله له جزاء من جنس عمله، إمعاناً في النكاية به، وامتداداً لتعذيبه لنفسه كما جاء في الحديث عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كان برَجُل جراحٌ فقتل

نفسه، فقال الله: بدرني عبدي بنفسه، حرّمت عليه الجنة». أخرجاه في الصحيحين، ولهما أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحسّاه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النساء: ٢٩، ٣٠].

فأيُّ وعيد يا عباد الله أعظم من هذا الوعيد!، وأي حرمان بعد هذا الحرمان من منازل الرحمة والرضوان!.

ألا فاتقوا الله عباد الله واطووا مرحلة الحياة بخطى ثابتة، لا تُحوِّلها عن الإيمان وتعاليم الدين عواصفُ الفتن، ولا تزحزحها عن الرضا بقضاء الله وقدره الشدائد والمحن، ولا يخرجها عن الرشاد إلى الضلال استفزازات الشيطان وتسويلاته: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦].

خطر الربا على الفرد والمجتمع

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وشرع لنا أفضل الشرائع والأحكام، وأبان لنا الحلال والحرام، أحمده سبحانه وأشكره على جزيل الفضل والإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الأنام، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأعلام، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى في كل ما تأتون وتذرون لعلكم تفلحون، وأشكروه سبحانه أن هداكم إلى هذا الدين القويم، ومنَّ عليكم بهذا الشرع المبين، الذي ختم به الشرائع السابقة، وكتب له البقاء والدوام، وجعله صالحاً لكل زمان ومكان، لما اشتمل عليه من تشريعات سامية، وعدالة في الأحكام ظاهرة، تحققُ المصالح وتدرأ المفاسد، ألا وإن من أجَلِّ ما شرع الإسلام ما جاء به من نظام مالي فريد، لم تر البشرية له نظيراً ولا مثيلاً، ذلك أنه منهج رباني، يقوم على الحق والعدل، ويتسم بالمرونة واليسر، يحفظ الحقوق، ويراعي قواعد الأخلاق والآداب، ويتوافق والفطرَ السليمة، والألبابَ السوية، فجاء بحمد الله وفضله منهجاً قويماً، ومسلكاً رشيداً، محققاً لمصالح العباد، ومقتضيات الحياة.

فلقد أباح الإسلام التعامل بأنواع المعاملات، وجعل الأصل فيها الجواز، ولم يحرِّم منها إلا ما كان فيه ضرر بفرد أو مجتمع، وجعل لهذا التحريم قواعد وضوابط واضحة المعالم.

وإنَّ من آكد ما جاء الإسلام بتحريمه، والنهي عنه من المعاملات المالية التعامل بالربا، فلقد نهى عنه الإسلام أبلغ نهي، وحذر منه أشد تحذير، بل جعله في طليعة المحرمات، ومن أكبر الكبائر، وعظيم الموبقات، فقد روى البخاري ومسلم أن

رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات ـ أي المهلكات ـ فذكرهن ﷺ وعدّ منهن الربا».

وإنَّ كتاب الله تعالى لم يبلغ من التهديد في معصية من المعاصي ما بلغ من التهديد في شأن الربا، وما ذاك إلا أنه يا عباد الله أفظعُ تعامل مُنِيَت به الإنسانية، وأبشعُ تعامل تواضعت عليه البشرية، ولذا جاء تحريمه في جميع الشرائع السماوية، لما يحصل جراء التعامل به من جرائر ومفاسد عظمى، فكم أحدث بين الناس من أحقادٍ وضغائن، وعداوات وبغضاء، وإحن وشحناء، وتقويض لعرى المودة والإخاء، وكم أثقل كاهل الفقراء بالديون، وأفسد مال الأغنياء حين يختلط فيها هذا المال الحرام، وكم حصل بسببه من محق للبركات، وقطع لروافد النعم والخيرات ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وكم أذل من شعوب ودول كانت لها العزة والمنعة، فوقعت بسبب الربا في ذُل الدَّين وتحت وطأة الأعداء.

فمن أجل ما في الربا من أضرار عظمى، ومفاسد كبرى على الأمة أفرادها ومجموعها لا حصر لها، حرمه الإسلام أبلغ تحريم، وتوعد آكليه بأشد أنواعِ العذاب، حيث أشهر الله عزّ وجلّ الحرب على المرابين، ومن أشهر الله عليه الحرب، فلا مناص له من الخذلان والبوار، والشقاء في الحال وفي المآل، وبئس المصير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

وإن مما جاء من الوعيد على المرابين، والعقابِ لهم في الدنيا قبل الآخرة، ما روى ابن ماجه والحاكم وصححه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: ما أحدٌ أكثرَ من الربا إلا كان عاقبةُ أمره إلى قلة». وما ذلك إلا أنه يمحقُ البركة، ويَذْهَبُ بالحلال، ويورث الإفلاسَ والذّل والهوان، أما عقوبة الآخرة فإنها أشدُّ وقعاً، وأعظمُ بأساً، أخبر عنها رسولُ الله ﷺ فيما رواه ليلة عُرج به بقوله: «لما عُرج بي سمعت في السماءِ السابعة فوقَ رأسي رعداً وصواعق، ورأيت رجالاً بطونهم بين أيديهم كالبيوتِ فيها حياتٌ وعقارب تُرى من ظاهرِ بطونهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء أكَلة الربا». رواه الإمام أحمدُ وابنُ ماجه، وروى

الطبراني وغيرُه عنه ﷺ أنه قال: «من أكل الربا بُعث يوم القيامة مجنوناً يتخبط، ثم قرأ ﷺ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾» [البقرة: ٢٧٥].

وروى الحاكمُ وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة، ولا يذيقهم نعيمها، مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه إلا أن يتوبوا».

فهل يليق بمسلم يا عباد الله يسمع هذه الزواجر والقوارع من الشارع، ثم يقدم على التعامل بالربا أخذاً أو بذلاً، وكيف يستسيغ أن يُطعم نفسه وأهله وولده منه، وهو أشدُّ أنواع المال الحرام، وقد روي عنه ﷺ أنه قال: «والذي نفسُ محمدٍ بيده إن العبدَ ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يُتَقَبَّلُ منه عملٌ أربعين يوماً، وأيما عبدٍ نبت لحمه من سحتٍ فالنارُ أولى به». رواه الطبراني وغيره، وفي الحديث الصحيح عند مسلم وغيره «أن رسول الله ﷺ ذكر الرجل يطيل السفر أشعثَ أغبرَ، يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِي بالحرام، فأنى يستجابُ لذلك». فلقد استجمع هذا الرجل من صفات الحاجة والمسكنة إلى ربه ما يدعو إلى رثاء حاله، ويؤكد شدة افتقاره، غير أنه قطع صلته بربه بما هو عليه من استعمال للحرام، فحال ذلك بينه وبين قبول دعائه، وماذا يبقى للعبد إذا حُجب دعاؤه، وحيل بينه وبين رحمة الله.

وثمة يا عباد الله عقوبة جماعية يذهب فيه البرُّ والفاجر، يستوجبها المجتمع إذا شاع فيه الربا، وانجرف في تيار هذا الوباء، أشار إليها المصطفى ﷺ فيما رواه الإمام أبو يعلى بإسناد جيد، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما ظهر في قوم الزنا والربا إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله». وروى الإمام أحمد وغيره عن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسَّنة»، أي بالقحط والجدب ومنع الغيث عنهم جراء تمردهم على الله، وتعاملهم بالربا.

وإن المتأمل لماوقع ويقع من كوارث عامة، ومصائب متنوعة على بعض البلاد

والمجتمعات، وما ينتج عن ذلك من أضرار بشرية ومادية عظمى، وما يحصل أيضاً من أزمات اقتصادية، وضائقات مالية على بعض الدول والمجتمعات الإسلامية، ليرى أن مردَّ ذلك هو الإعراض عن دين الله، وعدم تطبيق شرع الله على عباد الله، واستبدال ذلك بالقوانين الوضعية، والأنظمة البشرية في كثير من الدول الإسلامية، وارتكاب ما حرم الله ونهى عنه من ربا وغيره، فهل ندرك أيها المسلمون ذلك حقاً، فنعمل جاهدين على محاربة ما حرم الله تعالى ونهى عنه على مستوى الأفراد منا، وعلى مستوى الشعوب المسلمة، والحكومات الإسلامية، وأن نستقيم على شرع الله، بكل صدق وإخلاص، فهو مصدر قوتنا وسبيل عزنا، وأن نستوحي جميع أعمالنا، وأحكامنا التشريعية وأنظمتنا الاقتصادية، ومعاملاتنا المالية من تعاليم الشرع المبين الذي جاء بأفضل تشريع، وأوضح منهج وأصلحه للعباد والبلاد، حقق الله تعالى ذلك، ورد أمة الإسلام إلى حقيقة دينها رداً جميلاً إنه تعالى سميع مجيب.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٠ ـ ١٣٢].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وسنة نبيه ﷺ. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى ربكم حق تقاته، ولتحذروا عباد الله التعامل بالربا، فإنَّ شرَّ المكاسب كسبُ الربا، فلقد فشا في هذا الزمان معاملات ربوية كثيرة، وإن من الورع وصدق الديانة أن لا يقدم المرء على ما اشتبه عليه من معاملات مالية، ولا سيما ما استجد في هذا العصر من معاملات مصرفية، حتى يسأل أهل العلم والفقه عن حكمها الشرعي، فما أفتوه بحله أخذ به، وما أفتوه بتحريمه اجتنبه، وما اشتبه منها تركه تورعاً: «ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه».

ولتعلموا عباد الله: أن الله تعالى إذا حرم شيئاً حرم كلَّ وسيلة تؤدي إليه، وكل سبيل يعين عليه، وإنَّ الإسلام حين حرم الربا حرم أخذه وبذله، وحرم الشهادة على عقده وكتابته، لأن ذلك من التعاون على الإثم، ولذا جاء اللعن على لسان رسول الهدى ﷺ لمن ارتكب شيئاً من ذلك، فروى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء».

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «الزائدُ والمستزيدُ في النار» ـ يعني الآخذ للربا والمعطي له.

وإن من أسوأ ما شاع التعامل به من أنواع الربا لدى كثير من الناس، أخذه فائدة على ما يودع من أموال لدى المصارف وغيرها، أو دفع زيادة على ما يستقرض منها، فلتحذروا هذا النوع من الربا وغيره من سائر الأنواع، فإنه لا يجوز لمسلم في أي حال من الأحوال أن يُقدم على الربا أخذاً أو بذلاً، ولا أن يشهد على عقده، أو يتولى كتابته، ولا أن يأخذ أجرة على ذلك، لأن ما حرم فعله حرم أخذ العوض عليه.

فلتتقوا الله عباد الله، ولتحذروا التعامل بالربا، أو التحايل على أخذه بأي شكل من الأشكال، فإن الله تعالى لا يخفى عليه من أعمالكم خافية، ولتستغنوا بما قسم الله لكم من الحلال، يكتب الله تعالى لكم الحياة الهنيئة، والسعادة الأبدية، ويهيىء لكم الرخاء الدائم والرزق الواسع ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

التبرج والسفور وخطره على الأمة

الحمد لله الهادي إلى سواء السبيل، يهدي من يشاء بفضله إلى صراط مستقيم، أحمده سبحانه وأشكره على آلائه ونعمه، وأشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، ومن سار على هديهم وسلك سبيلهم إلى يوم المعاد.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى ربكم حق تقاته، واعملوا بطاعته ومرضاته، والتزموا دينه القويم، وشرعه المبين، فلقد جاءت شريعة الإسلام المباركة بكل ما يحقق الخير للبشرية، والسعادة للإنسانية، بعدالة الأحكام، وهداية إلى أرقى الأخلاق، ونشرٍ لألوية الفضيلة والآداب، كي يكون المجتمع الإسلامي طاهراً نقياً. العفة والحياء شعاره، والحشمة والوقار دثاره، مجتمع لا تُثار فيه عوامل الفتنة، ولا تُهاج فيه الشهوات، بل تُضَيَّق فيه فُرَصُ الغواية، وسبل الشر والضلالة، صيانة للمجتمعات المسلمة، وحفاظاً على سلامة الأمة من الانحلال والفساد المفضي بها إلى الهلاك والردى.

لذا أكّد الإسلام على التأدب بآداب الدين الحنيف، ودعا إلى التحلي بالفضائل ومجانبة الرذائل، وكان من آكد ما أمر به الإسلام من الآداب، وما وجه إليه من الفضائل والأخلاق، ما حثَّ عليه النساء من الاتصاف بالحشمة والحياء، والتحلي بالستر والصيانة، والالتزام بالحجاب، والقرار في البيوت، وعدم الخروج منها إلا لحاجة، فإنَّ مهمة المرأة في بيتها جليلة، ومسؤوليتها فيه أعظم مسؤولية، وأجل ما فيها رعاية الأجيال الناشئة، والعناية بتربيتهم على الخير والفضيلة، حتى ينشأوا على الصلاح والاستقامة، فيحققوا الخير والنفع لأنفسهم ومجتمعهم، فالأم هي الدعامة

الأولى لبناء المجتمع الصالح، فالعناية بصلاحها واستقامتها ينعكس أثره على الأمة في مجموعها.

فحق على المسلمة الواعية لمسؤوليتها أن تلتزم بتعاليم الدين القويم، وتتأدب بآداب الشرع المبين، تؤدي فرائض ربها، وتُعنى بوظائف بيتها، فترعى شؤون زوجها وأولادها حق الرعاية، ولا تخرج من بيته من غير حاجة، وإن خرجت ففي غاية الستر والصيانة، بعيدة عن التبرج والسفور، غير مظهرة لشيء من الزينة في البدن أو اللباس، تمشي في أدب واستحياء، لا تخالط الرجال ولا تزاحمهم في مجتمعاتهم في المساجد والأسواق والطرقات، ولا تلين في الحديث مع الأجانب، مراقِبةً لربها سبحانه في كل حركاتها وسكناتها، فهذا شأن المسلمة المؤمنة بربها، والواعية لمسؤوليتها، الراعية لأمانتها، تتأدب بهذه الآداب التي أدَّب بها الحق سبحانه أمهات المؤمنين، وزوجات سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه، وهو توجيه وتأديب لجميع نساء الأمة، يقول عزّ شأنه: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣].

عباد الله: إنه على الرغم من هذه التوجيهات الإلهية من الحكيم الخبير فيما يجب أن يكون عليه حال النساء المؤمنات من التحلي بالحشمة والحياء، والتدثر بدثار العفة والصلاح، إلا أنَّ من عظيم الأسى إعراض كثير منهن في غالب المجتمعات المسلمة عن هذه التعاليم الإلهية الرشيدة التي تُحقق لهنَّ الخير والسعادة، وبعدهُن عن أحكام الإسلام وآدابه المثلى، وانسياقهُن وراء التقليد للمجتمعات الكافرة التي لم تُقِمْ للفضيلة وزناً، وأغراهن الإقدام على ذلك دعاةُ الباطل من الذين في قلوبهم مرض الشهوات، وقلّ فيهم وازعُ الديانة، فحسَّنوا لهنَّ التبرج والسفور، وخلعَ جلباب الحشمة والحياء، بأساليبَ مختلفة، وعبر وسائل متنوعة حتى اغترَّت كثير من نساء المسلمين ممن ضعفت ديانتهنَّ بتلك الدعايات المضللة، فتنكَّبن سبيل الخير والفضيلة، تخرج إحداهُنَّ سافرةً متبرجةً، متعطرةً متزينةً، في زي فاضح ولباس فاتن، فهي كاسية عارية، تخالط الرجال الأجانب في المجالس، وتشاركهم الأحاديث

غير عابئة بعظم الذنب وشناعة الجرم، فلا خوف من الله ولا حياء من عباد الله، في مظاهر مألوفة في كثير من بلاد الإسلام، مما يغري بالفاحشة، ويفتح أبواب الرذيلة، ويشعل نار الفتنة في قلوب الرجال، وأي فتنة يا عباد الله أعظم من فتنة النساء، وهن حبائل الشيطان، يصطاد بهن القلوب المريضة، حتى يرتكس كثيرٌ من الرجال والنساء في حمأة الفاحشة، وما كثرت الفاحشة في أمةٍ إلا كان نذيرَ بلاء عظيم، وشرٍ مستطير، أشار إليه المصطفى ﷺ بقوله: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا». رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي، وجاء في الحديث الآخر التحذيرُ من فتنة النساء، وبيانُ خطرها في الأمة، فروى الشيخان عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ما تركت بعدي فتنة هي أضرُّ على الرجال من النساء».

ألا فاتقوا الله أيها المسلمون: اتقوا الله يا أولي الأمور، ويا أرباب العقول والنهى، وذوي الإيمان والتقوى، بالأخذ على أيدي من تحتكم من النساء عن المخالفة لآداب الإسلام وتعاليمه، ولتحملوهنَّ على الفضيلة والطهر والعفاف، وفق تعاليم الدين الحنيف، فتلكم مسؤولية عظمى ألزمكم الحق بها، واسترعاكم عليها، وكل راع مسؤول عن رعيته.

ولتتقين الله أيتها المسلمات حق التقوى، ولتراقبن ربكم جلّ وعلا في أنفسكُن وأهليكُن ومجتمَعِكُن، ولتَحذرن من سخط الجبار جلّ وعلا فإن أخذه لشديد، وإن عذابه لأليم لمن تنكب الصراط المستقيم، وأعرض عن الحق المبين: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠].

ولقد أخبر رسول الهدى ﷺ عما تفعله بعض النساء من بعده من مظاهر التبرج والسفور، مما يكون سبباً في طردهن من رحمة الله، وحرمانهن من دخول الجنة بسبب خروجهن عن أمر الله وهتكهن الحجاب الذي شرعه الله، وأي حرمان أعظم من هذا الحرمان؟ وهل بعد هذا الوعيد من وعيد؟ ألا وهو دخول النار وبئس المصير، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس،

ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، مميلاتٌ مائلاتٌ، رؤوسهنَّ كأسنمة البُخْت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا).

فاتقوا الله أيها المؤمنون والمؤمنات، ولتتحلوا بآداب الدين القويم التي أدب بها الله عباده المتقين، واتصفوا بكل مكرمة وفضيلة، وجانبوا وسائل الشر والرذيلة، ففي ذلك الخير والسعادة لكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: إن شر ما مُنيت به المرأة المسلمة في هذه العصور المتأخرة التقليد الأعمى، وإن كان على حساب الدين والشرف والفضيلة، وإلا فمن أين وفدت على المجتمعات الإسلامية هذه المفاسد والقبائح: سفور وتبرج، وانحلال من الحشمة والحياء، وكفر بنعم الله من الهداية والاستقامة إلى الزيغ والرجس والضلالة، وكم جنى التقليد الأعمى على الأغرار، فأوقعهم في الردى، وأوردهم المهالك، بل وكم جرَّ على أهل الإسلام من كبير الرزايا، وعظيم البلايا.

ألا فاتقوا الله عباد الله، وليتق الله النساءُ المؤمنات، وليلتزمن أدب الدين، وما شُرع لهن من الحجاب والحشمة والحياء، فليس لمؤمن ولا مؤمنة بعد أن يقضي الله أمره، ويشرع تشريعاً أن يختار لنفسه طريقاً أو شرعاً غير شرع الله القويم: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

التحذير من فتنة الدنيا

الحمد لله الذي بفضله اهتدى المهتدون، وبعدله ضلَّ الضالون، أحمده سبحانه وأشكره ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الإله الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أزكى البرية أجمعين، وخليل رب العالمين، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغرّ الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله حق التقوى، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله: عنوان سعادة المرء، ودلائل توفيقه إنما يكون في إنابته لربه، واستقامته على شرع الله ودينه في أيام حياته وعلى كل حالاته، وإقباله على الله تعالى بنية خالصة، وعبودية صادقة، وأن لا تشغله الحياة الدنيا والسعي في تحصيل ما يؤمِّل منها عن الاستعداد للحياة الباقية، والتزود للدار الآخرة، فذلك سبيل الصالحين، ونهج المتقين ممن وصفهم الله عزّ وجلّ في محكم التنزيل بقوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٧]، فإن هؤلاء الصالحين على الرغم من اشتغالهم بالبيع والشراء، وما يحتاجون من عرض الدنيا إلا أن ذلك لم يكن حائلاً بينهم وبين استحضار عظمة الله جلّ جلاله استحضاراً يحمل على تقواه عزّ وجلّ، وخشيته على الدوام، والقيام بعبوديته حق القيام، وهكذا شأن المؤمن حقاً يغتنم أيام العمر وأوقات الحياة بجلائل

الأعمال الصالحة، ويبتغي فيما آتاه الله الدار الآخرة، لعلمه أن هذه الحياة الدنيا ما هي إلا وسيلة للفوز بالحياة الباقية والظفر بالسعادة الدائمة، لا أنها غاية تبتغى، ولا نهاية ترتجى، بل إنما هي عرض زائل، وظل آفل، يأكل منها البرّ والفاجر وأنه مهما طال فيها العمر، وفسح فيها للمرء الأجل، فسرعان ما تبلى، وعما قريب تفنى، وليس لها عند الله شأن ولا اعتبار، وإنما هي قنطرة إلى الجنة أو النار، يقول عزّ وجلّ: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد: ٢٠].

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خَضِرَة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء». رواه مسلم في صحيحه، وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء». رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. وروى الإمام أحمد وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مرّ النبي ﷺ بشاة ميتة قد ألقاها أهلها، فقال: والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها».]

وإن في هذه النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية يا عباد الله لأبلغَ بيان، وأوضحَ تصوير لحقيقة هذه الحياة الدنيا، وما يجب أن يكون عليه حال المؤمن فيها من الإقبال على الله جلّ وعلا، والأخذِ بالنفس في دروب الصلاح والتقى، ومجانبة الشهوات والهوى، والحذر من الاغترار بالدنيا، غير أن من عظيم الأسى أن يظل الكثيرون منا في غفلة وتعام عن ذلك، حتى غلب عليهم طول الأمل، وران على قلوبهم سوء العمل، وكأنه لا حياة لهم إلا الحياة الدنيا، وإذ استولى حب الدنيا على قلب المرء أنساه ذكر ربه، وإذا نسي المرء ذكر ربه أنساه تعالى نفسه، حتى يورده موارد العطب والهلاك، وقد قال ﷺ في بيان شؤم ذلك وخطره على دين المرء: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لهما من حرص المرء على المال والشرف لدينه». رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.[وروي في الأثر: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»، وقال بعض السلف: «من أحب الدرهم والدينار فليتهيأ للذل»، ولما نظر

الإمام الحسن البصري رحمه الله إلى بعض أهل زمانه ورأى تكالبهم على الدنيا وغفلتهم عن الآخرة قال: «أمؤمنون بيوم الحساب هؤلاء! كلا كذبوا ومالك يوم الدين».

وإن من مظاهر غلبة حب الدنيا على القلوب، واستيلائها على النفوس لدى البعض، أن لا يكون لهم هم إلا البحث عن الجاه العريض، والشهرة الواسعة، وإن كان على حساب الدين والفضيلة، وآخرون ليس لهم هم سوى جمع الأموال وتضخيم الثروات، حتى سلكوا في تحصيل ذلك مسالك مشبوهة، وسبلاً محرمة، وقد روي عنه ﷺ أنه قال في معرض التحذير من ذلك وبيان عاقبته على صاحبه: «والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يُتقبل من عمل أربعين يوماً، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به». رواه الطبراني وغيره.

وكم في المجتمعات المسلمة يا عباد الله ممن طغى عليهم حب الدنيا فاستجابوا لداعي الهوى والنفس الأمارة بالسوء والفحشاء، حتى أدى بهم ذلك إلى شرب المسكرات، وتعاطي المخدرات، واقتراف الفواحش والمنكرات، يساعد على ذلك ويُذْكيه في نفوسهم واقع الإعلام المعاصر، وما تبثه وسائل الاتصال، وكثير من القنوات مما فيه تزيين للباطل، وإغراء بالفتنة، وخروج على القيم والفضيلة، حتى غدا كثير من المسلمين ولا سيما الناشئة محاكين للأعداء في كثير من أنماط حياتهم وسلوكهم، حتى صدق على كثير منهم قول الحق جلّ وعلا: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩]، وما أوقعهم في ذلك إلا طغيان حب الدنيا على نفوسهم، حتى آثروها على الآخرة.

وإن هذا الداء يا عباد الله لهو الذي أودى بأمة الإسلام في عصورها المتأخرة إلى ما هي عليه الآن من ضعف وهوان، وتفرق ونزاع، حتى تحكم الأعداء في كثير من قضاياها، واستحوذوا على كثير من خيراتها، واستولوا على بعض بلادها، وساموا بعض الشعوب المسلمة سوء العذاب، وألحقوا بهم أصنافاً من النكال، وإن ما يحدث الآن على أيدي اليهود الغاصبين، والشرذمة المفسدين، ضد إخواننا المستضعفين في الأرض المباركة فلسطين، من عدوان أثيم، على الأنفس والأموال والحرمات، وتدنيس المقدسات، ولا سيما المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين، وثالث

المسجدين الشريفين، إنما مرده ما عليه حال الكثيرين من أمة الإسلام، من إقبال على الدنيا، وزهد في الآخرة، وإعراض عن طاعة الله ورسوله، حتى ابتُلوا بهؤلاء الأعداء الحاقدين، ومن شايعهم من الكفرة الظالمين، الذين استهانوا بالمسلمين، واسترخصوا دماءهم وحرماتهم، وهذا مصداق لما أخبر ﷺ عن وقوعه في الأمة، حين تقبل على الدنيا، وتخلد إليها، ويضعف تمسكها بدين الله، وتدع الجهاد في سبيل الله، حيث قال ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم». رواه أبو داود وغيره.

وروى الإمام أحمد وأبو داود أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكَلَة على قصعتها، قال: قلنا: يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذٍ؟ قال: أنتم يومئذٍ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، تُنْتَزَعُ المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوَهَن، قال: قلنا: وما الوَهَن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت».

فلتحذروا عباد الله من التمادي في الغفلة والإعراض عن الله، وإيثار الحياة الدنيا على الآخرة، فلقد ندد الحق جلّ وعلا بالغافلين، وأشاد بالمتقين الذين جانبوا هوى النفس وعملوا للدار الآخرة، فقال سبحانه مبيناً مآل كل فريق وجزاءه: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٤١].

فاتقوا الله عباد الله، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله على ترادف آلائه ونعمائه، والشكر له على سابغ فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه سبحانه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، ولا تكونوا ممن استولت عليهم الغفلة، واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله والدار الآخرة، وغرتهم الأماني الباطلة، والآمال الخادعة حتى غدوا وليس لهم هم إلا في لذات الدنيا وشهواتها، فكيف حصلت حصَّلوها، ومن أي وجه لاحت أخذوها، وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثواباً من الله ورضواناً: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم: ٧]، أفلا نتعظ يا عباد الله بقوارع التنزيل وآياته، ونعتبر بما حل بالماضين من أهل القرون الخالية، ومن نُشَيِّعُ كل يوم إلى الدار الآخرة في رحلات متتالية، يذهب فيها أفراد وجماعات، وآباء وأمهات، وأبناء وبنات، وملوك ومماليك، وأغنياء وصعاليك، ومؤمنون وكفار، وأبرار وفجار، يُودَعون القبور، وينتظرون يوم النفخ في الصور، والبعث والنشور، ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المعارج: ٤٣، ٤٤].

فاتقوا الله عباد الله، وتذكروا قرب الرحيل من هذه الدار إلى دار القرار، ثم إلى جنة أو نار، فأعدوا لهذا اليوم عدَّته، واحسبوا له حسابه ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

شؤم الحسد وخطره

الحمد لله الذي لا تغيض ينابيع فضله، ولا تضطرب موازين عدله، له غيب السموات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله، وما الله بغافل عما تعملون، أحمده سبحانه وأشكره على جزيل الفضل، وسابغ العطاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذي الآلاء والنعماء، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أصفى الناس قلباً، وأزكاهم نفساً، وأعظمهم خلقاً، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأوفياء والسادة الحنفاء ومن سلك سبيلهم واقتفى.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى ربكم حق التقوى، فإنها زاد المؤمنين، ونهج الصالحين، وسبيل السعادة في الدارين.

ومن اتقى الله تعالى حقاً وصدقاً، جعل له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل همٍّ فرجاً، ومن كل عسر يسراً، ومن كل خوف أمناً، وأورثه طمأنينةً في القلب، وانشراحاً في الصدر، وسكينة في النفس، وسلامة من شرور النفوس وأمراض القلوب.

ألا وإن من أشد أمراض القلوب خطراً، وأكبرها إثماً، وأعظمها ضرراً على الأفراد والجماعات داء الحسد، إنه داءٌ عضال، ومرضٌ فتاك، ما اتصف به امرؤ إلا دل على سوء الطوية، وقبح السريرة، وضعف الديانة، وقلة اليقين، وما حل في نفس إلا وأوردها موارد العطب والهلاك، وما فشا في أمة إلا حلّ فيها الإحنُ والشحناء، وعمّ فيها العداوةُ والبغضاء، وفرقها شيعاً وأحزاباً فلا أُلفة ولا إخاء في مجتمعاتها، ولا مودة ولا رحمة يبن أفرادها.

قال بعض أهل الحكمة: «الحسد عقيدُ الكفر، وحليفُ الباطل، وضد الحق،

منه تتولد العداوة، وهو سبب كل قطيعة، ومفرّق كل جماعة، وقاطع كل رحم من الأقرباء، ومحدث التفرق بين القرناء، وملقّح الشر بين الحلفاء»، فصفة هذه بعض آثارها، وشيءٌ من مساوئها وأضرارها، لا غرو أن يُحَرِّمها الإسلام، ويشدد في النهي عنها، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً». وروى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عنه ﷺ أنه قال: «دب إليكم داءُ الأمم قبلكم الحسدُ والبغضاء، والبغضاءُ هي الحالقة، أما إني لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين».

عباد الله: إن الحسد ذنبٌ عظيم، وجُرْمٌ كبير، وهو أولُ ذنبٍ عُصيَ اللهُ به في الأرض وفي السماء، فهو سبب إخراج إبليس من الجنة، وطرده من رحمة الله وقربه، حينما حسد آدم عليه الصلاة السلام، وأبى واستكبر عن السجود له، وهو الذي حمل ابنَ آدم على قتل أخيه فأصبح من الخاسرين، وهو الذي منع أهل الكتاب من التصديق بما جاء به النبي ﷺ والإيمان به، مع معرفتهم بأن ما جاء به حق وأنه نبيٌ مرسل من عند ربه، كما قال عز شأنه: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وهو الذي دفع بكفار قريش إلى معاداة النبي ﷺ ورد دعوته، حتى قال بعض ساداتهم: «إني لأعلم أن محمداً صادق، وما كذب محمدٌ قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة، فماذا يبقى لسائر قريش. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

إن للحسد يا عباد الله مساوىء عظمى، ومفاسدُ كبرى، إذ قد يحمل على ارتكاب أنواع من الإثم، واقتراف صنوف من المعاصي، مِنْ جَحْدٍ للحق، وقولٍ بالباطل، وإخفاءٍ للمحاسن وإظهار للمعايب، بل وربما حمل على إلحاق الأذى والضرر بالمحسود ظلماً وعدواناً، في أساليب مختلفة، ووسائل متنوعة في واقع الناس، ومن أقل ما قد يحمل عليه الوقيعة في عرض المحسود بالغيبة والنميمة والبهتان، ومحاولة النيل من كرامته، والحطِّ من قدره ومكانته، وكفى بذلك إثماً وزوراً.

ولو تأمل الحاسد في واقعه حقاً، لعلم أنه يعترض على ربه جلّ وعلا في أمره وحكمه، وقضائه وقدره، فهل يقع في الوجود سوى ما قدَّره سبحانه وكتبه، وهل يحصل لأحد من خير ونعمة إلا بتقدير الله عزّ وجلّ وإرادته، لحكمة يشاؤها سبحانه، قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «لا تُعادوا نعم الله. قيل له: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله».

ولقد شدد القرآن الكريم في النهي عن الحسد، فقال الحق سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء: ٥٤]. وقال عزّ وجلّ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢].

قال بعض السلف: «من رضي بقضاء الله تعالى وقدره لم يسخطه أحد، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد»، ولو لم يكن في الحسد إلا ما يجلبه على صاحبه من الأذى، وما يورثه من غم ونكد، وهمٍّ وقلق، لكان رادعاً له عن الاتصاف به، وحاملاً له على السلامة منه، فكيف والحال أن الحاسد لا يكاد يسمع بخير حصل لفلان، أو نعمة أنعم الله بها على سواه من الأنام، إلا ويمتلىء قلبه غلاً وحسداً، وتمتلىء نفسه حسرة وجزعاً، فليس له في الحياة راحة، ولا لرضاه غاية، والمحسود يتقلب بنعم الله ولا يشعر بشيء مما في نفس حاسده من الآلام والحسرات.

قال بعض الحكماء: «ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحسود، نَفَسٌ دائم، وهمٌ لازم، وقلبٌ هائم، ولو لم يكن من الحسد إلا أنه خُلُق دنيء يتوجه نحو الأكفاء والأقارب، ويختص بالمخالط والمصاحب لكانت النزاهة عنه كَرماً، والسلامةُ منه مغنماً، فكيف وهو بالنفس مُضِر، وعلى الهم مُصِر، حتى ربما أفضى بصاحبه إلى التلف، من غير نكاية في عدو، ولا إضرار بمحسود»، وقيل في منثور الحكم: «قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله».

فهذه حال الحاسد في الدنيا، وضرره عليه فيها، أما ضرره على الدين فهو أكبر، وخطره على المرء في الآخرة أشد وأفظع، فهو من أسباب ذهاب حسنات المرء

يوم القيامة، وكفى بذلك خسراناً مبيناً، روى أبو داود وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

فاتقوا الله عباد الله، ولتراقبوا ربكم سبحانه في أقوالكم وأعمالكم، ولتنأوا بأنفسكم عن كل خلق ذميم حذر منه الإسلام ونهى عنه، حفاظاً على دينكم، وصيانة لأعراضكم، واتباعاً لنهج المتقين، واقتفاء لسنن الصالحين، وفي ذلك الفوز العظيم من الرب الكريم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونثني عليه الخير كله، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا لله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى ربكم لعلكم تفلحون، وتذكروا عباد الله أن الحسد من أسوأ خصال الشر التي قل أن يسلم منه أحد من الخلق، غير أن الناس فيه بين مقل ومستكثر، إلا أن الله تعالى من لطفه بعباده لا يؤاخذ على ما يقع في نفس المرء من الحسد مما لا طاقة له برده ومنعه، ما لم يتجاوز ذلك إلى إساءةٍ للمحسود بقولٍ أو عمل، كما ورد ذلك في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عزّ وجلّ تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم».

فعلى المؤمن الصادق في إيمانه، الحريص على سلامة دينه وعرضه أن يجاهد نفسه في دفع الحسد والحذر منه، والإعراض عن أسبابه ودوافعه، وليُكَفِّر عما يحصل منه بسبب الحسد، بالاستغفار والتوبة، والدعاء للمحسود والثناء عليه.

غير أن ذلك لا يكون إلا مع دين متين، ومروءة ظاهرة، وأخلاق زاكية، وتذكر واستحضار دائم بأن قضاء الله نازل، وحكمَه نافذ، وأن الحسد لا يرد نعمة أرادها الله لعبد، ولا يمنع خيراً وفضلاً أراده الله لمخلوق، كما قال عليه الصلاة والسلام لابن عمه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك

بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجَفَّت الصحف).

فإذا كان هذا ما يجب أن يعتقده المسلم، ويوقن به المؤمن، فعلامَ التحاسد والتنافس يا عباد الله، وقد قال الحق سبحانه: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٨ ﴾ [القصص: ٦٨].

التحذير من الغيبة

الحمد لله رب العالمين، يهدي من يشاء بفضله إلى صراط مستقيم، أحمده سبحانه وأشكره، أمر عباده بحفظ الجوارح عن الحرام، ونهى عن اقتراف المعاصي والآثام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلام، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله سيد الأنام، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام، ومن سار على هديهم وسلك سبيلهم إلى يوم المعاد.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى ربكم حق تقاته، فإن في تقواه عزّ وجلّ العصمةَ من الضلالة، والسلامةَ من الغواية، وهي السبيل إلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.

عباد الله: من محاسن دين الإسلام وسمو تشريعاته أن أحاط حرمات المسلمين وأعراض المؤمنين بسياج متين، ودرع واقٍ حصين، من الصيانة والتبجيل، والإجلال والتكريم، فلا يُمَسُّ لمسلم حرمة، ولايُنتهكُ له عرض، ولقد بلغ من عناية الإسلام بذلك أن أكَّد رسولُ الهدى ﷺ على رعاية هذا الحق في الجمع العظيم في حجة الوداع، بقوله ﷺ في الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم وغيره: (إنَّ دماءَكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا).

وتأكيداً على العناية، بهذا الواجب للمسلم، فقد نهى الإسلام عن كل ما يحصل به النيل من حرمات المسلمين، أو التجني على أعراضهم، فحرَّم أنواعاً من الإثم، وصنوفاً من المعاصي، وإن من أعظم تلك المحرمات الوقوعَ في أعراض الناس بالغيبة، فإن الغيبة يا عباد الله مرتعٌ وخيم، وبلاءٌ عريض، بل إنها من عظائم الإثم وكبائر الذنوب، ما اتصف بها امرؤ إلا دل على سوء طويته، وضعف ديانته، وقلة

مروءته، واستجلب بها المقت من الله، والازدراء من عباد الله، إنها ما فشت في مجتمع إلا حلَّت فيه الضغائنُ والأحقاد، والعداوات والبغضاء، والإحنُ والشحناء، والتقاطع والتدابر، فما أسوأ أثرها، وما أقبح ضررها على الفرد والمجتمع، ولذا وقف الإسلامُ منها موقفاً صارماً، وحذر منها تحذيراً بالغاً، وصورها القرآن الكريم بأبشع صورة، فقال الحق سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢]، فقد مثَّل الحقُ عزّ وجلّ ما يتناوله المغتاب من أخيه المسلم بهذا المثل الذي تشمئز منه النفوس وتنفر منه الطباع، وهو أكل المرء لحم إنسان ميّت، وأشدُّ من ذلك نفرةً، وأكثرُ منه فظاعةً أن يكون ذلك الميت أخاه.

ولذا حذر رسول الله ﷺ أمته غاية التحذير منها، وأوضح حقيقتها بقوله: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتَّه». رواه مسلم في صحيحه. فذكرُ المرء أخاه المسلم بما يكرهه غيبةٌ محرمة، سواءٌ أكان ذلك العيب في خَلقه أو خُلقه، وسواءٌ أقاله بصريح القول أو همزاً ولمزاً، أو إشارةً أو إيماءً، أو محاكاةً وتقليداً، فكلُّ ذلك غيبةٌ محرمة، وإن تظاهر أصحابها بخلاف ذلك، فإن للناس في الغيبة طرائق متعددة وأساليب متنوعة، فربما أظهر بعضهم الغيبة في قالب صلاح وورع، وزهد وديانة، أو إنكار منكرٍ وغضبٍ لله تعالى ولدينه، وغير ذلك من ضروب المخادعة لله ولخلقه، فيظهرون خلاف ما يبطنون، ويسرُّون ما لا يعلنون ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [البقرة: ٩]، وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «من الناس من يُخرجُ الغيبة في قوالب شتى، تارة في قالب ديانة وصلاح، فيقول: ليس لي عادةٌ أن أذكر أحداً إلا بخير، ولا أحبُّ الغيبة والكذب، وإنما أخبركم بأحواله، وربما قال: دعونا منه الله يغفر لنا وله، وإنما قصده استنقاصه وهضماً لجانبه، ومنهم من يحمله الحسدُ على الغيبة فيجمع بين أمرين قبيحين الغيبة والحسد، ومنهم من يخرج الغيبة في قالب تعجب، فيقول: عجيب من فلان كيف وقع منه كذا وكذا!، ومنهم من يخرج الغيبة مخرج الاغتمام، فيقول: غمني ما جرى

لفلان، فيظن من يسمعه أنه يغتمُّ له ويتأسف، وقلبه منطوٍ على التشفي به، ولو قدر لزاد على ما به، ومنهم من يُظهر الغيبة في قالبِ غضبٍ وإنكارِ منكر، ويُظهِر في هذا الباب أشياءَ من زخارف القول، وقصدُه غير ما أظهر، وهذا وغيره من أعظم أمراض القلوب، والمخادعات لله ولخلقه». انتهى كلامه رحمه الله.

ولقد جاء عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة في التحذير من الغيبة وبيان أنواع منها، فمن ذلك ما روى الطبراني وأبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنا عند النبي ﷺ، فقام رجلٌ، فقالوا: يا رسول الله ما أعجز فلاناً، أو قالوا: ما أضعف فلاناً، فقال النبي ﷺ: اغتبتم صاحبكم وأكلتم لحمه».

وروى أبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا، قال بعض الرواة: تعني أنها قصيرة، فقال: لقد قلتِ كلمةً لو مُزجت بماء البحر لمزجته». قال الإمام النووي رحمه الله تعليقاً على قوله ﷺ (لمزجته): «أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها»، وهذا من أبلغ الزواجر عن الغيبة.

فتأملوا عباد الله كيف أنكر ﷺ هذا الكلام من الصحابة رضوان الله عليهم، وعَدَّه نوعاً من أنواع الغيبة مع يسير ما قالوا في الظاهر، وانظروا إلى حال الكثيرين منا اليوم من الوقيعة في أعراض المسلمين دون مبالاة ومن غير اكتراث، وعموم البلوى بذلك في المجتمعات، حتى أصبحت الغيبة مجال أحاديث المجالس الخاصة والعامة، وأصبحت لكثرة شيوعها بين الناس كأنها أمرٌ مألوف لا غضاضة في فعلها، ولا إنكار على مرتكبها، بل أصبحت شيئاً مستطاباً لدى البعض، ولا سيما في صفوف النساء، إذْ يجد أحدهم في الغيبة متنَفَّساً لما تنطوي عليه نفسه من ضغائن وأحقاد، فيظل في كل مجلس يجلسه يلوكُ لسانه في أعراض الغافلين من المؤمنين والمؤمنات، ويسرف في التجني على عباد الله بالسخرية والاستهزاء، والهمز واللمز، وتعداد المعايب، والكشف عن المثالب، بعبارات تنهش نهشاً، وبألفاظ تنضح بالسوء والفحشاء، لا يحجزه عن ذلك دين ولا يمنعه مروءة ولا أدب، وكأنه قد سلم من العيوب، واستكمل الفضائل، وما درى أنه بهذا الصنع إنما يقدحُ في ذاته، ويعيب نفسَه ويكشف عما انطوت عليه من علل ومساوىء، تَرَفَّعَ عنها الفضلاء، وتحاشاها

العقلاء، إذ لا يقع في أعراض الناس ويشتغل بتجريحهم إلا أقل حظاً من الدين والمروءة، ولذا قال بعض السلف لمن سمعه يغتاب: «قد استدللنا على كثرة عيوبك بما تكثر من عيوب الناس، لأن الطالب لها إنما يطلبها بقدر ما فيه منها»، وقال عَدِيُّ بن حاتم رضي الله عنه: «الغيبة مرعى اللئام»، وسمع قتيبة بن مسلم رجلاً يغتاب آخر، فقال له: «لقد مضغت مضغة طالما لفظها الكرام»، وقال بعض العلماء: «لا يذكر في الناس ما يكرهون إلا سِفْلَةٌ لا دين له».

فالغيبة يا عباد الله سيئةٌ بكل أنواعها، وشتى ضروبها، غير أنَّ من أسوئِها أثراً، وأعظمِها ضرراً، اغتيابَ أهل الفضل والعلم ممن لهم نفع عام في الأمة أو المجتمع، من ولاة الأمور، والعلماء والدعاة، وأهل الخير والصلاح، فإن الوقيعة في أعراض هؤلاء وأمثالهم أعظم إثماً، وأشد ذنباً لما يترتب على غيبتهم من آثار سيئة عامة في الأمة.

وإن من منهج السلف الصالح رضي الله عنهم، الكفَّ عن غيبة ولاة الأمور، ومناصحتهم برفق ولين، دون تشهير بالعيوب، أو تعداد للمثالب بين الناس، لأن في ذلك إيغاراً لصدور الرعية على الولاة، ومن أسباب عدم السمع والطاعة لهم، ومدعاة لنشوء الفتن في البلاد، مما قد ينتج عنه مفاسد كبرى، وأضرار عظمى لا يعلم مداها إلا الله عزّ وجلّ.

وأما غيبة العلماء الراسخين، والدعاةِ الناصحين، فإنه مما يضعف مكانتهم في النفوس لدى العامة وطلاب العلم، ويقلل من قبول أقوالهم، والانتفاع بنصائحهم وتوجيهاتهم، وهم المبلغون لشرع الله ودينه، وقلَّ من تَعَرَّض للعلماءِ الرَّاسخين، والدعاةِ النَّاصحين، وأهل الخير والصلاح بشيء من الأذى إلا عوجل بالعقوبة، ولذا قال الإمام ابن عساكر رحمه الله: «إن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة».

عباد الله: حين حرَّم الإسلام الغيبة حرمها قولاً واستماعاً، ولذا فإن المستمع شريك القائل إن رضي ووافق، وإنَّ الشرع ليوجب على السامع أن ينكر على المغتاب وأن يكفَّه عن التمادي في الغيبة، وأن يذُبَّ عن عرض أخيه المسلم، فقد جاء في

الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من ردَّ عن عرض أخيه ردَّ الله عن وجهه النَّار يوم القيامة». رواه الترمذي وقال حديث حسن.

ورأى بعضُ السلف رجلاً يستمع لمن يشتم آخر فقال له: «نَزِّه سمعَك عن الخنا، كما تنزِّه نفسك عن الكلام، فإن السامع شريك القائل، وإنه عمَد إلى شر ما في وعائه، فأفرغه في وعائك، ولو رُدَّت كلمةُ جاهلٍ في فيه لسعد رادُّها كما شقي قائلها».

فاتقوا الله عباد الله، وتأدبوا بآداب الإسلام وتحلوا بأخلاق أهل الإيمان، واحفظوا ألسنتكم عما حرم الله تعالى عليكم، فقد قال الحق عزّ وجلّ: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٨]، وقال عليه الصلاة والسلام: «وهل يكبُّ النَّاسَ في النار على وجوههم إلا حصائدُ ألسنتهم». رواه الإمام أحمد والترمذي.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه سبحانه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى حق تقاته، واحذروا أسباب سخطه وعذابه، وتذكروا عباد الله أن من تعاليم الشرع المبين، ومن مقتضيات الأخوة في الدين حفظَ الألسن عن الولوغ في أعراض الناس، وبيان معايبهم، وتَعداد مثالبهم، واستكشاف ما ستروا، واستطلاع ما غَيبوا، فإن ذلك مما يتنافى مع رعاية حرمات المؤمنين، وصيانة أعراض المسلمين، وما تقتضيه أخوةُ الإيمان، ورابطةُ الإسلام، ولقد حذر رسول الهدى ﷺ أمته من الوقوع في شيء من ذلك مبيناً ﷺ جزاء ذلك وعقوبته في الدنيا والآخرة، بما في ذلك أبلغُ زاجر وأعظمُ رادع عن اقتراف هذه الآثام، فقد جاء في الحديث عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه: لا تغتابوا المسلمين ولا تتَّبعوا عوراتهم، فإنه من يتَّبع عورة أخيه يتَّبع الله عورته، حتى يفضحه في بيته». رواه الإمام أحمد وأبو داود. ورويا أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عُرِج بي مررت بقوم لهم أظفارٌ من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم».

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا من كل قول يغضب الرب جل جلاله، ويجلب سخطه ويُحِلُّ عذابه، فقد قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

التحذير من الرشوة

الحمد لله الهادي إلى سواء السبيل، يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، لا معقب لحكمه وهو الحكيم العليم، أحمده سبحانه وأشكره على جزيل الفضل والإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد القهار، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، المصطفى المختار، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما اختلف الليل والنهار.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى ربكم حق التقوى، وتعاونوا فيما بينكم على ما يصلح شأنكم، ويسعد مجتمعكم، فإن من أمارة صلاح المجتمع أن يتعاون أفراده على البر، وإشاعة الخير، ونشر ألوية الفضيلة والمروءة، والحيلولة دون نوازع الشر والعدوان، من قبائح الأفعال، ودنايا الأخلاق، حفاظاً على المجتمع أن يتطرق إليه خلل، أو يسري إليه ضرر تحقيقاً لقول الحق سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾ [المائدة: ٢].

ألا وإن من أنواع الإثم وأصناف العدوان التي طالما عصفت بكثير من المجتمعات فألحقت بها أشد الأضرار، وأنكى الأخطار: أكل أموال الناس بالباطل، وإن من أشد أنواع ذلك خطراً وأعظمها ضرراً، وأسوأها أثراً على الأفراد والجماعات تعاطي الرشوة بأي شكل كانت، وعلى أي صورة حصلت، وبأي اسم سميت، فإن الأسماء لا تغير من الحقائق شيئاً.

فالرشوة يا عباد الله بلاءٌ عظيم، وداءٌ وبيل، ومرضٌ فتاك، ما أقدم عليها امرؤ إلا دل على فساد ذمته، ومهانة نفسه، وضعف ديانته، وسقوط منزلته عند الخلق، وهوانه على الحق.

وما فشت الرشوة في مجتمع إلا اضطربت فيه الأحوال، وساءت بين أفراده العلاقة والصلات، وحل فيه العداء والبغضاء، والإحنُ والشحناء، وما خالطت عملاً إلا أفسدته، ولا نظاماً إلا قلبته، ولا قلباً إلا أظلمته، وما كثرت في أمة إلا حل الظلم فيها محل العدل، والغش محل النصح، والخيانة محل الأمانة، والخوف محل الأمن، فالرشوة مهدِرَةٌ للحقوق، معطلةٌ للمصالح، مُجَرِّأَةٌ للفسقة والظالمين، وسبب لشيوع الفساد، وكثرة المفسدين، فكم حصل بسبب الرشوة من طمسٍ لمعالم الحق، وحجبٍ للعدل، وإقرار للظلم، وتسترٍ على ذوي الجرائم والشرور، وتلفيق للتهم حول الأبرياء، وكم من فاسق قُدِّم على غيره وأعطي مطلبه، وإن كان باطلاً، وكم من تقي صالح لم يؤدَّ حقُّه، وأهين عند موظف لئيم لأنه لم يدفع له رشوة، وكم من حقوق ضيعت وأموال خاصة وعامة نهبت، ومصالح مجتمع وأمة أهدرت بسبب الخيانة وقبول الرشوة، بل وكم أُزهقت بسببها من أرواح، وأستبيحت من حُرُمات، مما جرّ على دولٍ وشعوب مصائب عظمى، وفجائع كبرى، ولتتصوروا عباد الله لو تساهل بعض حراس الحدود والثغور ومسؤولي الأمن في بلد من البلدان، وخانوا الأمانة التي ائتمنوا عليها مقابل رشوةٍ يأخذونها، فتسلل الأعداء والمجرمون وما معهم من معاول الشر والفساد إلى داخل البلاد، فكم يحدث من جراء ذلك من فساد عريض وبلاءٍ عظيم على العباد والبلاد!، وإن في وقائع السابقين لعبرة، وفيما سطَّرت كتب التاريخ من ذلك لموعظة.

عباد الله: لما في الرشوة من أضرار عظمى، وما ينتج عنها من مفاسد كبرى، وقف الشارع منها موقفاً صارماً، فجعلها في طليعة المحرمات وعدها من كبائر الذنوب والآثام، وجاء الذم لفاعليها في قول الحق سبحانه في وصف أهل الكتاب وبيان سوء أعمالهم: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [المائدة: ٦٢، ٦٣]، وجاء في تفسير السحت عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه الرشوة.

وورد على لسان رسول الهدى ﷺ اللعن لمتعاطي الرشوة سواء كان باذلاً لها ليتوصل بها إلى باطل، أو يمنع بها حقاً، أو كان آخذاً لها، أو كان وسيطاً بين الراشي

والمرتشي، فالكل مستحق للعن والطرد من رحمة الله، جزاء تعاونهم على الإثم واقترافهم هذا الجرم، روى أبو داود والترمذي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي في الحكم». رواه الترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم وزاد: «والرائش يعني الذي يسعى بينهما».

فكيف يليق بمسلم يسمع هذه القوارع والزواجر من الشارع الحكيم، ثم يفكر في الإقدام على الرشوة أخذاً أو إعطاءً، بل كيف يستسيغ مسلمٌ أن يُطعم نفسه وأهله وولده من مال رشوة وهي سحتٌ وحرام، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنةَ لحمٌ ودمٌ نبتا على سحت، النار أولى به». رواه الترمذي وغيره، وفي صحيح مسلم أنه عليه الصلاة والسلام: «ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، يا ربِّ يا ربِّ، ومطعمُه حرام، ومشربُه حرام، وملبسُه حرام، وغُذِيَ بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك».

فلقد حال بينه وبين قبول دعائه أكله الحرام وانتفاعه به، وماذا يبقى للعبد إذا انقطعت صلتُه بربه! وحُجِب دعاؤه، وحيل بينه وبين رحمة الله! ولذا قال بعض السلف: «لو قمت في العبادة قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك».

وثمة عقوبةٌ عامةٌ للمجتمع حين يستشري فيه هذا الداء، ويعم فيه هذا الوباء، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن عمرو بن العاص رضي الله عنه مرفوعاً: «ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسَّنة ـ أي بالقحط والجدب ـ وما من قوم يظهر فيهم الرُّشا إلا أخذوا بالرعب»، أي أنه لا يهدأ لهم بال، ولا يهنأ لهم حال لكثرة ما ينتابهم من الفواجع والمصائب التي تَقُضُّ المضاجع، وتأخذ القلوب بالفزع والهلع جراء تواطئهم على الباطل.

فعملٌ هذه بعض أضراره، وشيء من مساوئه وأخطاره يا عباد الله كيف يليق بعاقلٍ، فضلاً عن مسلم مؤمن بلقاء ربه أن يقدم عليه، أو يرضى بحصوله مع إمكان منعه.

والأسوأ من ذلك أن يعم هذا الداء كثيراً من المجتمعات المسلمة، ويشيع بين

أفرادها وكأنه أمرٌ مألوفٌ لا غضاضة في فعله، ولا إنكار على مرتكبه، وما ذاك إلا لقسوة القلوب، واستيلاء الغفلة على النفوس.

ألا فاتقوا الله عباد الله، ولتقفوا في وجه الباطل، ولتنكروا هذا المنكر، ولتمنعوا شيوعه بينكم، ولتتعاونوا على إحقاق الحق، ورفع الظلم، والأخذ على أيدي الظالمين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [البقرة: ١٨٨].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه سبحانه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله: اتقوا الله تعالى ربكم لعلكم تفلحون، وتعاونوا فيما بينكم على رفع منار الخير، والارتفاع بالنفوس عن مزالق الإثم.

ألا وإن الرشوة من مزالق الإثم، وإن خطرها في المجتمع لعظيم، وإن تعاطيها والعمل على إشاعتها بين الناس لجرم كبير، وانحراف عن سواء السبيل، وتجاوزٌ لحدود الشرع المبين، يجر على متعاطيها أسوأ العواقب في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يُبتلى بمحق البركة من الرزق، وسوء السمعة بين الخلق، ويعيش بين الناس مُرَزَّأً منكوداً.

أما في الآخرة فتحق عليه اللعنة والطرد من رحمة الله، ودخول النار وبئس مثوى الظالمين.

فاتقوا الله عباد الله، واعتبروا بمن مضى من الأمم السالفة قبلكم، كيف حلت بهم نقمة الله، ونزل عليهم عذابه، حينما خالفوا شرعه وتعدوا حدوده، فاعتبروا يا أولي الألباب.

التحذير من الإسراف والتبذير

الحمد لله الكريم المنان، دائم الفضل والإحسان، أحمده سبحانه وأشكره على جزيل العطاء، وسابغ الإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد القهار، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما اختلف الليل والنهار.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعملوا بطاعته ومرضاته لعلكم تفلحون، واشكروه تعالى حق شكره على ما أولاكم من نعم عظمى، وآلاء تترى حيث أوجدكم من العدم، ومنَّ عليكم بنعمة السمع والعقل والبصر، وهداكم إلى الدين الحق الذي ضل عنه كثير من الخلق، هداكم به إلى الصراط المستقيم، وأخرجكم به من الظلمات إلى النور، ووالى عليكم من النعم ما لا تحصون، ومن الخيرات ما لا تعدون، حتى غدوتم تهنؤون بنعم قل نظيرها، وعزّ مثيلها، ولا سيما في هذه البلاد المباركة، حيث الأمن الوارف، والرزق الواسع، والرخاء الشامل، والخيرات الوافرة، والنعم المتكاثرة الظاهرة والباطنة ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فحَقُّ هذه النعم أن تشكر ولا تكفر، والواجب للمنعم دوام الحمد والثناء على عظيم الآلاء، وجليل العطاء، فإنه ما حفظت النعم ولا استزيدت بمثل الشكر لله، ولا سلبت ومنعت إلا بعدم الشكر للجميل، وعدم الشكر للمنعم الكريم، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧].

فاشكروا أيها المؤمنون ربكم على ما خولكم من النعم السابغة، والمنن الضافية، شكراً تلهجُ به الألسن، وتوقنُ به القلوب، وتصدِّقه الجوارح، إذ الشكر

ليس بأقوال تردد، ولا عبارات تكرر فحسب، وإنما هو مع ذلك يقين جازم بفضل الله المطلق على العباد، يقين يحمل على تعظيم الرب وإجلاله، ومحبته وخشيته، والعمل بطاعته، والإنابة إليه، وسلوك مسالك المتقين، وانتهاج نهج الصالحين من عباد الله الشاكرين، والاستعانة بنعمه تعالى على بلوغ رضاه، واستعمالها فيما يرضيه عزّ وجلّ، وفي حدود ما أباح وشرع، من نفقات مباحة، وأوجه بر وطاعة.

أما حين يستعان بالنعم على معصيته تعالى، ومخالفة شرعه، والتجاوز لحدوده، فذلك دليل كفران النعم، وجحود فضل المنعم، والتنكر للإحسان، مما يستوجب غضب الجبار، وحلول نقمه، وزوال نعمه الحاضرة، ومنع خيراته الوافدة، وذلك مقام العدل حين لا يجدي الفضل كما قال عزّ وجلّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال: ٥٣].

وإن مما يبعث على عظيم الأسى يا عباد الله ما يُرى من مظاهر عدم الشكر لله جلّ وعلا في واقع البعض منا في ضروب من الغفلة عن الله، إما بترك ما افترض سبحانه من فرائض وحقوق، أو باقتراف المعاصي والذنوب، وارتكاب الفواحش والآثام، والمجاهرة بالفسوق والعصيان، والانقياد للأهواء والشهوات، ورفع ألوية الباطل والمنكرات، والإعلان بها والدعوة إليها عبر وسائل مختلفة في كثير من بلاد الإسلام، وما يُرى من مظاهر الإسراف والتبذير في الإنفاق، وصرف الأموال الطائلة فيما حرم الله عزّ وجلّ ونهى عنه، من سبل الغواية والضلالة، أو التوسع في المباحات توسعاً يصل إلى حد الإسراف المذموم، والتبذير المحظور في المآكل والمشارب، وفي المراكب والمساكن، وفي إقامة الولائم والاحتفالات، ولا سيما في مناسبات الزفاف، وما يحصل فيها من إسراف وتبذير يتجاوز الحد المعقول والواجب المشروع، والأسوأ من ذلك ما قد يصاحب تلك المناسبات من معاصٍ ومحرمات، ومجاهرة بالمنكرات، كاختلاط الرجال بالنساء، واستعمال آلات اللهو والباطل، ورفع أصوات المعازف والمزامير، وغير ذلك من منكرات ومخالفات شرعية تصد عن ذكر الله وطاعته، وتستجلب غضبه ومقته، يُنفق فيها أموال طائلة، ويُبذل من أجلها تكاليف مادية باهضة، تبدد مال الأغنياء، وتثقل كاهل الفقراء، وطالما كانت عائقاً لكثير من الشباب عن الإقدام على الزواج، والإحجام عنه، لعسر تكاليفه وأعبائه،

مما أدى إلى حرمان كثير من الفتيات عن حقهن المشروع في الزواج، وعضلهن عن النكاح بالأكفاء، وكم في ذلك يا عباد الله من مفاسد وأضرار على الأفراد والمجتمع حين تفشوا فيه تلك المظاهر المخالفة لهدي الإسلام.

وإن تعاليم الشرع وتوجيهاته لتؤكد على السعي في تيسير أمور النكاح، وتسهيل وسائله، والعمل على تخفيف مؤنته، وعدم المغالاة في المهور، ترغيباً للشباب في الإقبال على النكاح، وتوخِّياً لحصول البركة والتوفيق فيه، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة». رواه الإمام أحمد وغيره.

وروى أهل السنن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لا تغالوا في صداق النساء فإن ذلك لو كان مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان أولاكم به رسول الله ﷺ».

وإن الأخذ بمنهج الوسطية والاعتدال في الإنفاق يا عباد الله، لمن آكد ما شرع الإسلام من تشريعات تحقق المصالح، وتدرأ المفاسد، فهو المسلك الرشيد، والمنهج السديد الذي ينبغي أن ينهجه المسلم في حياته، وفي جميع شؤونه، فلا إسراف ولا تقتير، ولا تبذير ولا تقصير، وإنما وسط بين ذلك، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال جلَّ وعلا في بيان منهج عباده الأبرار في الإنفاق: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقال سبحانه: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: ٣١]، وجاء التوجيه النبوي الكريم بالتأكيد على العمل بذلك المنهج القويم الذي ورد في التنزيل العزيز فقال ﷺ: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير إسراف ولا مَخِيلَة».

ولقد حذر الإسلام من مخالفة هذا المسلك في الإنفاق، وندد بالمخالفين، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

فاتقوا الله عباد الله، واسلكوا مسالك الهدى والرشاد، والتزموا طريق الحق والسداد في كل ما تأتون وتذرون، واحذروا مخالفة ذلك والإعراض عنه، واشكروا

نعم الله عليكم وقيدوها بالطاعة ومجانبة المعصية، واستجيبوا لأمر الرب العظيم، واستمعوا لوعده الكريم إذ يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه سبحانه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله حق تقاته، واشكروه على آلائه ونعمه شكراً يقود إلى الاستقامة على الدين الحق، والسير على نهج الهدى، والمسارعة إلى مغفرة الله ورحمته صدقاً وإخلاصاً، فإن المؤمن حقاً يا عباد الله هو من لا تزيده النعم إلا إقبالاً على الله وتوجهاً إليه، فكلما جدد الحق له نعمة ازداد له عبودية وخضوعاً، وإنابة وخشوعاً، وإن نعم الله عليكم تتجدد كل وقت وحين، فقيدوها بالشكر والإنابة للمولى جل وعلا، ولتحذروا الانقياد للأهواء، والاستسلام للشهوات، وصرف الأموال في المسالك المحرمة، والأوجه المشبوهة، والإسراف والتبذير في شتى ضروبه، ومختلف دروبه، فإن ذلك من ألوان البطر والأشر، وعدم الشكر للمنعم المتفضل.

فإن من شكر الله على نعمة الأموال: أن تبذل في ما أذن به تعالى وشرع في سبيل الخير، وأوجه البر، التي تعود بالنفع العاجل والآجل للمنفق.

وإن من أَجَلِّ ذلك إعانةَ إخوان لكم في أنحاء من المعمورة هم في أمس الحاجة إلى شيء من فضول أموالكم، حيث يعانون قلة في الغذاء، وندرة في الدواء، جراء ما حل بهم من كوارث ومصائب، فأَمِدُّوهم بما تستطيعون،

وأعينوهم بما عليه تقدرون، فإن ذلك من أفضل أنواع البر والطاعة، ومما تقتضيه الأخوة الإيمانية، ومن أسباب دوام الخيرات والنعم لديكم، واندفاع البلاء والنقم عنكم ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٠﴾ [المزمل: ٢٠].

في ذكرى الهجرة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتمَّ علينا النعمة ورضي لنا الإسلام ديناً، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه العظمى وآلائه التي تترى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، نبيه المصطفى، وحبيبه المجتبى، بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى آتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الأكرمين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وتزودوا للقاء ربكم، فإن خير الزاد التقوى واتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون.

عباد الله: في هذه الأيام يستقبل العالمُ الإسلاميُ عاماً هجرياً جديداً، يتجدد لهم فيه ذكرى حدثٍ عظيم من أعظم الحوادث صدى، وأبلغِها أثراً في تاريخ الإسلام، إنه حدث الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة، ذلكم الحدث الذي غَيَّر مجرى التاريخ، ولفت أنظار العالم إلى دين الإسلام، وما جاء به رسول الهدى ﷺ من تعاليم ربانية، وشرائع سماوية، تحمل النور والهداية للبشرية، وتكْفُل السعادة والهناء للإنسانية، ذلكم الحدث العظيم الذي تجلى فيه الصبرُ في أحلى صُوَرِه، والجهادُ والفداءُ في أسمى معانيه، فلم تكن هجرة المصطفى ﷺ هرباً من واقع الظلم والطغيان، فرسول الهدى ﷺ المثل الأعلى للشخصية الفذَّة التي لا تتأثر أمام الخطوب، بل كانت الهجرة من أجل إعلاء الدين، ورفع راية الإسلام خفاقة في أرجاء المعمورة، فهو الدين الحق الذي كتب الله تعالى له الظهور على الدين كله، كما كانت الهجرة لبناء قاعدة للدولة

الإسلامية، ولتنظيم المجتمع المسلم الراشد، والحفاظ على مقومات الشخصية الإسلامية من الضعف أمام سطوة الباطل، والعمل على تطبيق شرع الله وتنفيذ أحكامه لإشاعة الأمن، وضمان الرخاء والاستقرار في الأرض، فلولا الهجرة لم يكن شيء من ذلك، ولم يكن للمسلمين كيان، ولم تقم لهم دولة.

ولقد تضمنت هجرة رسول الهدى ﷺ آيات بينات، ومعجزات خارقات أيَّدَ الحقُّ بها نبيَّه ﷺ، ولتكون عبرة لأمة الإسلام يستلهمون منها الدروس ويأخذون منها الأسوة والقدوة به ﷺ، فيعملون جاهدين في الاستمساك بهذا الدين الحق، والقيامِ بالدعوة إليه، وهدايةِ الناس إليه، ويجاهدون في سبيل رفع رايته، وإعلاء شأنه حتى يرتفعَ صوتُ الحق على الباطل، ويندحرَ الكفر وأهله، ويكون الدين كله لله، ويعبد الحق وحده، دون سواه.

أيها المسلمون: لقد كان من أمر الهجرة النبوية أن الحق سبحانه حينما أنعم على البشرية ببعثة رسول الهدى ﷺ وإنزال الوحي عليه في هذه الرحاب الطاهرة، والمواطنِ المقدَّسة، فقام بالدعوة إلى دين الله، وتبليغ رسالة ربه، حتى يُعبدَ اللهُ وحده، ويُخْلَصَ له الدين، فآمنَ به مَن آمن ممن كتب الله لهم السعادة والتوفيق، وأعرض أكثر الناس عن قبول الحق، وأبوا إلا كفوراً، ووقفوا في وجه الدعوة الإسلامية، محاولين إطفاء نور الله ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢]، وتسلط المشركون على المستضعفين من المؤمنين، فألحقوا بهم أنواعاً من العذاب، وصنوفاً من النكال في محاولات يائسة لصدهم عن الحق الذي جاء به رسول الهدى ﷺ ولقد بلغ الطغيان بالمشركين وتمادى بهم العدوان إلى إلحاق الأذى برسول الهدى ﷺ طمعاً في أن يثني ذلك من عزمه ﷺ عن تبليغ رسالة ربه، حتى إذا ما يئسوا مما أرادوا، وضاقوا بالنبي ﷺ ذرعاً ولم يطيقوا عليه صبراً، ائتمروا وتشاوروا فيما يخلِّصهم من رسول الله ﷺ ويقضي على دعوته، فأجمعوا أمرهم على قتله، فأَطْلع الله تعالى نبيه ﷺ على ما قصدوا إليه وما عزموا عليه، ونزل في ذلك قول الحق سبحانه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]، فحفظ الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ من مكرهم، ونَجَّاه من كيدهم، وأذن له في الهجرة إلى المدينة، فخرج

صلوات الله وسلامه عليه يصحبه أفضلُ هذه الأمة وخيرها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، واختفيا في الغار، فهبَّت قريش في طلبهم، والبحث عنهم، وتعقَّبوا آثارهم، فأعمى الله تعالى أبصارهم وبصائرهم، فلم يهتدوا إليهم.

وفي تلك الحال اشتد خوف الصديق رضي الله عنه، لا على نفسه، بل شفقةً على النبي ﷺ أن يُخْلَص إليه حتى قال للرسول ﷺ: «لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا»، أما النبيُ ﷺ ـ وقد أنزل الله سكينته عليه ـ فقد كان هادىء البال، مطمئن الحال، يُهدِّىء من روع أبي بكر ويطمئنه، ويذكِّره بمعية الله تعالى لهم قائلاً: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما! لا تحزن إن الله معنا)، ثم خرجا من الغار بعد ثلاث ليال، تحوطهم عناية الرحمن، وتكلؤهم معيته وحفظه، وما إن بلغوا مشارف المدينة حتى أشرقت ضياءً وابتهاجاً، وامتلأت قلوب المؤمنين بمقدمه الميمون غبطةً وحبوراً، وفرحاً وسروراً، ولم يُرَ أهلُ المدينة أكثر سروراً، ولا أعظم ابتهاجاً عليهم من ذلك اليوم الذي قَدِم عليهم فيه رسول الله ﷺ.

فلما استقر عليه الصلاة والسلام بالمدينة، واطمأن بها، وأسس بها الدولة الإسلامية، أذن الله تعالى له بجهاد وقتال الأعداء الذين يصدون عن سبيل الحق، ويقفون ضد دعوة الإسلام، ويعادون أهل الإيمان، فأقام ﷺ الجهاد، وجهز الجيوش، وغزا الغزوات، وبعث السرايا، وانطلقت جحافل المؤمنين في أنحاء الأرض تجاهد في سبيل الله مؤيدةً بنصر الله وعونه، وتتابعت الانتصارات الإيمانية، والفتوحات الإسلامية، حتى عَظُم شأن الإسلام، وارتفع صوت الحق، وعلت راية الإيمان، وما هي إلا بضع سنوات حتى عاد ﷺ إلى مكة فاتحاً منتصراً، فدخلها في تواضع وخشوع لله تعالى، حامداً لربه أن حقق له ما وعده من النصر المبين، والتمكين في الأرض، والعودة إلى بلده الذي أُخرج منه، فدخل مكة تحيط به كتائب أهل الإيمان، وهم يهللون ويكبرون، فبدأ ﷺ بالطواف بهذا البيت الحرام، وتحطيم الأصنام، والقضاء على معالم الشرك والوثنية، وهو يردد قول الحق سبحانه: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: ٨١]، ثم دخل ﷺ الكعبة المشرَّفة وصلَّى فيها، وكبر في نواحيها، ثم قام على باب الكعبة خطيباً، يدعو إلى توحيد الله وإخلاص الدين لله، ويعلن البراءة من الجاهلية وعاداتها، ويؤمِّنُ أهلَ مكة

على أنفسهم وأموالهم، ويصفح عنهم قائلاً: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده». ثم قال: «يا معشر قريش إنَّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظُّمَها بالآباء، الناس من آدم وآدمُ من تراب، ثم تلا قول الحق عزّ وجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣]، ثم قال: «يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يوسف: ٩٢]، اذهبوا فأنتم الطلقاء».

فاتقوا الله عباد الله واستلهموا من هجرة المصطفى ﷺ الدروس، وخذوا منها العبر في التمسك بهذا الدين القويم، وتطبيق أحكامه، والعمل على نشره، والدعوة إليه، وبيان محاسنه، والجهاد في سبيله بكل صدق وإخلاص، حتى ترتفع راية الإيمان وتعلو كلمة الحق والعدل مدوية في الآفاق، وتدبروا كيف كانت عاقبة الصبر على طاعة الله، والجهاد في سبيله، فإن العاقبة للمتقين، وإن النصر للمؤمنين ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج: ٤٠].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيماً لشأنه سبحانه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون، اتقوا الله تعالى لعلكم تفلحون، وتذكروا عباد الله أن مرور الليالي والأيام، وتصرم الشهور والأعوام مُؤْذِنٌ بانقضاء الآجال، وتغير الأحوال، وإنَّ في ذلك لعبرة لأولي البصائر والألباب، وإن من الحزم والرشاد أخذَ النفس في سبيل الفلاح والنجاة، ومحاسبتَها على التقصير والإهمال فيما مضى، وتداركَ ما يبقى، فإن الأعمار تطوى، والأجيال تفنى، فكم من مؤمِّلٍ فاته الأمل، وكم من مسوِّفٍ عاجله الأجل، وها أنتم عباد الله قد ودعتم عاماً مضى وانقضى لا يُدرى ما الله صانع فيه، وتستقبلون عاماً أتى لا يُدرى ما الله قاضٍ فيه.

وإنَّ من دلائل الخير وعلامة السعادة للعبد أن يوفق للاستقامة، والسير على درب التقوى، وأن تكون حاله في المستقبل خيراً منها فيما مضى، إقبالاً على طاعة الله، وتقرُّباً إليه، وإكثاراً من صالح الأعمال، وإن مما يشرع من الطاعة وصالح العمل في هذا الشهر الحرام: الإكثار من الصيام، فقد قال عليه الصلاة والسلام في معرض الحث على ذلك: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم». رواه مسلم في صحيحه، وأفضلُ أيامه صوماً وآكدُها استحباباً صوم يوم عاشوراء، فإنه يومٌ نصرَ الله تعالى فيه الحقَّ على الباطل، فنجّى موسى ومن معه من المؤمنين، وأغرق فرعون وملأه، فكان ذلك آيةً للمؤمنين، وعبرةً لكل طاغية يفسد في الأرض، ويصد عن

سواء السبيل، جاء في الحديث عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قدم المدينة، فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما هذا اليوم الذي تصومونه، فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرّق فرعونَ وقومه، فصامه موسى شكراً، فنحن نصومه. فقال رسول الله: فنحن أحق وأولى بموسى منكم، فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه». وقد أبان عليه الصلاة والسلام عن فضل صيامه وثوابه بقوله: «صيام يوم عاشوراء أحتسبُ على الله أن يكَفِّر السنة التي قبله». رواه مسلم في صحيحه. وقد ندب ﷺ من أراد صيامه أن يصوم يوماً قبله، أو بعده، مخالفة لليهود.

فاغتنموا أيها المؤمنون هذا الفضل العظيم، والثواب الجزيل على هذا العمل اليسير، واجتهدوا في صالح الأعمال ابتغاء فضل الله ورحمته، فإنَّ فضله تعالى عظيم وإنَّ رحمته قريب من المحسنين.

حقيقة محبة رسول الله ﷺ

الحمد لله الذي مَنَّ على المؤمنين ﴿ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، أحمده سبحانه وأشكره على آلائه ونعمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، وخِيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الأكرمين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى ربكم حق تقاته، فإن في تقواه العصمة من الضلالة، والسلامة من الغواية، والسعادة في الدنيا والآخرة.

عباد الله: كانت البشرية قبيل البعثة النبوية، لا سيما أمة العرب في جهل عظيم، وضلال مبين، وشقاء مرير، لا دين يوحِّدهم، ولا رابطة تؤلف بينهم، ولا نظام يسوسهم، بل سلطانهم القهر والغلبة، الضعيف فيهم مهان، والقوي بينهم مهاب، قد عمهم الكفر والضلال، فعبدوا الأوثان والأصنام، وسجدوا للأشجار والأحجار، وفشت فيهم الفواحشُ والآثام، وسادهم الظلم والطغيان، حتى إذا ما أذن الله تعالى بانجلاء هذه الظلمة، وكشف هذه الغمة عن البشرية، واشتدت حاجة الإنسانية إلى مصلح عظيم، وهاد بصير، يهديها إلى دين الحق وإلى طريق مستقيم، اختار الحق عزّ وجلّ لها من بين أمة العرب، من قد فضله واصطفاه في الأزل، وجعله من أعلاهم شرفاً، وأعزِّهم نسباً، وأكرمِهم محتداً، وأقدسهم موطناً، من لم تعرف البشرية له مثيلاً، ولم تر الإنسانية له نظيراً، إنه النبيُّ الأعظم، والرسول الأكرم، المفضل على سائر البشر، خصه المولى جلَّ وعلا بخصائص عظمى، ومَيَّزه بشمائل كبرى، أدَّبه ربه فأحسن تأديبه، وأكمل له خَلْقَه وخُلُقَه فكان أحسنَ الناس خَلْقاً وأبهاهم منظراً،

وأفصحَهم لساناً، وأبلغَهم كلاماً، وأرجحهم عقلاً، وأعظمهم خُلُقاً، وأوسعهم حلماً، وأصفاهم طوية وقلباً، وأزكاهم نفساً، وأقواهم إيماناً ويقيناً، أنزل الله تعالى عليه وحيه المبين، وكتابه الكريم، رحمة للعالمين، وهدى للناس أجمعين، أرسله الحقُّ تعالى بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

وكان مبدأُ أمره صلوات الله وسلامه عليه ما أخبر به عن نفسه فيما رواه الإمام أحمد وغيره عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله ما كان بدءُ أول أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى عليهما السلام، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نورٌ أضاءت منه قصورُ الشام». إنه نورُ الوحي المبين، الذي استضاءت منه المشارق والمغارب، فملأ الله تعالى به القلوب إيماناً ويقيناً، وشمل البسيطة رحمة وعدلاً، أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، طَهَّرَ اللهُ به الأخلاق من الرذائل، واستكملت به النفوس الفضائل، استبدل به المؤمنون بعد الشرك إخلاصاً لله وتوحيداً، وبعد الضلالة والعمى بصيرةً وهدى، وبعد الفتن والافتراق أُلفةً واعتصاماً، وبعد القطيعة والعقوق صلةً وبراً، وبعد الظلم والجور عدلاً وإنصافاً ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]. فقام صلوات الله وسلامه عليه بالدعوة إلى دين الله، وتبليغ رسالة ربه خير قيام، لا يرده عن ذلك رادٌّ، ولا يصدُّه عنه صاد، إلى أن أشرقت الدنيا برسالته ضياءً وابتهاجاً، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وسارت دعوته مسير الشمس في الآفاق، وبلغ دينه القيم ما بلغ الليل والنهار.

وأقام الله تعالى به أمةً عادلة رحيمة قوية، أخرجت الناس من الضلالة إلى الهداية، ومن الجهل إلى العلم، ومن الظلم إلى العدل، ومن العبودية إلى الحرية، ومن العداء والبغضاء إلى التآلف والإخاء، ومن القسوة إلى الرحمة، ومن التفاضل إلى المساواة، حتى جعل من الأعراب الجفاة رجالاً طهر الإيمان قلوبهم، وصحح العلمُ عقولهم، وكانوا أمة خير، ومشعل هداية، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون، ثم استأثر الله تعالى به لينجز له ما وعده به من

السعادة والكرامة، بعد أن بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، وأقام الدين، وأرسى قواعد الملة، وأبان أحكام الشريعة، وترك أمته على المَحَجَّةِ البيضاء البيّنة للسالكين، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا من كان من الهالكين.

أيها المسلمون: فضَّل الحق عزّ وجلّ نبيه محمداً ﷺ وشرفه على الخلق كافة أجمعين، فهو سيدُ الأولين والآخرين، وخليلُ رب العالمين، وإمام الأنبياء والمرسلين، افترض الله تعالى على البشر طاعته واتباعه، وأوجب عليهم تعظيمه وتوقيره ومحبته، محبةً تُقَدَّم على محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، إذ لا يتم إيمان العبد، ولا يكمل إسلام المرء إلا بذلك، يقول عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين». رواه البخاري ومسلم.

وحقيقة محبته صلوات الله وسلامه عليه طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، يقول عزّ شأنه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧]، فأمارة محبته صلوات الله وسلامه عليه تعظيمه في النفوس، وإجلاله في القلوب، إجلالاً يظهر أثره في التمسك بسنته، والاهتداء بهديه، مع الإيمان الجازم بأنه رسول رب العالمين، وسيدُ الأولين والآخرين، وإمام المتقين، وأنَّه مع هذا الشرف المنيف، والمقام الرفيع، عبدٌ لله ورسولُه، لا يجوز أن يُصرف له شيء من خصائص الألوهية، كدعائه من دون الله، أو الالتجاء إليه في كشف ضرٍّ، أو جلب نفع، أو سؤاله الحاجات، أو الاستغاثة به من دون الله، أو وصفه بصفات هي من خصائص الرب جلّ وعلا، فإن ذلك كلّه مما ينافي التوحيد لله تعالى، وينافي إخلاص الدين له وحده، كما قال عزّ شأنه: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، وقال عليه الصلاة والسلام في النهي عن الغلو في إطرائه ومدحه: «لا تطروني كما أطْرَتِ النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله». رواه البخاري وغيره.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وحققوا محبة رسول الله ﷺ بالتمسك بسنته، والسيرِ على هديه، فليست محبته ﷺ مجرد دعاوى قولية، أو مشاعر وعواطف نفسية، أو

مظاهر اجتماعية، وإنما هي محبة قلبية خالصة يظهر أثرها، ويتجلى صدقها في موافقة هديه صلوات الله وسلامه عليه، في كل عملٍ من الأعمال التعبدية، وتقديم قوله على قول كل أحد كائناً من كان، فتلكم حقيقة محبته ﷺ، فحققوها أيها المؤمنون تنالوا شرف الدنيا وعزّ الآخرة.

اللَّهم ارزقنا حب نبيك ﷺ، واحشرنا في زمرته، وأسعدنا بشفاعته، بفضلك ومنك يا واسع الفضل والعطاء يا أكرم الأكرمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١].

نفعني الله وإياكم بالذكر الحكيم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله على آلائه، والشكر له على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه سبحانه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى حق تقاته، وراقبوه في أقوالكم وأعمالكم، وتقربوا إليه بما شرع في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وإياكم ومحدثات الأمور، والابتداع في الدين، فقد قال عليه الصلا والسلام: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» رواه البخاري ومسلم.

ألا وإن مما أحدث بعض الناس في هذا الشهر إقامة احتفالات في ذكرى مولد رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه، إظهاراً لمحبته، وتنويهاً بفضله وشرفه، ومن المعلوم أن محبته ﷺ فرضٌ على كل مسلم، بل ولا يتم الإيمان إلا بذلك، وحقيقة محبته العملُ بما يبلِّغ به عن ربه، والاهتداءُ بهديه، والتقيدُ بسنته، وأما التنويه بذكره، وبيان فضله وشرفه، فهو صلوات الله وسلامه عليه في القمة بين الخلائق كلهم في الشرف والفضيلة، وقد رفع الحق عزّ وجلّ ذكره، وأعلا شأنه، وقرن اسمه باسمه فلا يذكر عزّ وجلّ إلا ويذكر معه رسول الهدى ﷺ وذكره يتكرر في كل يوم وليلة في الصلاة والخطب والأذان، غير أن الاحتفال بيوم مولده ﷺ وتعظيم هذا اليوم، واعتقاد فضيلته وشرفه، وتخصيصه بعبادات واجتماعات، تقام فيها الولائم والحفلات كأنه عيد من الأعياد المشروعة، مما لم يرد به الشرع المطهر، فليس في الإسلام سوى عيد الفطر وعيد الأضحى، وإنما أُحدث الاحتفال بيوم مولده ﷺ بعد

مضي القرون المفضلة، المشهود لها بالخير والفضيلة، ولم يؤْثَرْ الاحتفال به عن أحد من الصحابة، ولا التابعين ولا من بعدهم من أئمة الإسلام في القرون المفضَّلة، وهم أعظم محبة وإجلالاً، وأكثر توقيراً واتباعاً للنبي ﷺ، وهم على الخير أحرص، وإلى الفضيلة أسبق، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، ولأرشدوا الأمة إلى فعله واستحبابه مع قيام الداعي وانتفاء المانع.

فاتقوا الله عباد الله، وعليكم باتباع هدي نبيّكم الكريم صلوات الله وسلامه عليه، والسيرِ على نهج السلف الصالح، والرعيل الأول من الصحابة رالتابعين في الحذر من الابتداع في الدين، والإحداث في دين الله بما لم يشرعه.

التربية والتعليم في ضوء تعاليم الإسلام(١)

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، أحمده سبحانه وأشكره، رفع منار العلم، وأشاد بالعلماء والمتعلمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المربِّين، وقدوة العلماء والسالكين، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الهداة المتقين، ومن سار على هديهم، وسلك سبيلهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، فإنها السبيل إلى السعادة في الدنيا، والفلاح والنجاة في الأخرى، بها تُنال الرغائب والعلوم، ويتحقق للمرء كل مطلوب ومأمول، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة: ٢٨٢].

عباد الله: لقد عُني دينُ الإسلام بالتعليم، وأولاه رعاية عظمى، وعناية كبرى، فحث على طلب العلم وإعمال العقل، والبحث والتفكير في كل ميدان من ميادين المعرفة النافعة، وكل مجال من مجالات الحياة المفيدة، لأن العلم قوام الحياة، وأساس النهضات، وعماد الحضارات ووسيلة الرقي والتقدم للأفراد والجماعات، فلا غرو أن يُعنى الإسلام بالعلم ويدعو إليه في كل شأن من شؤون الدين، وكل أمر من أمور الحياة، فلقد كانت المعجزة الخالدة لرسول الهدى ﷺ كتاباً يتلألأ بالعلم الصحيح، والمعرفة الحقة، شاملاً لكل ما يحتاج إليه البشر، وافياً بحاجات بني الإنسان، وهادياً للتي هي أقوم وأصلح في كل شأن من شؤون الدين والحياة ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

---

(١) بمناسبة بدء العام الدراسي.

ولقد بلغ من عناية الإسلام بالعلم أنَّ أول آية نزلت من كتاب الله الكريم كانت في الدعوة إلى العلم، والتنويه بقيمة القراءة والقلم، لأنها سُلَّمُ المعرفة، ووسيلةُ العلم، فقال سبحانه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١ ـ ٥]، كما أقسم الله تعالى بالقلم لما له من عظيم الأثر في محو الأمية، ورفع مستوى العلم والثقافة، فقال عزّ شأنه: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾ [القلم: ١]، وقد كرم الله عزّ وجلّ الإنسان، وميزه على سائر الحيوان بالعلم والمعرفة، وبقدر ما يحمل المرء من العلم يكون فضله، ويعظم قدره، فالعلم هو الذي يسمو بالإنسان، ويعلي شأنه، ويرفع مكانته، وما عزّت أمة من الأمم إلا بالعلم والمعرفة، ولذا تسعى الأمم الناهضة جاهدة في نشر العلوم والمعارف، وفتح أبواب التعليم، والعناية بالتربية والتوجيه منذ مراحل التعليم الأولى كي تحقق ما تصبو إليه من سعادة أبنائها، ورقي شعوبها، وعزِّ بلادها، وتضع مناهج التعليم، وأصول التربية والتوجيه على قواعد وأسس تحقق لها المقاصد التي تتطلع إليها، والغايات التي تنشدها، والأهداف التي تؤملها.

غير أن ما يجب على أمة الإسلام أن تُعنى به العناية العظمى، وأن توليه الاهتمام الأكبر في هذا السبيل أن تؤسس مناهج التعليم، وبرامج التربية والتوجيه، وفق أصول الدين، وتعاليم الشرع المبين، وأن يُعنى المصلحون من رجال التربية ومسؤولي التعليم في بلاد الإسلام برسم خطط التعليم ومناهجه على اختلاف التخصصات العلمية، وشتى فروع المعرفة على هدي من تعاليم الإسلام النقية من الشوائب، والسليمة من الدواخل، كي تظل أمةُ الإسلام محافظة على كيانها، مستمسكة بدينها، فيُرَبَّى أبناء الإسلام، وتُنَشَّأ ناشئتُهُم في ظلال تعاليم الإسلام المباركة، حتى يكونوا ورثةً صالحين للإسلام، وأمناء قادرين على تبليغ رسالته ونشر تعاليمه، والذود عن حياضه، غير متأثرين بالأفكار الدخيلة، والمبادىء المنحرفة، والاتجاهات المضللة، التي طالما عصفت بكثير من أبناء المسلمين حتى أضلتهم عن سواء السبيل.

ولقد كان من أكبر عوامل ذلك وأسبابه: ضعف التعليم الديني، والتوجيهِ الإسلامي في كثير من مراحل التعليم في بعض بلاد الإسلام، وانسياقُها وراء التقليد

لمناهج تعليمية، ومبادىء تربوية مناهضة لهدى القرآن وتعاليم الإسلام، حتى نشأ من بني الإسلام أجيالٌ كثيرة جهلت أصول الدين وحقيقة الإسلام.

وإن الواجب الإسلامي ليحتم على رجال التربية والتعليم في بلاد الإسلام أن يُعنوا باستصلاح مناهج التربية والتعليم حتى تكون موافقة لهدي القرآن، ومستوحاة من شريعة الإسلام، وأن يغرسوا في نفوس الناشئة منذ مراحل التعليم الأولى أصول الدين، وقواعد الإسلام، وأن يربوهم على التخلق بأخلاقه المثلى، والتحلي بآدابه العليا، فإن التعليم ليس مجرد علوم ومعارف تشحن بها الأذهان، وإنما هو تربية صالحة على مبادىء الدين الحنيف، وتنشئة على مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، إلى جانب علوم ومعارف دينية ودنيوية تحقق الخير والنفع للعباد والبلاد في شتى مناحي الحياة، فإنه لا خير في تربية لا تثمر عملاً صالحاً، ولا جدوى من علم لم يُكْسَ بخلق كريم، وأدب رفيع، ولا فائدة من علوم تشكك في الصحيح من المعتقدات الدينية الراسخة.

عباد الله: إنه لن يتحقق لأمة الإسلام المقاصد المنشودة، والأهداف المأمولة من التربية، والتعليم، مهما كانت عليه مناهجها الدراسية، وبرامجها التعليمية من خير عظيم، وما تشتمل عليه من نفع كبير إلا في ظل معلمين ومعلمات مخلصين ناصحين، يستشعرون عظم المسؤولية. فيسعون جاهدين في سبيل حمل هذه الرسالة، والقيام بأداء الأمانة بكل صدق وإخلاص، وجِدٍّ ونشاط، يُعنون بإيضاح المادة العلمية للدارسين، ويتحلون بالصبر على التعليم والتفهيم، ويشجعون النابهين والمتميزين، ويتحرون العدل والمساواة بين المتعلمين، مع اتصاف بالصلاح والتقوى، واستقامة على نهج الهدى ظاهراً وباطناً، وتحَلٍّ بمكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، ورفق ولين، وحسن سمت ووقار، وتواضع وخفض جناح للمتعلمين.

وإنه ليتأكد الاتصاف بذلك في حق معلمي العلوم الشرعية، وأساتذة التربية الإسلامية، لأنهم حملة الرسالة الإلهية، والمبلغون للشريعة المحمدية، فحري بهم أن يكونوا خير قدوة للأجيال الناشئة، فإن للمعلم الأثر الأكبر في نفوس المتعلمين، والتأثر بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ولا سيما في مراحل التعليم الأولى، فليتذكر

المعلمون والمعلمات عظم الأمانة، وأهمية المسؤولية، وليؤدوها على الوجه الأكمل نصحاً للأمة وإبراء للذمة، وأملاً في إحراز فضل نشر العلم ونفع الخلق فقد قال عليه الصلاة والسلام في بيان فضل ذلك وعظيم جزائه: «إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير». رواه الترمذي وغيره بإسناد صحيح.

وإن على المتعلمين والدارسين أن يلتزموا بتعاليم الدين الحنيف، ويتأدبوا بآداب الشرع القويم، وأن يقبلوا على الدراسة والتحصيل منذ بدء العام الدراسي بهمم عالية، ونفوس سامية تحمل على الجد والاجتهاد، وتتوق للمزيد من العلم والمعرفة أملاً في تحقيق غدٍ مشرق، ومستقبل زاهر يعود بالخير لأنفسهم، والنفع لأمتهم، وأن يقدروا ما يُبذل في سبيل تعليمهم، وما يهيىء لهم من إمكانات وقدرات بشرية ومادية كبرى، ولا سيما في هذه البلاد المباركة التي رعت العلم رعاية جُلّى، وبنته على أسس من أصول الدين وعقائده الصحيحة وتشريعاته السامية.

وإن مما يُلْفَتُ إليه أنظارُ المتعلمين الاعتناءَ بتوقير المعلمين، وإجلالهم، والتأدب معهم، لما لهم من فضل التعليم والتوجيه، فقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلموا العلم، وتعلمو للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، وليتواضع لكم من تعلّمونه».

فاتقوا الله عباد الله، واتقوا الله يا رجال التربية والتعليم في الأخذ بالناشئة إلى أنواع العلوم والمعارف التي تقود إلى سبيل الخير والفلاح، وطريق السداد والصلاح، وليكن هدفكم من العلم والتعليم التمسك بأهداب الدين القويم وتحقيق النفع للعباد، ورفع منار البلاد، وإعلاء شأن أمة الإسلام.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، نبيه المصطفى، وخليله المجتبى، صلّى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه البررة الأتقياء، والسادة الحنفاء، ومن سار على هديهم واقتفى.

أما بعد: فيا عباد الله: إن الأجيال الناشئة هم ثروة الأمة الحقيقية، وأملها المشرق بإذن الله، فمتى وُجِّهوا نحو التعاليم النافعة، وحُصِّنوا بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، ورُبُّوا على التربية الدينية القويمة، ونُشِّؤوا على الجد والاجتهاد في تحصيل العلوم والمعارف، فلسوف تتحقق لهم وللبلاد ما يُؤَمَّل من تقدم ورقي، وما يُتَطلع إليه من رفعة وسيادة، غير أن ذلك لا يتم إلا في ظل تربية أسرية صالحة، توافق مناهج التربية، وأصول التعليم الصحيحة، وأن يواكب ذلك توجه إعلامي سليم، لا يتنافى مع ما يتلقاه المتعلمون من التربية والعلوم.

أما حين تختل هذه الموازين، وتتباين اتجاهاتها، ويحصل الإخلال بهذه المسؤوليات من قبل من وُكِّل إليهم رعايتها والحفاظ عليها، فلن يتحقق ما يؤمل من ثمار العلم وأهدافه، بل ويكون لذلك نتائج سلبية عظمى على العباد والبلاد.

فاتقوا الله أيها المسلمون واتقوا الله تعالى يا رجال التربية والتعليم وأرباب الفكر، ومسؤولي الإعلام في بلاد الإسلام، وتذكروا أنه متى حُفظت معاقلُ العلم، وحصونُ التعليم، ومراكزُ الإعلام والتوجيه في بلاد الإسلام، وأحيطت بسياج الدين المتين، وربطت برباط العقيدة الوثيق، فلسوف يعلو صوت الحق على الباطل، وترتفع راية الإسلام خفاقة في الآفاق، ويتحقق لأهل الإسلام العز والتمكين، والنصر المبين ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج: ٤٠].

قيمة الوقت في حياة المسلم(١)

الحمد لله ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٢]، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه العظمى، وآلائه التي تترى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلي الأعلى، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، نبيه المجتبى، وخليله المصطفى، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأتقياء، والسادة الحنفاء، ومن سار على هديهم واقتفى.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى ربكم حق التقوى، فإنها أساس صلاح الأعمال، وعنوان زكاء النفوس، وطهارة القلوب، وهي السبيل إلى السعادة في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

عباد الله: من دلائل سعادة المرء، وأمارة توفيقه، أن يُلهم الإنابة إلى الله وطاعته، واغتنامَ الأوقات فيما يدنيه من ربه ومرضاته، فلا تمر عليه ساعةٌ من ساعات الزمن، ولا لحظةٌ من لحظات العمر دون أن يحقق فيها عملاً صالحاً يقرِّبه من ربه، أو يقدِّم عملاً نافعاً لمجتمعه وأمته، يرجو ثوابه ويؤمِّلُ جزاءه، إدراكاً منه لقيمة الوقت، ومعرفةً لقدره، واعتناءً بشأنه، ذلكم أن الوقت يا عباد الله أولى ما عُني به المرء، وآكد ما يهتم به، لأنه أنفس ما يُملك من الثروات، لا يقدر بحساب ولا ثمن، وهو يمر مر السحاب، ويجري جري الرياح، وما مضى منه لا يعوَّضُ ولا يعود، وما ذهب منه لا يرجع ولا يؤوب، فمن الحزم والرشاد أن يغالي المسلم به مغالاة شديدة، وأن يحرص على اغتنامه بكل نافع ومفيد حرصاً لا حدود له، وأن يكون على حذر من أن يَضِيعَ عليه شيء من الأوقات دون أن يستغلها بما ينفعه في أمر دين أو

(١) بمناسبة بدء الإجازة الصيفية.

دنيا، فإن الوقت عُمر الإنسان، فإذا سمح بضياعه وترك العوادي تنهبه، فقد خاب سعيه وفسد أملُه وخسر حياتَه، يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسُه نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي». وقال بعض الحكماء: «من أمضى يوماً من عمره في غير حقٍ قضاه، أو فرضٍ أداه، أو مجدٍ أثَّله أو حمدٍ حصَّله، أو خير أسَّسَه، أو علمٍ اقتبسَه، فقد عَقَّ يومَه وظلم نفسَه». وقال الإمام الحسن البصري رحمه الله: «ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني، فإني إذا مضيتُ لا أعود إلى يوم القيامة».

عباد الله: لقد عُني الإسلام بالوقت عنايةً عظمى، واهتم به اهتماماً بالغاً، فقد أقسم الحَقُّ سبحانه وتعالى في مطالع سور متعددة من كتابه الكريم بأجزاء معينة منه، فأقسم بالليل والنهار والفجر والضحى والعصر والصبح، وحينما يقسم الحقُّ عزّ وجلّ بشيء من مخلوقاته، فذلك دليلُ العناية والاهتمام، وللتنبيهِ ولفت الأنظار إلى أهمية المقسَم به، وللحث على العناية به، وإدراكِ جليل منافعه، وعظيم آثاره.

وجاءت السنّة النبوية تؤكد ما أشار إليه القرآن الكريم من قيمة الوقت في حياة الإنسان، وتقرر مسؤوليته عنه أمام الحق عزّ وجلّ يوم القيامة، فروى الترمذي والطبراني واللفظ له عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: لا تزولُ قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه وعن عِلْمِه ماذا عمل به».

وقد سار السلف الصالح من هذه الأمة وفق هذا التوجيه الإسلامي الرشيد في العناية بالوقت، والاهتمام به، وضربوا أروع الأمثلة في المحافظة على الأوقات، والاستفادة من كل لحظة من اللحظات، ومن مأثور القول عنهم: «الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك»، وإيماناً منهم بهذا المثل المطابق لتوجيه الإسلام كان لا يضيع عليهم شيء من أوقاتهم، حتى قال الإمام الحسن البصري في وصف حرصهم على الأوقات: «أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشدَّ منكم حرصاً على دراهِمكُم ودنانيرِكُم».

كان أولئك السلف يحرصون غاية الحرص أن لا تمر عليهم برهة من الزمن وإن قَصُرت دون أن يتزودوا فيها من الخير، إما بعلمٍ نافع أو عملٍ صالح، أو إسداء نفع للمجتمع، أو عمل بنّاء يفيد الأمة، وكان ثمرةُ ذلك الحرص، ونتيجة تلك العناية بالوقت ما خلّفوه من علوم نافعة، وأعمالٍ صالحة باقية، وفتوحاتٍ إسلامية واسعة، وحضارةٍ إنسانية زاهيةٍ راسخةِ الجذور، باسقةِ الفروع، شاهدةٍ لهم بقوة العزائم وعلو الهمم.

وما ذاك إلا بفضل الإخلاص لله تعالى والصدق معه، والعنايةِ بالأوقات، والاستفادة من أيام العمر، حتى حققوا ذلك النفع العظيم لأنفسهم وأمتهم.

أيها المسلمون: إن من عظيم الأسى أن يغفل كثيرٌ من الناس عن إدراك قيمة الوقت وأهميته في حياتهم، وهو أغلى ما يملكون، وأنفسَ ما به ينتفعون، فيصرفون كثيراً من الأوقات دون مبالاة، ومن غير اكتراث فيما لا يعود عليهم بمصلحة أو منفعة في أمر دين أو دنيا، يهدرون أوقاتاً كثيرة في مجالس القيل والقال، والثرثرة واللغو واللهو واللغط، مع ما تشتمل عليه تلك المجالس غالباً من كبائر الإثم، من غيبة ونميمة، وسخرية واستهزاء، وهمز ولمز لعباد الله، وانشغال بما لا يهم ولا يعني من الأمور، وفي الأثر: «إذا سقط العبد من عين الله أشغله بما لا يعنيه»، أَنَسِيَ أولئك أو تناسوا ما يجره ذلك عليهم من وبال، وما يورثه من حسرة وعقاب، وإن في اتساع فراغ هؤلاء وبالاً عليهم، ومضاعفةً لأوزارهم، وضرراً على مجتمعهم، والأسوأُ من ذلك أن يَصرف البعض أوقاتهم فيما يعود عليهم بالضرر المحض في الدين والدنيا، في مظاهر مختلفة، وصورٍ متنوعة من ضياع الأوقات بين الناس، لا سيما في صفوف الشباب، في ضروب من الغفلة واللهو واللعب بالباطل، من قمار ونحوه مما يصُدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة، ومن مطالعات مختلفة، ومشاهدات متنوعة تجلب سخط الجبار جلّ وعلا، ولا يرتضيها ذو دين متين، أو عقل رشيد، أو فطرة سليمة، حيث يمضون الأوقات الكثيرة، ويقضون الساعات المتتالية في ذلك اللهو الباطل، أو تلك المشاهدات المحرمة، التي تورث ضعفاً في الديانة، وفساداً في الذمم، وتحللاً من المروءة والفضيلة، ولو لم يكن في ذلك من المفاسد والأضرار إلا ضياعَ الأوقات هدراً، وذهابَ الزمان سُداً لكفى به غبناً فاحشاً، فكيف والحال أنها تورث مفاسد

عظيمة، وتخلِّف آثاراً سيئة على الفرد والجماعة.

إنَّ على الآباء والأمهات بما حُمِّلوا من مسؤولية العناية بالأبناء، وتربيتهم على أخلاق الإسلام وآدابه، أن يتقوا الله تعالى في فلذات الأكباد، وأن يُعنَوا بتوجيههم إلى استغلال الأوقات بما يعود بالخير والصلاح لهم، والنفع لمجتمعهم، وأن يحولوا بينهم وبين ما حرم الله عليهم مما يكون سبباً في ضعف الدين وفساد الأخلاق.

وإن المسؤولية الكبرى لتقع على عاتق مسؤولي الإعلام في بلاد الإسلام، فليتقوا الله تعالى فيما يقدمون لأمة الإسلام عبر وسائل الإعلام المختلفة، وليحفظوا لها وللأجيال الناشئة الأوقاتَ فيما يعود بالخير والفائدة، وما ينفع في العاجل والآجل، وأن لا يقدِّموا للأمة إلا ما يتفق مع تعاليم الدين القويم، ومما لا يتنافى مع آداب الإسلام المثلى، وأخلاقه العليا من علوم دينية، ومعارف دنيوية هادفة بناءة، تفيد الفرد وتنفع الأمة.

عباد الله: ومن مظاهر ضياع الأوقات في واقع الناس أن يستغل البعض أوقات الفراغ لا سيما الإجازة الصيفية في السفر إلى بعض البلاد الكافرة، وارتياد الأماكن المشبوهة فيها، والانسياق وراء تقاليد تلك المجتمعات وعاداتهم في التحلل من الفضيلة والمروءة ومكارم الأخلاق، رغم ما في السفر في حد ذاته إلى تلك البلاد من غير حاجة ماسة من محذور شرعي، ولذا فكم حصل من جرّاء سفر البعض إلى تلك البلاد الكافرة من أضرار عظمى، ومفاسد كبرى على بلاد الإسلام وأهل الإسلام.

ألا فاتقوا الله عباد الله ولتحفظوا أوقاتكم فيما يرضي ربكم جلّ وعلا، ولتغتنموا أيام العمر بجلائل الأعمال، ولتصرفوا الزمن في أفعال الخير، وشريف الخصال، وليكن شعاركم على الدوام ما روي عن رسول الهدى ﷺ من توجيه عظيم، ونصح بليغ بقوله: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابَك قبل هرمك، وصحتَك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغَك قبل شغلك، وحياتَك قبل موتك». رواه النسائي وغيره.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا

أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢ ـ ١١٥].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله حق تقاته، ولتستعملوا أوقاتكم، ولتصرفوا أيام حياتكم فيما يرضي الحق، وينفع الخلق، فإن المرء إذا لم ينتفع بوقته خير انتفاع، ولم يعط لكل وقت حقه، ولكل حق وقته، ولم يكن في كل يوم في تقدم مستمر بفضل عنايته بالوقت، فإنه يصبح في تأخر مطَّرِد، يهوي به إلى الهاوية، فإن الإنسان في هذه الحياة سائر لا واقف، وما أيام العمر إلا مراحل تُطوى طَيّاً، فمسرع ومبطىء، ومتقدم ومتأخر، وإنما يختلف الناس في جهة المسير، فمن لم يتقدم إلى الجنة بالأعمال الصالحة، تأخر إلى النار بالأعمال السيئة، إذ لا تزال للإنسان في نهاية المطاف سواهما، ولا طريق يؤدي إلى غيرهما ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر: ٣٧]. فالسعيد من اغتنم أيام العمر فيما يوصله إلى طريق الحق، ويهديه إلى سبيل الفلاح والنجاة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الزمر: ٥٤ ـ ٥٧].

ذكرى الإسراء والمعراج

الحمد لله الذي أكملَ لنا الدين، وأتمَّ علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، أحمده سبحانه وأشكره على آلائه ونعمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، وأمينه على وحيه، وخِيرته من خلقه، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى ربكم لعلكم تفلحون، واشكروه سبحانه أن هداكم للإيمان، وشرَّفكم باتباع سيد الأنام، ورسول السلام، المبعوث رحمة للعالمين، وهدى للناس أجمعين، أرسله الله عزّ وجلّ بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أرسله على فترة من الرسل، وانقطاع من الوحي، فهدى به من بعد الضلالة، وبصَّر به من العمى، وفتح به قلوباً غلفاً، وآذاناً صمّاً، وعيوناً عُمياً، وأيَّده الحقُّ سبحانه ونصره، حتى أكمل الدين وأتم النعمة، وأقام به الحجةَ على الخلق أجمعين، فسعدت بذلك البشرية بعد شقائها، وأشرقت الدنيا برسالته ضياءً وابتهاجاً، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

وكان من تأكيد الحق سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ ونصره إياه، ما آتاه من الآيات البينات، والمعجزات الباهرات، الدالة على صدق نبوته، وعظيم منزلته عند ربه.

وإن من أعظم تلك الآيات، وأكبر تلك المعجزات التي خُصَّ بها المصطفى ﷺ دون غيره من الأنبياء إظهاراً لشرفه، وإعلاءً لقدره ومكانته، مُعجزة الإسراء والمعراج، تلك الخارقة العظمى، والمعجزة الكبرى في تاريخ البشرية، فلقد أُسري به ﷺ ليلاً من هذا المكان المبارك من بيت الله الحرام، بصحبة أمين الوحي جبريل عليه السلام، راكبين على البُراق إلى المسجد الأقصى المبارك، فحين وصلا إليه صلّى رسول الله ﷺ فيه بالأنبياء إماماً إظهاراً لشرفه وفضله عليهم، ثم عُرِج به إلى

السماء، يستفتح له جبريلُ كلَّ سماء، فيرحِّبُ به ملائكتُها، ويَلقى في كل سماءٍ بعضاً من الأنبياء عليهم السلام فيسلِّمُ عليهم، ويردون عليه السلام ويُقرُّون بنبوته، حتى وصل إلى السماء السابعة، وهناك التقى أباه إبراهيم خليل الرحمن فسلم صلوات الله وسلامه عليه على أبيه، فرد عليه السلام وأقرَّ بنبوته، وقال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم رُفع إلى سدرة المنتهى، فغشيها من أمر الله ما غشيها من صنوف الألوان التي لا يستطيع أحد أن يصف ما فيها من الحسن والجمال، ثم رفع له البيتُ المعمور، وأخبره جبريل أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، من دخله منهم مرَّة لا يعود إليه أخرى.

ورأى ﷺ الجنَّة والنار، فرأى في الجنة من النعيم العظيم ما لا عين رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطَر على قلب بشر، ورأى النار وما فيها من العذاب المهين الذي تشيب منه الولدان، وتقشعر لهوله الأبدان.

ثم إن الله عزّ وجلّ أوحى لنبيه ﷺ ما أوحى، وكلَّمه سبحانه بما شاء، وفرض عليه كل يوم وليلة خمسين صلاة، فسأل ﷺ ربَّه التخفيف عن أمته، حتى جعلها الحقُّ سبحانه خمسَ صلوات، وأبقى أجر الخمسين وثوابَها، ونادى منادٍ، «قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي».

وأطْلع الحقُّ سبحانه نبيه ﷺ وأراه بعض آياته الدالة على بالغ قدرته، وإحاطة علمه، وعظيم ملكوته، كما قال عزّ شأنه: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨ ﴾ [النجم: ٨ ـ ١٨].

ثم نزل ﷺ إلى بيت المقدس، ثم عاد إلى مكة في ليلته، فلما أصبح أخبر قومه بما أجرى الله له من هذه المعجزة العظمى، وما رأى من الآيات الكبرى، فما ترون ردود الفعل عند الناس حينئذٍ مسلِمهم وكافرهم؟ فلقد أخبرهم ﷺ بما لا تحتمله العقول، ولا تكاد تصدق به القلوب، إلا من شرح الله صدره للإسلام، وأنار قلبه بنور الإيمان، كأبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإنه حينما أُخبر بقول النبي ﷺ قال قولته

المشهورة: «إن كان رسول الله ﷺ قد قاله فقد صدق، وإنا لنُصَدِّقُه فيما هو أبعد من هذا، إنا لنصدقه بخبر السماء». فمن يومئذٍ سمي رضي الله عنه بالصديق.

أما المشركون، فقد بالغوا في تكذيب النبي ﷺ لما سمعوا منه ما سمعوا، واشتدت ضراوتهم عليه وسخريتهم منه، حتى قال أبو جهل لعنه الله: «ألا تعجبون مما قال محمد: يزعم أنه أتى البارحة بيت المقدس، ثم أصبح فينا، وأحدُنا يضرب إليه مطيته شهراً ذهاباً، وشهراً إياباً!».

ثم سأل المشركون رسول الله ﷺ سؤال تعنت واستهزاء، أن يصف لهم بيت المقدس، ليبرهن لهم على صدق مقولته، لعلمهم أنه لم يسبق له أن رأى بيت المقدس.

فجلَّى الحق سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ بيت المقدس، وهو جالسٌ في الحِجر حتى عاينه، وأخذ يخبرهم عن أوصافه، والقومُ مندهشون لا يجدون جواباً، ولا يستطيعون أن يردوا عليه مقالاً، حتى قال بعضهم: «أما النعت فوالله لقد أصاب فيه».

كما أخبرهم عليه الصلاة والسلام عن عير لهم رآها في مسراه ورجوعه، ووصفها لهم، وأخبرهم عن وقت قدومها إلى مكة، وكان الأمر كما أخبر به صلوات الله وسلامه عليه، فسُرَّ بذلك المؤمنون، وازدادوا به إيماناً ويقيناً، وثباتاً وتصديقاً.

أما المشركون فلم يزدهم ذلك إلا عتواً ونفوراً، وأبى الظالمون إلا كفوراً ﴿ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١].

عباد الله: هذا بعض ما جاء به الخبر، وصح به الأثرُ عن رسول الله ﷺ من أمر الإسراء والمعراج، فيه عبرةٌ للمؤمنين، وتبصرة للمتقين، وذكرى للغافلين.

وإنه لحريٌّ بكل مسلم، وبأمة الإسلام جمعاء أن تستلهم من هذه الآية العظمى، والمعجزة الكبرى دروساً وعبراً، تحمل على التمسك بأهداب الدين القويم، والسيرِ على هدي النبي الكريم، والعملِ على رفع راية الإسلام، وإعلاءِ شأنه، والصبرِ والتضحيةِ في سبيل ذلك، فإنه لا سعادة لأمة الإسلام، ولا عزَّ ولا تمكين لها في الأرض إلا في ظل الإسلام والتمسك بمبادئه الحقَّة، فهل ندرك أيها المسلمون حقيقة ما يجب علينا نحو ديننا الحنيف، وأمَّتِنا الإسلامية المستضعفة

اليوم، فيؤدي كلٌ ما يجب عليه نحو دينه، إعلاءً لشأنه ورفعاً لمناره، ومناصرةً لإخوانه المسلمين في شتى بقاع الأرض، حتى يعلو صوت الحق على الباطل، وينحدرَ الظلمُ وأهلُه، إن ذلك لحقٌ على أمة الإسلام على مستوى الأفراد والشعوب والحكومات، كلٌ على قدر الطاقة منه والاستطاعة ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه العظمى وآلائه التي تترى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، نبيه المصطفى، وحبيبه المجتبى، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى، وبدور الدجى، ومن سار على هديهم واقتفى.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى حق تقاته، واعملوا جاهدين في التمسك بدينكم والاهتداءِ بهدي نبيكم ﷺ، والسير على ما كان عليه سلف هذه الأمة وخيارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الإسلام المتبوعين في التمسك بالسنة والحذر من البدعة.

ألا وإن مما أحدثه بعض الناس في هذا الشهر: الاحتفاءَ بليلة سبع وعشرين منه، وإحيائها بعبادات معينة وتخصيصها بأنواع من الأذكار والطاعات اعتقاداً أن لتلك الليلة فضيلةً وشرفاً، وكل ذلك يا عباد الله مما أُحدث في الدين، ومما ليس له في الشرع أصلٌ صحيح، كما نبه على ذلك العلماء المحققون، فقد قال الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله: «لم يرد في فضل شهر رجب، ولا في صيامه ولا في صيام شيء منه معين، ولا في قيام ليلة مخصوصة حديث صحيح يصلح للحجة». وقال رحمه الله: «وقد سبقني إلى الجزم بذلك الإمامُ أبو إسماعيل الهرويُّ الحافظ، وكذلك رويناه عن غيره».

كما أنه لم يتفق أهلُ العلم على تعيين الشهر الذي وقع فيه الإسراء والمعراج تبعاً لاختلاف الروايات في ذلك، فقد جاء في بعض الروايات أنه كان في شهر ربيع

الأول أو الثاني، وفي بعضها أنه كان في رجب، وفي أخرى أنه في رمضان، وفي غيرها أنه كان في شوال، فلم يُتّفق على تعيين الشهر فضلاً عن تعيين الليلة التي كان فيها الإسراء والمعراج، ولو صحَّ معرفة ذلك لما أوجب تعظيمَها، والاحتفاءَ بها، وتخصيصهَا بأنواع من العبادة والطاعة إلا بدليل من الشارع، ولم يرد عن النبي ﷺ تخصيصُها بشيء من ذلك، ولا عن خلفائه الراشدين، ولا عن غيرهم من الصحابة الأكرمين، ولا عن أهل القرون المفضلة، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، فهم على الخير أحرص، وإلى الفضيلة أسبق.

فاتقوا الله عباد الله، وعليكم بلزوم السنة، واتباع الحق، والإعراض عما سواه، وإنْ تناقلته بعض الكتب واستحسنه بعضُ أهل العلم، لأن أمور العبادة توقيفية عن الله ورسوله ﷺ لا مجال فيها للرأي، ولا مدخل فيها للاستحسان، بل لا بدَّ فيها من القدوة والأسوة بالمعصوم ﷺ، وقد قال عزَّ وجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

أداء الزكاة

الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علماً، ووسع عباده رحمة وفضلاً، أحمده سبحانه وأشكره، أعطى فأغنى، وله الفضل في الآخرة والأولى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، نبيه المصطفى، وحبيبه المجتبى، صلّى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه البررة الأتقياء، والسادة الحنفاء، ومن سار على هديهم واقتفى.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى حق تقاته، واشكروه على نعمه وآلائه، واغتنموا هذه الأيام المباركة، والمواسم المشرفة بما يقربكم إلى الله، ويبلغكم رضاه، فإن هذه الأيام من أعظم مواسم الخيرات الربانية، والنفحات الإلهية التي يفيض فيها المولى على عباده من واسع فضله وإحسانه، وسابغِ جوده وإنعامه، فتعرضوا لنفحات ربكم فيما بقي من أيام هذا الشهر المبارك ولا سيما أيام العشر الأخيرة منه، فإنها أفضل أيام الشهر الكريم، ولياليها أعظم ليالي العام فضلاً، وأرفعها قدراً، وقد كان رسول الهدى ﷺ يجتهد في العبادة في رمضان ما لا يجتهد في غيره، ويجتهد في العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيرها، فكان إذا دخل العشر شد مئزره وأيقظ أهله، وأحيا ليله، ولازم معتكفه، فلتغتنموا أيها المؤمنون هذه المواسم المفضلة بما يقربكم إلى الله والدار الآخرة، لا سيما وأنتم في هذا البلد الحرام الذي فضله الله وشرفه، وجعل للعبادة فيه مزية وفضلاً، فقد اجتمع لكم هنا أيها المؤمنون شرف الزمان وفضيلة المكان، فلتشكروا الله على ذلك، ولتقبلوا على ربكم بالطاعة والإنابة، والاستزادة من الأعمال الصالحة من صلاة وطواف، وتلاوة للقرآن، وكثرة التوبة والاستغفار، والتذلل بين يدي الله عزّ وجلّ، فإنه لحري بمن

أقبل على ربه بنية صادقة وقلب خاشع منيب أن يحظى بالثواب العظيم من الرب الكريم، فإن فضله تعالى واسع، وإن رحمته قريب من المحسنين.

عباد الله: لقد جاءت شريعة الإسلام المباركة بأفضل الشرائع، وأعظم الفرائض التي تحقق للبشرية الخير والرخاء، وتكفل لهم السعادة والهناء، وتبعث فيهم روحَ المودة والإخاء.

وإن في طليعة تلك الفرائض قدراً، وأعمها نفعاً على الفرد والمجتمع فريضة الزكاة.

فقد فرضها الإسلام وأولاها عناية عظمى، وأحلها مكانة كبرى، حيث جعلها الركن الثالث من أركان الدين، وقرنها بالصلاة التي هي عماد الدين، فالصلاة والزكاة ركنان عظيمان، ودعامتان متينتان وقرينتان متلازمتان، لا تنفك إحداهما عن الأخرى كما قال سبحانه: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة».

لقد فرض الإسلام الزكاة على الموسرين من المسلمين، لمصالح كثيرة ومنافع عظيمة، فهي سبب لزكاء النفوس، وطهارة القلوب، وصلاح الأعمال كما قال عزّ وجلّ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، إنها سبب لحصول البركة والنماء في الأموال، وحفظها على أصحابها من التلف والآفات، فقد روي في الحديث: «ما تلف مال في برٍّ ولا بحر إلا بحبس الزكاة».

وفي الزكاة يا عباد الله أعظم مظهر من مظاهر التكافل الاجتماعي بين المسلمين، لا نظير له في أي مجتمع بشري، فمن الزكاة تدفع المغارم، ويعان المسافرون والمنقطعون، وتسد حاجات الفقراء والمساكين، ويجهز الغزاة المجاهدون، ويُتألف بها القلوب، وهي من أقوى العوامل في تحقيق الوحدة بين المسلمين، وحصول الأُلفة والمودة بين المؤمنين، ولذا فحينما طُبقت هذه الفريضة على الوجه المشروع مع غيرها من سائر أحكام الشرع المبين في العصور الإسلامية الزاهية، ساد تلك العصور مشاعر المودة والإخاء، وعمَّ فيها الخير والرخاء، وشمل

ربوع الدولة الإسلامية آنذاك تكافل اجتماعي، وعدالة إسلامية واضحة المعالم، حتى بلغ الحال في بعض تلك العصور المباركة أن أرباب الأموال لا يكادون يجدون مستحقاً للزكاة، لاستغناء الناس وكفايتهم، وكان من أكبر أسباب ذلك إخراج الزكاة وصرفها في مصارفها الشرعية كما فرضها الشارع سبحانه.

أترون يا عباد الله لو أن كل من وجبت عليه الزكاة أداها لمستحقيها، ووضعها في مواضعها الشرعية كاملة غير منقوصة، أيبقى في المجتمع الإسلامي مظاهر فقر ومسكنة، مع ما يرى من ثروات طائلة في بلاد الإسلام، وفي أيدي الأثرياء من المسلمين.

ألا فلتتقوا الله عباد الله، وليؤد أربابُ الأموال ما أوجب الله تعالى في أموالهم من زكاة عن طيب نفس، ودون منّ ولا أذى، ومن غير استكبار ولا استعلاء، ولا سمعة ولا رياء، بل تؤدى بنية خالصة طاعة لله وابتغاء فضله ورحمته، فهو سبحانه المنعم المتفضل، أعطى الكثير، وفرض إخراج اليسير، ووعد على إنفاقه المضاعفة في الدنيا، والأجر الوافر في الأخرى يقول عزّ شأنه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢)﴾ [البقرة: ٢٦١، ٢٦٢].

أيها المسلمون: كيف يَمنعُ هذا الحق في الأموال، ويُهْمِلُ هذا الركن العظيم من أركان الإسلام، من آتاه الله سعة في الرزق، ووفرة في النعيم!، يعيش فيه لنفسه وحده، دون أن يشعر بحال إخوان له في الإسلام، لهم في ماله حق مشروع، ونصيب مفروض، قد أضناهم الفقر، ومسّتهم الحاجة من أرامل ويتامى، وفقراء ومعوزين، وبؤساء ومنكوبين، أين شكر الله على فضله وإنعامه!، وأين الشعور بالأخوة الإسلامية التي عقدها الإسلام بين أبنائه!، ألا يخشى المانعون للزكاة، والمقصرون في إخراجها من سخط الرب جلّ جلاله!، وحلول عقابه العاجل، وزوال نعمه الحاضرة، ومنع خيراته الوافدة، وما في الآخرة من العذاب لهو أشد وأبقى، كما قال جلّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا

مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]، وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثّل له مالُه يوم القيامة شجاعاً أقرع ـ أي ثعباناً عظيماً ـ له زبيبتان يطوقه ثم يأخذ بِلهْزِمَتيه ـ يعني شدقيه ـ ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

فاتقوا الله عباد الله وأدوا زكاة أموالكم كاملة غير منقوصة، بصدور منشرحة، ونفوس بالخير مغتبطة، فما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، صلّى الله وسلم عليه، وعلى آله الأوفياء، وأصحابه الأتقياء، ومن سار على هديهم واقتفى.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وسارعوا إلى مغفرته ورحمته لعلكم تفلحون.

ألا وإن مما يُلفت إليه أنظار المؤمنين في هذا الشهر الكريم، شهرِ الرحمة والمواساة، التذكر لحال إخوان لنا في العقيدة والدين في أنحاء من المعمورة، قد أصيبوا بمصائب عظمى، وتوالت عليهم فجائع كبرى، تتكرر على مرور الأيام، في أوطان استبد بها الطغيان، واستباحها الظالمون المعتدون، شعوب شُرِّدت عن أوطانها، واستبيحت حرماتها ومزِّقت كل ممزق، وأذيقت ألواناً من الظلم وأنواعاً من الاضطهاد، إخوان لنا يعيشون أياماً قاسية، ويذوقون مرارات متنوعة في الأرض المباركة فلسطين، وفي الشيشان والأفغان وكشمير، وغيرها من الأوطان، فقد غَلَّت النكبات أيديهم، وثَقُلت عليهم أعباء الحياة، وتوالت عليهم نوائب الدهر، واشتد عليهم شظف العيش، وانتشر فيهم الجوع، وفتكت بهم الأمراض، في أوضاع مؤلمة، ومآس محزنة، تذوب منها القلوب المؤمنة كمداً وحزناً.

ألا فلتلتفتوا أيها المؤمنون إلى إخوانكم المسلمين في كل مكان، ولتعملوا على مناصرتهم، ودعمهم مادياً ومعنوياً، فإن ذلك مما تفرضه الأخوة الإيمانية.

فسارعوا أيها المؤمنون إلى البذل والإحسان والمساندة لإخوانكم المسلمين في سائر الأوطان، وساهموا في أوجه الخير، وأعمال البر في أبوابها الواسعة واتجاهاتها المتنوعة، في كل ما يعود بالنفع والخير للإسلام والمسلمين، لا سيما في هذا الشهر الكريم، فقد كان نبيكم الكريم صلّى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان.

والله عزّ وجلّ يقول: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

فضل العشر الأواخر من رمضان

الحمد لله مثيب الطائعين، ومجزل العطاء للشاكرين، أحمده سبحانه وأشكره حمد المستزيد من أفضاله، الشاكر لنعمائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعالى ربنا في ذاته وتقدست أسماؤه وصفاته، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، اصطفاه تعالى واجتباه، وعبد ربه حتى تفطرت قدماه، صلّى الله عليه، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله حق التقوى، فإنه تقوى الله عزّ وجلّ سبيل المؤمنين، وزاد الصالحين، وبها النجاة والفلاح يوم الدين، فاتقوا الله في كل وقت وحين، واتقوه في كل ما تأتون وتذرون لعلكم تفلحون. واشكروه عزّ وجلّ أن هداكم للإيمان، ومنَّ عليكم ببلوغ هذا الموسم العظيم، والشهر الكريم الذي فضله على سواه من الشهور، واختصه بخصائص عظمى، وفضائل كبرى، أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من صامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليله إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، كما صح بذلك الخبر عن رسول الهدى ﷺ.

ألا وإن أفضل أيام هذا الشهر ولياليه يا عباد الله عشره الأخيرة، فأيام العشر أفضل أيام الشهر، ولياليه أفضل ليالي العام كله، وقد كان رسول الله ﷺ يخص هذه العشر بمزيد من العبادة، ويضاعف فيها الأعمال الصالحة، ويجتهد فيها بأنواع من القرب والطاعة ما لا يجتهد فيما سواها من الأزمنة، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا

الليل وأيقظ أهله وجَدَّ وشد المئزر»، وحَسْبُ هذه الليالي شرفاً، ورفعة وفضلاً، أن الله اختصها بليلة القدر التي عظَّم سبحانه قدرها، وأعلا شأنها، وشرفها بإنزال الوحي المبين على سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه، وفيها يفرق كل أمر حكيم، والعبادة فيها تفضل عبادة ألف شهر خلت من ليلة القدر، فهي ليلة عظيمة البركات، كثيرة الخيرات، لما يتنزل فيها على العباد من عظيم المنح الربانية، وجليل النفحات الإلهية.

وإن من صدق إيمان العبد، ودلائل توفيق الله له أن يغتنم هذه الليالي المباركة بجلائل الأعمال الصالحة، وأنواع العبادة والطاعة، والتذلل بين يدي الله عزّ وجلّ، والإنابة إليه أملاً في إحراز فضل ليلة القدر، ونيل بركاتها، فلقد بلغ من عظيم فضلها، وجليل ثوابها أن من قامها بنية خالصة، وعبودية صادقة، كفر الله عنه ما سلف من ذنوبه وخطاياه، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه». أخرجاه في الصحيحين.

ولقد ندب رسول الهدى ﷺ أمته إلى التماس ليلة القدر في ليالي الوتر من العشر الأواخر، أو السبع البواقي من هذا الشهر الكريم، فقد روى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «التمسوها في العشر الأواخر، فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبن على السبع البواقي»، وفي لفظ آخر له: «فمن كان متحرِّيها فليتحرها في السبع الأواخر»، وقد سألت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عما تدعو به ليلة القدر إن هي علمتها، فأرشدها ﷺ أن تقول: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني».

فلتغتنموا أيها المؤمنون ما هيأ لكم الحق عزّ وجل من هذه الأزمنة الفاضلة، والمواسم المباركة التي تضاعف فيها الحسنات، وتقال فيها العثرات، بما يقربكم إلى الله، ويبلغكم رضاه، لا سيما وأنتم تتفيؤون ظلال هذا البلد الحرام، الذي عظمه الله وشرفه، وجعل للعبادة فيه مزية وفضلاً، فالصلاة فيه بمائة ألف صلاة فيما سواه، وكل الأعمال الصالحة فيه تضاعف، فقد اجتمع لكم هنا أيها المؤمنون فضيلة المكان وشرف الزمان، وهما فضيلتان عظيمتان، ومزيتان جليلتان، هيأهما الحق تعالى لكم فضلاً منه وإحساناً، فمن التوفيق والرشاد، ونفاذ البصيرة وسداد الرأي، أن يغتنم

المسلم هذه الفضائل الربانية، والمنح الإلهية بالتزود بالصالحات، والمسابقة إلى الخيرات، والمحافظة على العبادات من صلاة وصيام، وصدقة وبر وإحسان، وعطف على الفقراء والأيتام، والإكثار من الطواف والاستغفار، وإدامة ذكر الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار، فإن ذكر الله تعالى يزكّي النفوس، ويشرح الصدور، ويورث الطمأنينة في القلوب، كما قال عزّ شأنه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨] وإن خير أنواع الذكر قدراً، وأعظمها عند الله أجراً تلاوة كتاب الله الكريم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]، فقد كان من هديهﷺ الإكثار من تلاوته في رمضان أكثر من تلاوته في غيره، وكان جبريل يأتيه في رمضان يدارسه القرآن، وقد أبان ﷺ عن فضل تلاوة كتاب الله، وعظيم ثوابه بقوله: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف». رواه الترمذي وصححه.

وإن مما ينبغي التذكير به يا عباد الله، ولا سيما تذكير ذوي الغنى واليسار، أن يعنوا بأداء الزكاة فإنها من آكد أركان الدين، ومن أجل محاسن الشرع المبين، فرضها الحق عزّ وجلّ لمصالح ومنافع عظمى لأمة الإسلام، فهي سبب لزكاء النفوس، وطهارة القلوب، ونماء الأموال، ومن أكبر عوامل الأُلفة والمودة بين المؤمنين، ومن أعظم مظاهر التكافل الاجتماعي بين المسلمين، فأخرجوها أيها المؤمنون كاملة غير منقوصة بنية صالحة، ونفوس بالخير مغتبطة دون منٍّ ولا أذى، ومن غير استكبار ولا استعلاء، فقد قال جلّ وعلا: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة: ٢٦١، ٢٦٢].

فلتحافظوا على هذه الفريضة وغيرها من فرائض الله، ولتخلصوا القصد والنية لله عزّ وجلّ في جميع أعمالكم الصالحة، فإن العمل الصالح إذا شابه شيء من الرياء أو السمعة فيها كان من أسباب حبوطه وعدم قبوله، فقد جاء في الحديث القدسي عند مسلم وغيره أنّ رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن

الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»، ولتغتنموا ما تبقى من أيام هذا الشهر ولياليه بالمسارعة إلى طاعة الله ومرضاته، والتعرض لنفحاته وألطافه، فربما أدركت العبدَ نفحةٌ من نفحات ربه فارتقى بسببها إلى درجات المقربين، وكان في عداد أولياء الله المتقين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ولتحذروا الذنوب والمعاصي، والانقياد للأهواء والشهوات، وإضاعة الأوقات باللهو والباطل، مما يصد عن ذكر الله وطاعته، ويستجلب سخطه ومقته، فتندموا على تفريطكم عند لقاء ربكم ولكن ولات ساعة مندم، ولتبتهلوا إلى ربكم ضارعين مخبتين بمغفرة الذنوب والآثام، وحط الخطايا والأوزار، وسؤاله العتق من النار، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٠﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، صلّى الله وسلم عليه، وعلى آله الأوفياء، وأصحابه الأتقياء، ومن سار على هديهم واقتفى.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله تعالى حق تقاته، واستقيموا على طاعته ومرضاته، وتذكروا عباد الله وأنتم تتفيئون ظلال هذا الشهر الكريم، شهر الرحمة والمواساة حال إخوان لكم في العقيدة والدين في أنحاء من المعمورة، قد أصيبوا بمصائب عظمى، وتوالت عليهم فجائع كبرى، تتكرر على مرور الليالي والأيام في أوطان قد استبد بها الطغيان، واستباحها الظالمون المعتدون، شعوب شردت عن أوطانها، واستبيحت حرماتها، ومزقت كل ممزق وأذيقت ألواناً من الاضطهاد، وصنوفاً من النكال وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، وإن من أبشع ذلك ما يحل بإخواننا في الأرض المباركة فلسطين، من عدوان أثيم من قبل اليهود الغاصبين، ومن شايعهم من الكفرة الظالمين، في تحد سافر، وعدوان ظاهر على مرأى ومسمع من العالم وفي هذا الشهر الفضيل حتى استباحوا الحرمات، ودنسوا المقدسات، وسفكوا الدماء، وبغوا في الأرض فساداً وعدواناً، غير مبالين بالعهود الدولية، ولا الأعراف الإنسانية: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ [التوبة: ١٠].

وآخرون من إخواننا في بلاد شتى يعيشون أياماً قاسية، ويذوقون مرارات

متنوعة، قد غلّت النكبات أيديهم، وتوالت عليهم نوائب الدهر، حتى ثقلت عليهم أعباء الحياة، واشتد عليهم شظف العيش، وانتشر فيهم الجوع، وفتكت بهم الأمراض، في أوضاع مؤلمة، ومآس محزنة تذوب منها قلوب أهل الإيمان كمداً وحزناً ولوعةً وألماً.

فلتلتفتوا أيها المسلمون إلى إخوانكم المضطهدين في كل مكان، ولتعملوا على مناصرتهم، ورفع الظلم عنهم، ودعمهم مادياً ومعنوياً، فإن ذلك مما تفرضه أخوة الإيمان ورابطة الإسلام، فأعينوا محتاجهم، وأغيثوا ملهوفهم وواسُوا مكلومهم، كي تخففوا بعض مآسيهم وآلامهم ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: ٢٠].

في ختام شهر رمضان

الحمد لله مثيب الطائعين، ومجزل العطاء للشاكرين أحمده سبحانه وأشكره، على فضله العميم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الإله الحق المبين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله إمام المتقين، وسيد العابدين، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الأكرمين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون أوصيكم ونفسي بتقوى الله عزّ وجلّ، فإنها وصيته تعالى لعباده الأولين والآخرين، فاتقوا الله تعالى حق تقاته، واشكروه سبحانه أن هداكم للإيمان، ومنَّ عليكم بهذا الشهر العظيم الذي فضله وشرفه، وجعله أعظم الشهور قدراً، وأعلاها شرفاً، واختصه بخصائص كبرى، وفضائل عظمى.

إنه شهر كريم، وموسم من مواسم الخيرات عظيم، شهر أعزّ الله تعالى فيه الإسلام، وأعلا شأن المسلمين، وحقق فيه لأمة الإسلام أعظم الانتصارات على الأعداء، في مواقع جهادية كثيرة عبر عصور الإسلام المختلفة، حتى صارت دولة الإسلام في قرون متطاولة خلت ذات قوةٍ لا تبارى، وسيادةٍ لا تدانى، وكان جانبها بين الأمم مرهوباً، وحقها بين الدول محفوظاً، ولكن حينما ضعف تمسك المسلمين بتعاليم الدين القويم في أعقاب الزمن، وتفرقوا شيعاً وأحزاباً، أصبحت النكبة على أهل الإسلام نكبة عظمى، حيث تكالب عليهم الأعداء من كل جانب، وسيطروا على معظم مصالحهم، وسيَّروا جُلَّ أمورهم السياسية والاقتصادية، واستطاعوا الاستيلاء على كثير من ثرواتهم، والاحتلال لبعض بلادهم، وفي مقدمتها الأرض المباركة فلسطين ومسجدها الأقصى المبارك، أولى القبلتين، وثالث المسجدين الشريفين، عجّل الله تعالى تحريره، وأقر أعين المؤمنين بعودة تلك البلاد المباركة إلى رحاب المسلمين.

عباد الله: إن أعداء الإسلام كانوا ولم يزالوا يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويكيدون لهم المكائد، ولا يألون جهداً في الوقيعة بالمسلمين، وزرع العداء والبغضاء في صفوفهم وإذكاء الفتن بينهم، حتى نشأت في بعض بلاد الإسلام فتنٌ عظمى، طال أمدها، واستشرى ضررها، حتى انعدم الأمن والاطمئنان، وساد الرعب والخوف في تلك البلاد، جراء ما يُرتكب فيها من أبشع الجرائم، وأفظع الحوادث، في سلسلة من الفجائع المتكررة بين الحين والآخر حتى في هذه الأيام المباركة، من سفك للدماء، وإزهاقٍ لأرواح العشرات من الأبرياء، في كل فاجعة من تلك الفجائع، حتى لم يسلم من ذلك الشيوخ والأطفال والنساء، في مآسي محزنة، وأحداث مؤلمة، تنفطر لهولها القلوب أسى وحزناً. كل ذلك يقع ويتكرر ويحصل على مرأى ومسمع من العالم دون أن تكون هناك جهود مؤثرة من أمة الإسلام لإيقاف تلك المجازر، أو وضع حد لتلك المآسي.

وإن الجموع المؤمنة في هذه الرحاب المقدسة في هذا اليوم المبارك وهذا الشهر الفضيل ليناشدون الأخوة في الجزائر أن يتقوا الله تعالى في أنفسهم وفي أمتهم، وأن ينبذوا العنف فيما بينهم، وأن يحقنوا الدماء، وأن يعملوا على رأب الصدع، وجمع الكلمة، وأن يحتكموا لصوت الحق والشرع، حقق الله تعالى ذلك عن قريب، ورفع البأساء والضراء عن تلك البلاد، وجمع القلوب فيها وفي سائر بلاد الإسلام على الإيمان والتقوى إنه سميع مجيب.

عباد الله: وفي بلاد إسلامية أخرى طالما كانت معقلاً من معاقل الإسلام، وحصناً من حصونه المنيعة، حاملةً لواءَ الإسلام رَدْحاً من الزمان، غير أن نور الإسلام قد خَفَت فيها منذ أمد، وها هي الآن تزداد إدباراً عن الحق، وتعلنُ التنكر لدين الإسلام، وترفع ألوية الباطل، وتعلي رايات الضلالة، ويُحارَبُ فيها الإسلام، ويُعمل على تنحيته عن حياة الناس، متناسين أولئك أمجادهم الإسلامية الخالدة، ومتجاوزين بذلك الأعراف الدولية، وميممين وجهَتهم نحو خصوم الإسلام وأعدائه بالموالاة والمناصرة، في تحدٍّ سافر لحق الشعب المسلم في تلك البلاد، ولمشاعر المسلمين في أنحاء المعمورة.

فهذه يا عباد الله بعض مآسي أمة الإسلام، وأحوالها المؤلمة، حرية بأن تبعث الشعور بحق الأخوة الإسلامية في نفوس أهل الإيمان من ذوي التأثير في الأمة، لا سيما وهم يتفيؤون ظلال هذا الشهر الكريم، فيدفعهم ذلك إلى العمل الجاد على جمع كلمة المسلمين، والتأليفِ بين قلوب المؤمنين، والدفاع عن قضاياهم، ورفع لواء الإسلام، ونصرة هذا الدين القويم ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

أيها المسلمون: ها أنتم تنعمون أواخر هذا الشهر الكريم، والموسم العظيم، بأجواء إيمانية، ونفحات ربانية، تحمل على مضاعفة العمل الصالح فيما تبقى من هذا الشهر من أيام وليال مباركة، لها مزيد فضل على غيرها، حيث يرجى فيها ليلة القدر التي شرفها الحق، وأعلا شأنها، فهي الليلة المباركة التي أُنزل فيها القرآن الكريم، وفيها يفرق كل أمر حكيم، والعبادة فيها تفضل عبادةَ ألف شهر خلت من ليلة القدر، فهي حرية بالتعظيم منكم والتبجيل، وجديرة بأن تُحيا بأنواع العبادة للغفور الرحيم، والتذلل إليه، والتضرع والانكسار بين يديه، أملاً في مغفرة الذنوب والآثام، والعتق من النار، والفوزِ بفضل هذه الليلة المباركة، وإحراز ثوابها العظيم الذي أشار إليه المصطفى ﷺ بقوله: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه». رواه البخاري ومسلم، وروى الإمام أحمد والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: أرأيت إن وافقت ليلةَ القدر ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني».

وإن من فضائل ما تبقى من هذا الشهر، ومما اختص الله به هذه الأمة ما روي في الحديث عند الإمام أحمد وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسَ خصال لم تعط أمةٌ قبلهم وذكر ﷺ منها أن الله يغفر لهم في آخر ليلة فيه، قيل: يا رسول الله أهي ليلة القدر؟ قال: لا، ولكنَّ العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عملَه».

فلتغتنموا عباد الله ما تبقى من أيام هذا الشهر ولياليه، ولا سيما وأنتم في هذا البلد الحرام الذي فضله الحق وعظمه، وجعل للعبادة فيه مزية وفضيلة على ما سواه،

فمن كان محسناً فيما مضى فليزدد لله تعالى طاعة وبراً، ومن فرط فيما مضى فليتدارك ما بقي، وليختم بالحسنى، فإن الأعمال بالخواتيم، فلتضاعفوا عباد الله العمل الصالح في هذه الأيام، ولتستقيموا على طاعة ربكم ومرضاته في كل وقت وحين، ولتستديموا المسلك الرشيد، والمنهج السديد الذي سلكتموه في هذا الشهر الفضيل، فإنه ليس للعبادة وقت تنتهي بانتهائه، أو زمن تنقضي بانقضائه، بل هي حق لله تعالى على العباد، يعمرون بها أيام العمر، وساعات الزمان حتى يلقوا ربهم تعالى عملاً بقوله سبحانه: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٢، ١٣٣].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه سبحانه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم وسلك سبيلهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله حق تقاته، واشكروه تعالى على عظيم نعمه وجليل آلائه.

ألا وإن من شكره سبحانه على نعمة إكمال عدة الصيام، إخراجَ زكاة الفطر التي شرعها الإسلام طهرةً للصائم من اللغو والرفث، وطعمةً للمساكين، وإغناءً لهم عن ذُلِّ الحاجة والسؤال في يوم العيد.

وقد فرضها رسول الله ﷺ على الصغير والكبير، والذكر والأنثى من المسلمين، وكان الناس في عهده ﷺ يخرجونها صاعاً من طعام، أو تمر، أو شعير، أو أقط، أو زبيب، كما ثبت ذلك في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فلتخرجوها رحمكم الله من هذه الأنواع أو غيرها مما يَطْعمُ الناس ويقتاتون، فكل ما كان المُخرج أنفعَ للفقير فهو أعظم فضلاً، وأكثر ثواباً ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢].

وتجب زكاة الفطر يا عباد الله بغروب شمس ليلة العيد، والأفضل أن تُخرج يوم العيد قبل الصلاة، ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين، لفعل الصحابة رضي الله عنهم وقد جاء في الحديث: «ومن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد

الصلاة فهي صدقة من الصدقات» رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الحاكم. ويجوز أن يُعطى الجماعةُ من أهل الزكاة ما وجب على الواحد، وأن يعطى الواحدُ ما وجب على الجماعة.

فاتقوا الله عباد الله ولتؤدوا زكاةَ فِطْرِكم بصدورٍ منشرحةٍ ونفوسٍ بالخير مغتبِطةٍ، ولتكثروا من شكر الله تعالى وذكره بالتكبير والتحميد والتهليل من غروب شمس ليلة العيد إلى أداء الصلاة، فإن ذلك مما شرعه الحق تعالى وندب إليه كما قال سبحانه: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٥].

من منافع الحج ومناسكه

الحمد لله الذي جعل بيته مثابة للناس وأمناً، وجعل حَجَّه على المستطيع فرضاً لازماً، أحمده سبحانه وأشكره على ما أنعم وأولى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله، النبيُّ المصطفى، والحبيبُ المجتبى، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررةِ الأتقياء، والسادةِ الحنفاء، ومن سلك سبيلهم واقتفى، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله تعالى حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، وأشكروا المولى جلَّ وعلا على نعمه العظمى، وآلائه التي تترى، حيث هداكم للإيمان، وشرفكم بالإسلام وشرع لكم أفضل الشرائع والأحكام.

فاشكروا الله تعالى على ذلك شكراً تلهج به الألسن، وتوقن به القلوب، وتصدقه الجوارح والأعمال، بتحقيق الإيمان، والعمل بأحكام الإسلام، والاستقامة على نهج الحق والهدى، طاعة لله وإخلاصاً، فإن الإخلاص في العبادة، والقيام بأداء الطاعة هو أساس الدين، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ [البينة: ٥].

أيها المسلمون: في هذه الأيام المباركة وفي هذه الرحاب الطاهرة، تلتقي الجموع الغفيرة من المسلمين الذين وفدوا من كل فجّ عميق، من أقاصي الدنيا وأدناها، قطعوا الفيافي والقفار، وامتطوا الأجواء والبحار، واستسهلوا الصعاب، وتحملوا المتاعب والمشاق، استجابة لأمر رب العالمين، وتلبية لنداء الخليل، واقتداء بسيد المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهما، يؤدون ركناً من أركان الإسلام، وفريضة من أعظم فرائض الدين، ليشهدوا منافع عظمى، وليحققوا مصالح كبرى

يقول جلّ وعلا: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨].

إنها رحلة الإيمان إلى هذا البلد الحرام، حيث البيتُ العتيق، أولُ بيت وضع على وجه المعمورة، جعله الله عزّ وجلّ مثابة للناس وأمناً، ورمزاً للحنيفية السمحاء، ومكاناً مباركاً وهدى للعالمين، وقبلة للمسلمين، ومهوى أفئدة المؤمنين، ومهبط الوحي المبين، وموطن بعثة خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه، منه أشرقت أنوار الرسالة، وشع ضياء الحق والإيمان، فملأ المشارق والمغارب نوراً وضياءً، وشمل البسيطة رحمة وعدلاً، من استنار بنوره، واستضاء بضيائه فقد فاز فوزاً عظيماً، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

تجتمع قوافل أهل الإيمان في هذه المشاعر المعظمة في مجمع إسلامي كبير، لأداء ركن من أركان الدين، وعبادة من أجَلِّ العبادات، قد اتفقت من تلك الوفود المقاصد والغايات، وتلاشت الفوارق والأجناس، وتصافَت النفوس، وتآلفت القلوب، رغم تباين الديار، واختلاف الألسنة والألوان، فالكل في هذه المواطن سواء، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى، في مشاهد روحانية عظيمة، ومواكب إيمانية مهيبة، تجللهم هيبة الله وخشيته، وتحفهم سكينته ورحمته، فتتجلى بذلك مظاهر الأخوة الإيمانية بين أفراد الأمة في أسمى صورها، وأبلغ معانيها، تلك الرابطة التي عقدها الحق عزّ وجلّ بين المسلمين، وألف بها بين المؤمنين، وصاروا بنعمته أخوة متآلفين ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

إنها مواقف عظمى، يزداد بها المؤمنون إيماناً ويقيناً، وطاعة لله وبراً، وتوحيداً وإخلاصاً، إذ في كل منسك من مناسك الحج، وموقف من مواقفه، مظهر من مظاهر التوحيد لله، وإخلاص الدين له، وأنه وحده المستحق لأن يعبد، وأن يركع له ويسجد، وأن يستغاث به ويدعى، وأن يخاف ويرجى، وأن يصرف له جميع أنواع العبادة وحده دون سواه، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، لأن بيده النفع والضر، وغيره من الخلق لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً

ولا حياةً ولا نشوراً، فكم في الحج يا عباد الله من أسرار وحكم، ومواعظ وعبر.

إن على أمة الإسلام ولا سيما ذوي التأثير في الأمة، من القادة والعلماء والمفكرين، والدعاة والمصلحين، أن يستلهموا من هذه العبادة العظمى دروساً عملية، تحمل على التمسك بأهداب الدين القويم، وتطبيق أحكامه وتشريعاته في جميع الشؤون، وعلى كل المستويات، والعمل على رفع راية الإسلام، وتوحيد صفوف الأمة، وجمع الكلمة بين أبناء الملة، والدفاع عن قضايا المسلمين، والوقوف بجانب المستضعفين منهم والمضطهدين، واسترداد حقوقهم المستَلَبَة، وبلادهم المغتصبة، وفي مقدمتها الأرض المباركة فلسطين، ومسجدها الأقصى المبارك، أولى القبلتين، وثالث المسجدين الشريفين، ومسرى سيد الثقلين، حقق الله تعالى ذلك، وأقر أعين المؤمنين بعودة تلك البلاد إلى رحاب المسلمين.

عباد الله: لقد شرَّف الله عزّ وجلّ هذا البلد الحرام، وخصه بخصائص عظمى، وفضله بمزايا كبرى، وأقسم به تعالى في كتابه تنويهاً بشرفه، وتعظيماً لشأنه، فهو خير البلاد عند الله، وأحبها إلى رسول الله ﷺ، وأقدس الأمكنة على وجه البسيطة، وأطهر بقعة عرفتها البشرية، فيه تتنزل الرحمات، وتقال العثرات، وتسكب الدموع والعبرات، وتضاعف الحسنات، فالصلاة فيه بمائة ألف صلاة فيما سواه، وكل الأعمال الصالحة فيه تضاعف، فليُعرف لهذا البلد أيها المؤمنون حرمتُه وشرفُه، وقدسيتُه ومكانتُه، وليُبَالغ في تعظيمه وإجلاله، وليظهر أثر ذلك في التأدب فيه بآداب الإسلام، والتخلق بأخلاق أهل الإيمان، والبعد عن كل ما يتنافى مع ما يجب له من الحرمة والإجلال، وما يجب لأهله والوافدين إليه من التبجيل والإكرام.

أيها المسلمون: ها أنتم تعيشون أيام العشر من ذي الحجة، وهي أفضل أيام العام على الإطلاق، عليكم باغتنامها بما يقرب إلى الله تعالى من صالح الأعمال، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحبُّ إلى الله من هذه الأيام، يعني أيام العشر من ذي الحجة، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، فلم يرجع من ذلك بشيء». رواه البخاري في صحيحه. وقد اجتمع لكم هنا أيها المؤمنون شرف الزمان وفضيلة المكان، فحري بكم أن تغتنموا هذه الفضائل، بما يقربكم إلى الله ويبلغكم

رضاه، ولتجتهدوا في أنواع الطاعات، من صلاة وطواف بهذا البيت العتيق، وذكرٍ لله تعالى، وبر وإحسان، وصدقة، وصيام، ولا سيما صوم يوم عرفة لغير الحاج، فإن صيامه يكفر ذنوب سنتين كما صح بذلك الحديث عن رسول الهدى ﷺ.

فلتتعرضوا لنفحات ربكم بهذه الأعمال الصالحة وغيرها، بقلوب ملؤها الإخلاص لله، والأمل في فضله ورحمته التي وسعت كل شيء، ولتحذروا كلَّ ما يغضب الله عزّ وجلّ من الذنوب والخطايا، أو التقصير في شيء من واجبات الدين، أو انتهاك حرمة من حرمات هذا البلد الأمين، أو حرمة عباد الله الآمنين فيه، فإن المعصية في هذا البلد الحرام أعظم إثماً، وأشد عقوبة من المعصية فيما سواه من البلاد كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥].

فلتتقوا الله عباد الله، ولتلتزموا آداب الإسلام وتعاليمه في هذا البلد الحرام، ولتعرفوا لله قدره، ولتَرْعوا له حرمته، طاعة لله تعالى وتعظيماً لحرماته ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله ولي الصالحين، ومثيب الطائعين، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، وهدى للناس أجمعين، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: لقد شرع الله عزّ وجلّ لعباده الحجَّ إلى بيته الحرام، وجعله أحدَ أركان الإسلام لمن استطاع إليه سبيلاً، ورتب على أدائه فضلاً عظيماً، وثواباً جزيلاً حين يُؤدَّى على الصفة المشروعة، بنية لله خالصة لا رياء فيها ولا سمعة، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». رواه البخاري ومسلم، ولهما أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

فلتحرصوا حجاجَ بيت الله على الإخلاص لله تعالى في حجكم، والاهتداءِ فيه بهدي نبيكم.

وإن هديه ﷺ في ذلك أن يحرم مريدُ الحج في ضحى اليوم الثامن، ثم يذهب إلى منى، ويصلي بها الظهر في وقتها قصراً، والعصر في وقتها قصراً، والمغرب في وقتها، والعشاء في وقتها قصراً، ويبيت بها تلك الليلة فإذا صلّى بها الفجر وطلعت الشمس توجه إلى عرفات، وصلى الظهر والعصر جمعاً وقصراً، ثم يقف على صعيد عرفات مكثراً من ذكر الله تعالى، متذللاً بين يديه، يسأله من خيري الدنيا والآخرة، ويلح في الدعاء والرجاء في ذلك الموقف العظيم، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

«خير الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير»، فإذا غربت الشمس انصرف إلى مزدلفة بسكينة ووقار، وصلّى بها المغرب والعشاء جمعاً ويقصر العشاء، ويبيت بها تلك الليلة، ويصلي بها الفجر، ويكثر من ذكر الله تعالى حتى يسفر جداً، ثم ينصرف إلى منى قُبيل طلوع الشمس، ويجوز للضعفة من النساء والصبيان ونحوهم الانصراف من مزدلفة بعد نصف الليل، ويتحقق ذلك بغروب القمر تلك الليلة، فإذا وصل الحاج إلى منى رمى جمرة العقبة بسبع حصيات، ثم ينحر الهدي من كان عليه هدي، ثم يحلق رأسه أو يقصره والحلق أفضل، ثم يتوجه إلى البيت الحرام إن تيسر له في ذلك اليوم وإلا بعده، ويطوف طواف الإفاضة، ثم يسعى بين الصفا والمروة إلا أن يكون قارناً أو مفرداً، وقد سعى قبل الحج بعد طواف القدوم فيكفيه سعيه ذلك. ولا حرج يا عباد الله على من قدم أو أخّر شيئاً من أعمال يوم النحر، فإنه ما سئل ﷺ يوم النحر عن شيء قُدِّم ولا أُخِّر إلا قال: «افعل ولا حرج»، ثم يعود الحاج بعد ذلك إلى منى، ويبيت بها ليالي أيام التشريق، ويرمي الجمار الثلاث في كل يوم بعد الزوال، ثم إن شاء أن يتعجل في يومين فله ذلك، وإن تأخر فهو أفضل، ثم لا يبقى على الحاج بعد ذلك إلا طواف الوداع عندما يريد السفر من مكة، ويكون وداع البيت آخر شيء يفعله الحاج.

فاتقوا الله عباد الله، وأخلصوا لله حجكم وسائر عباداتكم، ولتكن على هدي نبيكم ﷺ ولتجتنبوا كل ما قد يُخِلُّ بحجكم، أو ينقص أجره وثوابه، وعليكم بالرفق والسكينة، والهدوء والطمأنينة، والشفقة والرحمة ببعضكم في كل موطن من مواطن المناسك، ولا سيما في مواطن الازدحام، كأثناء الطواف، ورمي الجمار، وعند أبواب المسجد الحرام، ولتستشعروا أثناء ذلك عظم العبادة وجلالة الموقف، وليحب أحدكم لأخيه ما يحب لنفسه، يُكتبْ لكم القبول وغفران الذنوب.

فضل يوم عرفة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، بَلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الأكرمين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون أوصيكم ونفسي بتقوى الله عزّ وجلّ، فإنها وصيته تعالى لعباده الأولين والآخرين، من اتصف بها حقاً وصدقاً، وعمل بمقتضاها طاعةً لله وإخلاصاً، جعل الله تعالى له نوراً يهتدي به في حالك الظلمات، وضاعف له الأجور والدرجات، وغفر له الزلاتِ والخطيئات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد: ٢٨].

عباد الله: لقد هيأ الله عزّ وجلّ لعباده مواسم معظمة، وأزمنةً مفضلة، شرفها على سواها من الأزمان والأوقات بما شرع فيها من أنواع القرب والطاعات، وجلائل الأعمال الصالحات، ليزداد المؤمنون فيها إيماناً ويقيناً، وطاعة لله وبراً.

وإن يومكم هذا من أعلا الأيام عند الله قدراً، وأجلها فضلاً، وأعظمها أجراً، وقد اتفق فيه يومان عظيمان من أعظم الأيام المباركة عند الله جلّ وعلا، وهما يوم الجمعة ويوم عرفة، وقد جمعهما الله لكم في هذا اليوم مزيدَ فضلٍ منه تعالى وامتنان، وسابغ عطاء وإنعام.

وإن هذا اليوم ليومٌ مبارك مشهود، تخفق قلوب المسلمين في أنحاء المعمورة، وتهفوا أفئدتهم إلى إدراكه في عرفات ضمن جموع الحجيج الذين توافدوا من كل فج عميق، حتى مثلوا في هذه الرحاب الطاهرة، والمواطن المقدسة، ووقفوا في هذا اليوم العظيم في ساحة الغفران في صعيد عرفات، لأداء أعظم ركن من أركان الحج، قد خشعت منهم القلوب، واستكانت النفوس، وذرفت العيون العبرات والدموع، ولهجت الألسن بالتلبية والتوحيد لله رب العالمين، ورفعت أكف الضراعة والمسكنة للغفور الرحيم، رجاء تكفير الذنوب، والعفو عن الآثام، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، فيباهي الله عزّ وجلّ حينئذٍ بحجاج بيته الحرام ملائكتَه المقربين، ويُشهدهم على عموم مغفرته لأولئك الذين وقفوا في هذا المشعر العظيم، وتحقيق ما يأملون من فضله ورحمته التي وسعت كل شيء، كما في الحديث عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم عرفة فإن الله تبارك وتعالى يباهي بهم الملائكة، فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً ضاحين من كل فج عميق، أشهدكم أني قد غفرت لهم، فتقول له الملائكة: إن فيهم فلاناً مرهَّقاً وفلاناً، قال: يقول الله عزّ وجلّ: قد غفرت لهم»، ثم قال رسول الله ﷺ: «فما من يوم أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة». رواه ابن خزيمة والبيهقي، وأصله في الصحيح.

أيها المسلمون: في مثل هذا اليوم المبارك في السنة العاشرة من الهجرة أكمل الله تعالى هذا الدين، وأتم به النعمة على سيد المرسلين، وعلى أمته أجمعين، ونزل عليه ﷺ وهو واقف في صعيد عرفات في حجة الوداع قول الحق سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وخطب رسول الهدى ﷺ في ذلك الموقف العظيم خطبة بليغة، أبان فيها للأمة قواعد هذا الدين وأصول الملة، وأبطل قواعد الشرك ومحا آثار الوثنية، ووضع أحكام الجاهلية، وأكد فيها على تحريم المحرمات التي اتفقت الشرائع السماوية على تحريمها، وهي الدماء والأموال والأعراض، وأبطل كل ما خالف دين الحق، وأوصى الأمة بالنساء خيراً، وذكر الحق الذي لهن وعليهن، وبين للأمة أنه لا عاصم لها من الضلال، ولا حامي لها من أعاصير التفرق والشتات إلا بالتمسك بكتاب الله الكريم، والعمل بتشريعاته، وتطبيق أحكامه، فإن ذلك وحده هو الذي يكفل لأمة الإسلام العزة

والسعادة، ويحقق لها النصر والسيادة.

ومما جاء في تلك الخطبة العظيمة ما روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خطب الناس وهو واقف بعرفة، فقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قَدَمَيَّ موضوع، ودماءُ الجاهلية موضوعة، وربا الجاهلية موضوع، فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فُرُشَكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتابَ الله، وأنتم تُسألون عني، فما أنتم قائلون، قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ويُنكِّبها إلى الناس: اللهم أشهد اللهم أشهد».

فاتقوا الله أمة الإسلام ولتشكروا الله تعالى على نعمة إكمال هذا الدين، ولتستمسكوا به عن إيمان ويقين، ولتفرحوا بهدايتكم إليه مغتبطين، ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٨]، ولتتذكروا عباد الله أن الله عزّ وجلّ كما أكرم حجاج بيته في هذا اليوم بالوقوف في عرفات، وتحقيق ما يرجون من الرحمات، فإنه تعالى قد شرع لغيرهم ما يسليهم، ومن رحمته يدنيهم، حيث شرع لهم صيام هذا اليوم، ورتب على صيامه فضلاً عظيماً وثواباً جزيلاً، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: «سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة فقال: يكفر السنة الماضية والباقية»، فلتستشعروا عباد الله عظم هذا اليوم، وجليل قدره عند ربكم، وما يتنزل فيه على العباد من الرحمات الربانية والنفحات الإلهية، وما يفيض عليهم فيه سبحانه من سحائب فضله وجوده، وخزائن مغفرته ورحمته، ولتغتنموا ذلك بالإقبال على الله تعالى والالتجاء إليه، والتذلل بين يديه ـ ولا سيما في عشية هذا اليوم ـ ودعائه عزّ وجلّ دعاء المضطرين، وسؤاله سؤال الخائفين الوجلين بأن يغفر لكم الذنوب، ويتجاوز عن الآثام، وأن يمن عليكم بالفوز بالجنة، والنجاة من النار، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ولتبتهلوا إلى ربكم ولتجأروا إليه بأن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن

يجمع كلمة المسلمين على الحق والهدى، وأن يرفع ما حلّ ببعض بلاد الإسلام من البأساء والضراء، فادعوه سبحانه وأنتم موقنون بالإجابة، فإنه تعالى رحيم بمن دعاه، قريب ممن رجاه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه سبحانه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله تعالى حق تقاته، ولتغتنموا مواسم الخير والطاعة، ولتتقربوا إلى ربكم بجليل الأعمال الصالحة.

ألا وإن مما شرع الحق عزّ وجلّ في هذه الأيام الفاضلة من نوافل العبادة والطاعة: الإكثار من ذكره سبحانه وتعالى بالتكبير والتهليل والتحميد، ولا سيما في أدبار الصلوات المكتوبة، ابتداء من هذا اليوم لغير الحاج إلى آخر أيام التشريق، وأما الحاج فالمشروع في حقه الإكثار من ذلك من يوم النحر إلى آخر أيام التشريق وصفة ذلك الذكر المستحب أن يقال: «الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد».

وإن من أفضل ما يشرع في يوم النحر وأيام التشريق: التقرب إلى الله تعالى بذبح الأضاحي، فإنها سنّة أبيكم إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهدي نبيّكم محمد ﷺ، فقد رغبكم فيها بفعله، وأكد ذلك بقوله: «ما عمل ابنُ آدم يوم النحر عملاً أحبَّ إلى الله من هِراقة دم، وإنه ليأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفساً». رواه الترمذي وابن ماجه.

ويسن لمن أراد أن يضحي أن يختار من الإبل أو البقر أو الغنم أسمنها وأطيبها

عند أهلها، وليجتنب المعيبة منها، فإنه لا يجزىء أن يضحي بالعوراء ولا العرجاء، ولا الهزيلة ولا المريضة فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، ولا يجزىء أن يضحي إلا بما تمّ له خمس سنين من الإبل، وسنتان من البقر، وسنة من المعز، ونصف السنة من الضأن، وتجزىء الشاة عن الرجل وأهل بيته، والبدنة والبقرة عن سبعة، ويسن أن تقسم الأضحية أثلاثاً، فيُهدى ثلثها ويتصدق بثلثها، ويؤكل ثلثها، ووقت الذبح من بعد صلاة العيد، وثلاثة أيام بعده، وتشترط التسمية عند الذبح، ويسن أن يتولى المضحي ذبحها بنفسه أو يحضرها، وأن يقول عند ذبحها: «بسم الله والله أكبر، اللّهم هذا منك، ولك، اللّهم تقبل مني» يقول عزّ وجلّ: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٣٦ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٧ ﴾ [الحج: ٣٦، ٣٧].

فاتقوا الله عباد الله، وبادروا باغتنام هذه الطاعات، وتقربوا إلى ربكم بالأعمال الصالحات، تفوزوا بأعلى الدرجات.

خطبة عيد الأضحى المبارك

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الرحمات، أحمده سبحانه وأشكره، شرع لنا الأعياد، وأفاض علينا السرور، ونوَّر قلوب المؤمنين بنور التقوى والحبور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الغفور، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

الله أكبر عدد ما هلل مهلل وكبر، الله أكبر عدد ما حج حاج واعتمر، الله أكبر كلما يمموا عرفة ملبين، الله أكبر كلما وقفوا بالمشعر الحرام ذاكرين، الله أكبر كلما طافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة خاشعين.

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

أما بعد: فيا أيها المسلمون، اتقوا الله تعالى حق التقوى، واشكروه سبحانه على نعمه العظمى، وآلائه التي تترى، حيث هداكم للإيمان، وشرفكم بالإسلام، وجعلكم من خير أمة أخرجت للأنام، ومنَّ عليكم بهذا اليوم العظيم الذي شرفه على سائر الأيام، وجعله عيداً سعيداً لأهل الطاعة والإيمان، يفيض عليهم فيه سبحانه من واسع البر والعطاء، والجود والنعماء، إنه يوم الحج الأكبر، والعيد الأنور، فاشكروا المولى على نعمه عليكم أيها المؤمنون، واذكروه تعالى وكبروه، واعبدوه حق

عبادته، فهو وحده المستحق أن يعبد، وأن يخلص له الدين، وأن يستعان به ويستغاث، وأن يلتجأ إليه في الشدة والرخاء، إذ هو مالك الملك، المتصرف في الخلق، وغيره لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

فالعبادة بجميع أنواعها حق خالص لله عزّ وجلّ، لا يجوز أن تصرف لأي مخلوق مهما عظمت منزلته، أو سمت مكانته، فذلك مقتضى العبودية الحقة، والحنيفية الخالصة، فقد قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦١ ـ ١٦٣].

فأخلصوا عباد الله إيمانكم بالله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، وحققوا أركان الإسلام التي لا يتم إلا بها، فحافظوا على الصلاة، فإنها عماد الدين، فمن حفظها فقد حفظ دينه، ومن أضاعها فهو لما سواها أضيع، وأدوا الزكاة المفروضة في أموالكم عن طيب نفس دون منٍّ ولا أذى، وصوموا شهر رمضان، وحجوا البيت الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً، وعليكم ببر الوالدين، فإن حقهما عند الله عظيم، وصِلوا الأقارب والأرحام، واعطفوا على الفقراء والمساكين والأيتام، وكفوا عما نهاكم الله عنه من كبائر الإثم والفواحش، والذنوب والمعاصي، فإنها شؤم وبلاء، على العباد والبلاد، فإنه ما مُحقت البركات، وسحقت الخيرات، وحصل التلف والهلاك في الأنفس والزروع والثمرات إلا بسبب الذنوب والمعاصي كما قال سبحانه: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١].

عباد الله: اشكروا الله تعالى على نعمة الإسلام، فتلكم نعمة عظمى، ومنة من الله عليكم كبرى، فاستمسكوا بدينكم، وافرحوا بهدايتكم إليه ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨].

إنه لا سعادة لأمة الإسلام، ولا عزَّ ولا تمكين لها في الأرض، إلا في ظل الإسلام، وتطبيق أحكامه، والعمل بتشريعاته، ولذا فحينما كان المسلمون متصفين به

ظاهراً وباطناً، عملاً واعتقاداً، سادت دولةُ الإسلام العالَم قروناً طويلة، وكانت ذات صولة لا تجارى، وهيبة لا تدانى، ولكن حينما ضعف تمسك المسلمين بالإسلام في أعقاب الزمن، وتنكَّر كثير من بني الإسلام لتعاليم الشرع المبين، حتى استبدلوا الدين الخالص لله جلّ وعلا بالبدع والمحدثات، وأهملوا كثيراً من واجبات الدين، وتقاطعوا وتدابروا، واختلفوا وتنازعوا، وخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، وفشت بينهم المنكرات، واستعاضوا عن الحكم بما أنزل الله تعالى في كثير من بلاد الإسلام بقوانين وضعية، وأنظمة بشرية، لا تحقق العدل والمساواة للإنسانية، فلما آل حال الأمة الإسلامية إلى هذا الوضع المؤلم، تسلط عليها الأعداء، وتكالبوا عليها من كل جانب حتى فرَّقوها شيعاً وأحزاباً، وممالك ودويلات، وتحكَّموا في كثير من قضاياها السياسية والاقتصادية، ووجهوها نحو ما يخدم مصالحهم، ويحقق آمالهم، بل ولم يألُ الأعداء جهداً في إضعاف شأن المسلمين، حتى تمكنوا من الاستيلاء على كثير من ثرواتهم ومقدَّراتهم، والاحتلال لبعض بلادهم، وفي مقدمة ذلك الأرض المباركة أرض النبوات، وموطن الإسراء والمعراج، ومسجدها الأقصى المبارك، أولى القبلتين، وثالث المسجدين الشريفين، فها هو يرزح تحت الاحتلال الغاشم، والعدوان الآثم، منذ أكثر من نصف قرن من الزمان، من قبل شرذمة طاغية باغية، لا هَمَّ لها إلا السعي في الأرض فساداً، والله لا يحب المفسدين، ولا يزال إخواننا في تلك الأرض المباركة صابرين مناضلين رغم الاعتداءات المتتالية، والمآسي المتكررة، والفظائع المؤلمة التي تحل بهم بين الحين والآخر على مرأى ومسمع من العالم، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وهو وحده المستعان على القوم الظالمين.

وما حال إخواننا في الشيشان وكشمير من أهل فلسطين ببعيد، فقد تسلط عليهم الأعداء، وأذاقوهم أصنافاً من العذاب، وألواناً من الاضطهاد ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج: ٨].

فهذه بعض ما تعانيه أمة الإسلام في بعض بلادها من أحوال مؤسفة، وأوضاع مؤلمة، مما يبعث الأسى في نفوس الغيورين على الإسلام وأهله.

وإنه لا نجاة لأمة الإسلام، ولا خلاص لها مما هي عليه من ضعف وهوان،

وتفرق ونزاع، إلا بالعودة الصادقة إلى الإسلام، واستلهام مبادئه الحقة، وأصوله الصحيحة، وتطبيق شرع الله على عباد الله، والحكم بينهم بما أنزل الله، فإن الشعوب المسلمة لا ترضى بغير الإسلام ديناً، ولا بغير حكم الله بديلاً ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

إنَّ التمسك بالأصلين العظيمين، الوحيين المنزلين، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والعمل بهما حقاً وصدقاً على جميع المستويات وفي جميع شؤون الحياة، هو العاصم للأمة من الضلال والضعف والهوان، وهو الكفيل باستعادة الأمة لأمجادها، وبلوغها أقصى الغايات المنشودة، والآمال المأمولة، واستعادة حقوقها المسلوبة، حتى تكون لها العزة والغلبة ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

أيها المسلمون: إن الدعوة إلى الله تعالى من آكد الواجبات على أمة الإسلام، ومن أفضل الأعمال وأجل الطاعات، وهي سبيل المرسلين، ونهج الصالحين، يقول عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]، فعلى علماء الإسلام البصيرين، ودعاته المخلصين أن يقوموا بالدعوة إلى الله تعالى حق القيام بالحكمة والموعظة الحسنة، وترغيب الناس في دين الله، وبيان محاسنه ومزاياه بكل صدق وإخلاص وتجرد عن كل غرض دنيوي، أو حظ نفسي، لا يحملهم على القيام بها سوى الرغبة في هداية الخلق إلى هذا الدين الحق الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، وفي الحديث عند أحمد وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»، فدين الإسلام هو الدين الحق، وما سواه من الأديان فباطل وضلال، والولاء والبراء أصل من أصول الإيمان، وواجبٌ من واجبات الاعتقاد فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦]، فالواجب على

المسلم أن يوالي في الله ويعادي في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان، ولن يجد العبد طعم الإيمان وحلاوته إلا إذا أخلص في ذلك، وتجرد عن الأغراض والأهواء في موالاته ومعاداته، فأحب ما أحب الله ورسوله، وأبغض ما أبغض الله ورسوله، ولم يقدم قول أحد كائناً من كان على قول الله وقول رسوله ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحب الله ورسوله، وأن يبغض ما أبغض الله ورسوله مما دل عليه في كتابه، فلا يجوز لأحد أن يجعل الأصل في الدين لشخص إلا لرسول الله ﷺ، ولا لقول إلا لكتاب الله عزّ وجلّ، ومن نصب شخصاً كائناً من كان، فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو من الذين فرقوا دينهم شيعاً، فليس له أن يجعل قدوته وأصحابه هم المعيار، فيوالي من وافقهم، ويعادي من خالفهم، وليس لأحد أن يدعو إلى مقالة أو يعتقدها لكونها قول أصحابه، بل لأجل أنها مما أمر الله به ورسوله، أو أخبر الله به ورسوله، لكون ذلك طاعة لله ورسوله».

عباد الله: إن مما يثلج صدور أهل الإيمان ما يُرى من صحوة إسلامية شاملة، لا سيما في صفوف الشباب، مما يبشر بمستقبل زاهر لهذا الدين القويم، غير أن هذه الصحوة أحوج ما تكون إلى أن تُضبط بضوابط الشرع المبين، المحققة للمصالح، والدارئة للمفاسد، وذلك لن يتحقق إلا في ظل موجهين مخلصين، من علماء ربانيين، ودعاة ناصحين، ممن عرفوا بالعلم الراسخ، والفقه الواسع، والبصيرة النافذة، ووُفِّقوا لصحة المعتقد وسلامة المنهج.

أما حين يتولى توجيه هذه الناشئة بعض من غلبت عليهم العاطفة الدينية، مع قصور في العلم الديني، والفقه الشرعي، فإنه يخشى على هذه الصحوة من أمور قد لا تحمد عقباها.

فاتقوا الله أيها العلماء والدعاة بالأخذ بيد الناشئة إلى طريق الحق، ونهج الهدى، والسير على ما كان عليه سلف هذه الأمة في قرونها المفضلة في الاعتقاد والعمل.

ولتتقوا الله يا شباب الإسلام بأخذ العلم الشرعي، والتوجيه الإسلامي من منابعه

الصافية، ومصادره المعتمدة لأئمة الإسلام المعتبرين، والالتفاف حول علمائكم البصيرين، والتلقي عن الفقهاء الراسخين الذين عرفوا بالعلم النافع، والعمل الصالح، والاعتقاد السليم، والمنهج السديد، ولتحذروا الأفكار المنحرفة، والاتجاهات المشبوهة، وإن تظاهر أصحابها بمظهر النصح وإرادة الخير، فالخير كله في اتباع منهج السلف الصالح، والرعيل الأول من الصحابة والتابعين ومن سار على هديهم من أئمة الهدى والدين.

عباد الله: إن ثقافة الأمم تعتمد في غالب أحوالها على مناهج التربية والتعليم، ووسائل الإعلام، مما يفرض على المسؤولين عن هذه الأجهزة في بلاد الإسلام أن يعنوا بتأسيس مناهج التربية والتعليم، وتوجيه وسائل الإعلام المختلفة على أسس سليمة، وأهداف تربوية صحيحة، تُستقى من هدي الإسلام وتعاليمه.

وإن مما يؤسى له عظيم الأسى، أن العالم الإسلامي قد ابتُليَ في كثير من بلاده بمناهج تعليمية وتربوية، ووسائل إعلام وقنوات اتصال مختلفة لا تتفق وتعاليم الإسلام في كثير من موادها وبرامجها، بل وتتنافى معه في غالب أحوالها، مما ينذر بخطر عظيم على الدين والقيم والفضيلة.

ألا فلتتقوا الله يا أرباب الفكر وحملة الأقلام ويا رجال التربية والإعلام في فلذات الأكباد، وناشئة المسلمين، ولتعملوا على تحصينهم بالإيمان، وتربيتهم على أخلاق أهل الإسلام، فتلكم مسؤولية عظمى وأمانة كبرى قد استرعاكم الله تعالى عليها، واستأمنكم عليها، فلتؤدوا الأمانة حق الأداء، ولترعوها حق الرعاية، ولتتذكروا قول الحق جلّ وعلا: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝٢٦ ﴾ [الصافات: ٢٤ - ٢٦].

أيتها الأخوات المسلمات: اتقين الله تعالى في أنفسكن، وفيما استرعاكن الله تعالى عليه من واجبات الدين، ورعاية حقوق الزوج، والعناية بتربية الأولاد على تعاليم الشرع وأخلاق الإسلام، وغرس ذلك في نفوسهم منذ الصغر، ولتتصفن بما افترض الله عليكن من الحشمة والحياء، والصيانة والعفاف، ولْتَحْذَرْن مخالفة ذلك بالتبرج والسفور، والاختلاط بالرجال الأجانب، والتقليد لأعداء الإسلام، أو التأثر

بأهل الأهواء، ودعاة الباطل الذين أشربوا حُبَّ الفتنة، وامتلأت قلوبهم بأمراض الشبهات والشهوات، فأخذوا يَدْعون إلى تبرج النساء وسفورهن، وتحسين ذلك وتزيينه تحت مظلات مختلفة، وعبر وسائل متنوعة، بأساليب ماكرة، ودعاوى باطلة، فلتحذرن من أولئك، ولتقتدين بأمهات المؤمنين، والصالحات من المؤمنات، ولتَسِرن على هدي القرآن الكريم الذي وَجَّه إليه زوجات سيد المرسلين، وهو توجيه لنساء الأمة في كل وقت وحين، فقد قال عز وجلّ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣].

أيها المسلمون: تذكروا باجتماعكم في هذا اليوم العظيم يوم يجمع الله تعالى عباده الأولين والآخرين للجزاء والحساب يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فاستعدوا لذلك اليوم العظيم الذي تشيب لهوله الولدان، وتذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، فلا تلهينكم الحياة الدنيا ومُتَعُها الزائفة، وحظوظُها الفانية، عن العمل للحياة الباقية، والاستعداد للدار الآخرة، فلقد حذر الله عزّ وجلّ عباده عن التمادي في الغفلة والطغيان، وإيثار الحياة الدنيا، وندد سبحانه بالغافلين، وأشاد بالمتقين الذين استجابوا للحق، وجانبوا هوى النفس وعملوا للدار الآخرة، مبيناً جلَّ شأنه مآل كل فريق وجزاءه يوم الدين، فقال عزّ شأنه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٤١].

فاتقوا الله عباد الله ولا تخدعنكم النفوس بالأماني والآمال: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٥، ٦].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، نبيه المصطفى، وخليله المجتبى، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأتقياء، والسادة الحنفاء، ومن سار على هديهم واقتفى وسلم تسليماً كثيراً.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، والتزموا شرعه المبين، وصراطه المستقيم، وتحلوا بآداب الدين، وتخلقوا بأخلاقه، فلقد هدى الإسلام إلى أرقى الآداب، وأسمى الأخلاق، فدين الإسلام ليس بدين عبادة بين العبد وربه فحسب، بل هو إلى جانب ذلك دين خلق كريم، وأدب رفيع، ومعاملة حسنة مع الناس كافة، فاتصفوا عباد الله بذلك، ولا سيما في مثل هذه الأيام المباركة، فإنها أيام فرح وسرور، وغبطة وحبور، وإن للأهل والأقربين والجيران حقاً في مزيد العناية والرعاية، بالتودد والتبجيل والإكرام والتقدير، لما لذلك من أثر عظيم في إضفاء المودة، وإشاعة المحبة بين الناس، فقد قال عليه الصلاة والسلام في معرض حث الأمة على التحلي بحسن الخلق: «ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق». رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح. وروى أبو داود وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم».

عباد الله: إن من أفضل الأعمال، وأجل الطاعات في هذه الأيام: التقرب إلى الله تعالى بذبح الأضاحي، فإنها سنة أبيكم إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهدي نبيكم محمد ﷺ، فقد رغبكم فيها بفعله، وندبكم إليها بقوله: «ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحبَّ إلى الله من هراقة دم، وإنه ليأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها، وإن الدم ليقع من الله عزّ وجلّ بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفساً». رواه الترمذي وابن ماجه. فيسن لمن أراد أن يضحي أن يختار من الإبل أو البقر أو الغنم أسمنها وأطيبها، وليتجنب ما كان فيه عيب منها، فإنه لا يجزىء أن يضحى بالعوراء، ولا العرجاء، ولا الهزيلة، ولا المريضة، ولا الهتماء التي سقطت ثناياها، ولا يجزىء أن يضحى إلا بما تمّ له خمس سنين من الإبل، وسنتان من البقر، وسنة من المعز، ونصف السنة من الضأن، وتجزىء الشاة عن الرجل وأهل بيته، والبدنة والبقرة عن سبعة، ويسن أن تقسم الأضحية أثلاثاً، فيهدى ثلثها، ويتصدق بثلثها، ويؤكل ثلثها، ووقت الذبح من بعد صلاة العيد إلى آخر أيام التشريق، يقول عزّ وجلّ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج: ٣٦، ٣٧].

حجاجَ بيت الله الحرام: اشكروا الله عزّ وجلّ على ما هيأ لكم ويسر من أداء أعظم مناسككم بالوقوف بعرفة والمشعر الحرام بهدوء وطمأنينة وسلام، فاشكروا المولى على مزيد الفضل والإنعام، ولتحرصوا على إكمال ما بقي من مناسككم على هدي نبيكم ﷺ، ومما بقي عليكم من ذلك رمي جمرة العقبة في هذا اليوم، ثم نحر الهدي لمن كان عليه هدي، ثم الحلق أو التقصير، والحلق أفضل، ثم التوجه إلى هذا البيت العتيق في هذا اليوم إن تيسر وإلا بعده، ويطوف الحاج عندئذٍ طواف الإفاضة، ثم يسعى بين الصفا والمروة إلا أن يكون قارناً أو مفرداً، وقد سعى قبل الحج بعد طواف القدوم فيكفيه سعيه ذلك.

ولا حرج يا عباد الله على من قدم أو أَخَّر شيئاً من أعمال يوم النحر، فإنه ما سئل ﷺ يوم النحر عن شيء قُدِّم ولا أُخِّر إلا قال: افعل ولا حرج، ثم يعود الحاج

بعد ذلك إلى منى، ويبيتُ بها ليالي أيام التشريق، ويرمي الجمار الثلاث في كل يوم بعد الزوال، ثم إن شاء أن يتعجل في يومين فله ذلك، وإن تأخر فهو أفضل لفعله ﷺ ثم لا يبقى على الحاج بعد ذلك إلا طواف الوداع، وهو آخر شيء يفعله الحاج قبل سفره من مكة.

فاتقوا الله عباد الله وأخلصوا لله تعالى حجكم وسائر عباداتكم ولتكن على هدي نبيكم ﷺ يُكتبْ لكم القبول وغفران الذنوب.

الاستقامة على نهج الهدى [١]

الحمد لله الباقي على الدوام، المتفضل على عباده بجزيل العطاء والإنعام، أحمده سبحانه وأشكره على مزيد الفضل والإكرام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك العلام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الأنام، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام، ومن سار على هديهم واقتفى أثرهم إلى يوم المعاد.

أما بعد: فيا أيها المسلمون أوصيكم ونفسي بتقوى الله عزّ وجلّ، فإنها وصية الله تعالى لعباده الأوائل والأواخر، بها تزكو النفوس، وتصلح القلوب، وتسمو الضمائر، وبها ينال العبد شرف الدنيا، وعزّ الآخرة، فاتقوا الله حق التقوى، واتصفوا بها ظاهراً وباطناً، واعملوا على شكر المولى جلّ وعلا، على ما أولاكم من نعم عظمى، وما حباكم من آلاء تترى، حيث هداكم للإيمان، وشرفكم بالإسلام، وهيأ لكم مواسم إيمانية، وأزمنة شريفة، فضلها على سواها من الأزمان والأوقات، بما شرع فيها من أنواع القرب والطاعات، ليضاعف لكم بذلك الأجور والحسنات، ويكفر عنكم الذنوب والخطيئات، فالسعيد من العباد من وفق إلى اغتنام تلك المواسم المفضلة بما يقربه إلى ربه، ويدنيه من رحمته، لا سيما من أكرمه المولى بإكمال أركان الدين، فحَجَّ هذا البيت العتيق، وكان في عداد المقبولين عند رب العالمين، لما رتب الله عزّ وجلّ على الحج إلى بيته الحرام من فضل عظيم، وثواب جزيل، بينه رسول الهدى ﷺ بقوله: «من حجّ لله فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولهما عنه رضي الله عنه قال:

---

(١) أول خطبة بعد انتهاء موسم الحج.

قال رسول الله ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»، فأي فضل وجزاء أعظم من هذا الفضل والجزاء، يتفضل به المولى جلّ وعلا على من يشاء من عباده، وذلك هو الفضل العظيم.

عباد الله: إن من صدق الإيمان ودلائل قبول صالح الأعمال، وعلامات الرضى من الرحمن على العبد أن يزداد إثر المواسم المباركة عبودية لله وخضوعاً، وإنابة وخشوعاً، واستقامة على نهج الهدى، واستدامة للطاعة والعبادة لله جلّ وعلا، فإن من أمارة قبول الطاعة، الطاعة بعدها، ومن أمارة ردها، المعصية بعدها، فما أجمل الحسنة تتبعها الحسنة، وما أقبح السيئة بعد الحسنة، والضلالة بعد الهدى.

وإن مما يؤسى له، أن يفرط البعض في اغتنام مواسم الخيرات الربانية، والنفحات الإلهية، حتى تنقضي تلك المواسم، دون أن يقدموا لأنفسهم أعمالاً صالحة تقربهم من ربهم، وتدنيهم من رحمته ورضوانه، والأسوأ من ذلك أن يغتنم البعض تلك المواسم المشرفة بأنواع من الطاعات، وجليل الأعمال الصالحات، حتى إذا ما انقضت تلك الأزمنة المباركة، ضعف في نفوسهم داع الإيمان والتقوى، وقوي سلطان الهوى، فخف حرصهم على أداء الواجبات والكف عن المحرمات، بل ربما أدى ببعض أولئك إلى ترك الواجبات واقتراف الذنوب والخطيئات، فكانوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، فأين هؤلاء عن آثار تلك العبادات من صلاة وصيام وصدقة وإحسان، وحج إلى بيت الله الحرام، وذكر لله بالغدو والآصال، وغير ذلك من أنواع البر والطاعة، وما فيها من دروس الإيمان، والصلاح والتقوى.

ألا فلتستديموا أيها المؤمنون، ويا حجاج بيت الله الحرام أمد الطاعة والإنابة لله تعالى، ولتسلكوا مسلك الهدى والرشاد الذي كنتم عليه في تلك المواسم المعظمة، والأزمنة المشرفة، فقد قال عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، فقد كان أهل الجاهلية يشتغلون بتعداد مآثر آبائهم وأجدادهم بعد فراغهم من أداء مناسكهم، فأبدل الله تعالى أمة الإسلام بما هو خير وأنفع، وهو استدامة ذكر الله عزّ وجلّ، ليستشعر العبد وجوب الاستقامة على نهج الهدى، وإدامة الطاعة والعبادة لله جلّ وعلا في جميع الأوقات، وعلى كل الأحوال، فإنه ليس للاستقامة على الطاعة زمن تنتهي بانتهائه،

ولا للعبادة أجل تنقضي بانقضائه، غير أن الله عزّ وجلّ قد خص بعض الأزمنة بمزيد من العبادة والطاعة، ليزداد المؤمنون فيها إيماناً، ولتكون عوناً لهم على استدامة العبادة، والاستقامة على الطاعة أيام الحياة كلها، حتى يلقوا ربهم جلّ وعلا عملاً بقوله عز شأنه: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود: ١١٢]، وفي الحديث عند مسلم وغيره عن سفيان بن عبدالله رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قل آمنت بالله ثم استقم»، فقد وجه رسول الهدى ﷺ هذا السائل ـ رضي الله عنه ـ وهو توجيه للأمة كافة إلى تحقيق الإيمان المشتمل على أصول العقائد، وما يتبعه من شرائع وأحكام، ثم الاستقامة على ذلك النهج حياته كلها حتى يلقى وجه ربه، ولذا قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: «إن الله تعالى لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩].

فاتقوا الله عباد الله والتزموا على الدوام نهج الصلاح والهداية، فلقد وعد الله عزّ وجلّ أهل الطاعة والاستقامة بأكرم جزاء، وأعظم نعيم. إنه النعيم المقيم ﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥]، ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الزخرف: ٧١]، فلهذه الدار فليعمل العاملون، ولأجل ذلك النعيم فليتنافس المتنافسون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه سبحانه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلّى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله حق تقاته، واعملوا بطاعته ومرضاته، واشكروه جلّ وعلا على نعمه المتكاثرة، ومننه الضافية، ومن أحق وأولى بالشكر وإدامة الذكر في هذه الأيام منكم حجاج بيت الله الحرام، على ما يسر لكم المولى سبحانه من الوصول إلى هذه الرحاب الطاهرة، والمواطن المقدسة وما منَّ به عليكم من أداء مناسككم بيسر وسهولة وأمن وطمأنينة، فاشكروا الله جلّ وعلا على ذلك، ولتعقدوا العزم على دوام الإنابة إليه تعالى، والاستقامة على درب الهدى والفلاح، والسير على نهج الخير والصلاح، والمسارعة إلى مغفرة الله ورحمته صدقاً وإخلاصاً، فإن المؤمن حقاً يا عباد الله هو من لا تزيده نعم المولى عليه إلا تذللاً بين يديه سبحانه، وتواضعاً له، فكلما جدد الحق له نعمة ازداد له عبودية وخضوعاً، وإنابة وخشوعاً، فكونوا عباد الله ممن لا تزيده النعم إلا إقبالاً على الله تعالى، وتوجهاً إليه، واستقامة على الدين، وتمسكاً بالشرع المبين، ففي ذلك الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤].

خطبة الاستسقاء

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [الفاتحة: ٢ ـ ٤]، لا إله إلا الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا إله إلا الله الولي الحميد، لا إله إلا الله المؤمَّل لكشف كل كرب شديد، لا إله إلا الله المرجو للإحسان والمزيد، لا إله إلا الله مجيب دعوة المضطرين، لا إله إلا الله فارج هَمِّ المهمومين، لا إله إلا الله مجزل النعم على جميع المخلوقين، سبحان مجيب الدعوات، سبحان فارج الكربات، سبحان مغيث اللهفات، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه العظمى، وآلائه التي تترى. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلي الأعلى، له الخلق والأمر وبيده النفع والضر، وكل شيء عنده بأجل مسمى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، نبيه المصطفى وخليله المجتبى، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى، وبدور الدجى، ومن سار على هديهم واقتفى، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى وأطيعوه، وامتثلوا أمره ولا تعصوه، وتقربوا إليه جلّ وعلا بالأعمال الصالحة، وبادروا أعماركم بالتوبة والإنابة، وتذكروا عباد الله: أنه ما يصيب البلاد من قلة الغيث، ونقص الأمطار، وما ينشأ عن ذلك من غَوْر العيون والآبار، وحصول التلف في الزروع والثمار، وكثرة المصائب المتنوعة، والكوارث المروعة، وفشو الأمراض المستعصية، وغير ذلك مما يحل بالعباد والبلاد من مصائب ورزايا، إنما هو بسبب الإعراض عن طاعة الله، وارتكاب الذنوب والآثام، كما قال سبحانه: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٤١ ﴾ [الروم: ٤١].

وإن مما يؤسى له عظيم الأسى ما يرى من ارتكاب للمعاصي، ومجاهرة بالمنكرات، في مظاهر مألوفة في كثير من بلاد الإسلام، ومجتمعات المسلمين، حتى

بلغ الإعراض عن طاعة الله ببعض أهل الإسلام إلى التعلق بالمخلوقين من دون الله، والاستغاثة بالأموات، وسؤالهم العون والمدد، وكشفَ البلاء والكرب، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢]، ولقد أدى الإعراض عن طاعة الله ببعض بني الإسلام إلى إهمال كثير من شعائر الملة والدين، من إضاعة للصلاة ومنع للزكاة، وتعامل بالربا وتحايل على أكل أموال الناس بالباطل، وبخس للمكاييل والموازين، وغش وخداع في المعاملات، واتباع للأهواء والشهوات، وكثرة الإحن والشحناء والعداوات، وتعاطي المخدرات والمسكرات، واقتراف الفواحش والمنكرات، وخلع جلباب الحشمة والحياء، والتبرجُ والسفور في النساء، والإغراءُ بالفتنة، وارتفاع أصوات المعازف والمزامير، والاستطالة في أعراض عباد الله بالغيبة والنميمة، والبهتان والافتراء، وضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك الحكم بما أنزل الله تعالى في كثير من بلاد الإسلام، وغير ذلك من بلاء عظيم، وشر مستطير، مما كان سبباً في توالي المصائب والمحن على أمة الإسلام، حتى أصبحت تعاني أوضاعاً مؤلمة، وتعايش مآسٍ محزنة في كثير من بلادها وأقطارها، وهذه سنة الله في خلقه ولا تبديل لسنته، أنه ما ظهرت المعاصي في أمة إلا أذلتها، ولا تمكنت من قلوب إلا أعمتها، ولا فشت في ديار إلا أهلكتها حتى تدع الديار بلاقع: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [هود: ١٠٢، ١٠٣].

وفي الحديث عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله تعالى، ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم». رواه ابن ماجه والحاكم وصححه.

فاتقوا الله يا عباد الله واشكروه تعالى على ما تنعمون به في هذه البلاد المباركة

من أمنٍ وارف، وعدلٍ شامل، ونعمٍ وافرةٍ وخيراتٍ متكاثرة، قلَّ نظيرها، وعزَّ مثيلها، فاحفظوا هذه النعم، وقيدوها بالشكر لله جلّ وعلا، فقد قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٧]، ولتحذروا عباد الله بأس ربكم وسخطَه، وفُجاءةَ نقمته، وتحوّلَ عافيته، وزوالَ نعمه، فإن الله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣]، فأقبلوا على ربكم وأطيعوه، واستغفروه وتوبوا إليه، فإنه ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، وإن الله عزّ وجلّ يقبل توبة التائبين، ويعفو عن المستغفرين إذا لجأوا إليه صادقين منيبين، فإن الإكثار من الاستغفار والتوبة من أسباب تنزل الرحمات الإلهية، والألطاف الربانية، وحصول الفلاح في الدنيا والآخرة، كما قال عزّ شأنه: ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النمل: ٤٦]، وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١]، وقال سبحانه حكاية عن نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢]، وقال عزّ وجلّ حكاية عن هود عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [هود: ٥٢]، وفي الحديث عند الإمام أحمد وأبي داود أنه ﷺ قال: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فَرَجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»، وقال رسول الهدى ﷺ في معرض حث الأمة على كثرة الاستغفار والتوبة: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة». رواه البخاري في صحيحه، ولما خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستسقي لم يزد على الاستغفار، فقالوا له: ما رأيناك استسقيت، فقال: «لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يُستنزل بها المطر»، فشأن أهل الإيمان الخُلَّص، وأربابِ التقوى، اللجوء إلى الله تعالى على الدوام، وكثرة التوبة والاستغفار، صادقين مخلصين، غير يائسين ولا مُصرِّين، يستغفرون الله بألسنتهم وقلوبهم، ويتوبون إليه توبة نصوحاً، عملاً بقوله عزّ وجلّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [التحريم: ٨].

عباد الله: إنكم قد شكوتم جدب الديار، وانحباس القطر والغيث عن البلاد، وتأخر نزوله عن الحروث والزروع، وإن الله تعالى ما ابتلاكم بذلك إلا لتقبلوا عليه، وتلتجأوا إليه، فابتهلوا إليه تعالى ضارعين مخبتين أن يكشف عنكم ما حل بكم من جدب وقحط، وادعوه وألحُّوا في الدعاء فإن الله يحب الملحين في الدعاء، فقد قال عزّ شأنه: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

اللَّهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت ربنا ونحن عبيدك، ظلمنا أنفسنا ظلماً كثيراً، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرة من عندك، وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم.

اللَّهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣]، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين، ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يونس: ٨٥].

اللَّهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين. اللهم أغثنا، اللَّهم أغثنا، اللَّهم أغثنا، اللَّهم اسقنا غيثاً مُغيثاً، هنيئاً مريئاً، غَدَقاً طَبَقاً مجللاً، سحاً عاماً، نافعاً غير ضار، عاجلاً غير آجل، اللَّهم تحيي به البلاد، وتغيث به العباد، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد. اللَّهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا بلاء، ولا هدم ولا غرق. اللَّهم اسق بلادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحيي بلدك الميت. اللَّهم أنبت لنا الزرع، وأدرَّ لنا الضرع، وأنزل علينا من بركاتك، واجعل ما أنزلته قوة لنا على طاعتك، وبلاغاً إلى حين. اللَّهم إنا خلق من خلقك، فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك. اللَّهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً، فأرسل السماء علينا مدراراً، اللَّهم أنزل علينا من السماء ماءً طهوراً فأحيي به بلدة ميتاً وأسقه مما خلقت أنعاماً وأناسي كثيراً، اللَّهم اسقنا الغيث، وآمنا من الخوف، ولا تجعلنا

آيسين، ولا تهلكنا بالسنين، اللَّهم يا من وسعت رحمته كل شيء ارحم الشيوخ الركع، والأطفال الرضع، والبهائم الرتع، وارحم الخلائق أجمع.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

عباد الله: لقد كان من هدي نبيكم ﷺ قلبُ الرداء حينما يستسقي، فتأسوا به ﷺ، واجتهدوا في الدعاء، وادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة عسى ربكم أن يرحمكم، فيغيث قلوبكم بالرجوع إليه، وبلادكم بإنزال الغيث عليه ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

خطبة آخر العام

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً، وجعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يَذَّكَّر أو أراد شكوراً، أحمده سبحانه وأشكره على ما أنعم وأولى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أفضل الخلق طراً، وأزكاهم طاعةً وبراً، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأتقياء، والسادة الحنفاء، ومن سلك سبيلهم واقتفى، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أيها الناس أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، فاتقوه حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وتذكروا عباد الله أن مرور الليالي والأيام، وتصرم الشهور والأعوام، مؤذن بانقضاء الآجال، وتغير الأحوال، وقرب الرحيل من هذه الدار إلى دار القرار.

وها أنتم يا عباد الله تودِّعون عاماً مضى وانقضى، وذهبت أيامه ولياليه، وطويت صحائفه وأعماله بما استُودع فيها من خير وشر، ولا مطمع لأحد في تلافي ما مضى، ولا تدارك ما فات وانتهى، وإنما المؤمَّل في تدارك مستقبَل الأيام، والبداية بالتوبة والإنابة للملك العلام.

وإنكم يا عباد الله تودعون عاماً مضى لا يُدرى ما الله صانع فيه، وتستقبلون عاماً جديداً لا يُدرى ما الله قاضٍ فيه، ولا يدري أحدنا هل يستكمله، أم يخترمه الأجل قبل تمامه فالآجال مغيَّبة، والموت يأتي بغتة، والموفق من استعد للموت قبل نزوله، وتأهب للأجل قبل حلوله.

وإن أعظم معين على ذلك تذكر الموت على الدوام، كما أرشد إلى ذلك

رسول الله ﷺ حيث قال: «أكثروا من ذكر هاذم اللذات يعني الموت فإنه ما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسّعه، ولا في سعة إلا ضيقها»، فمَن ذكر الموت حَقَّ ذكرِه حمله على محاسبة النفس، والأخذِ بها في دروب الصلاح والتقى، ومجانبة الشهوات والهوى، يقول بعض الصالحين: «من أكثر ذكر الموت أُكرم بثلاث: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاث: تسويفِ التوبة، وتركِ الرضا بالكفاف، والتكاسلِ في العبادة».

عباد الله: إن الموفَّقين من أهل اليقظة والبصيرة، قد أدركوا حقيقة هذه الحياة، فلم يرفعوا بها رأساً، وإنما خَلَّفوها وراءهم ظِهرياً، حملهم ذكر الموت على الدوام على أن يجتهدوا في سلوك سبيل النجاة، وأخذوا أنفُسَهم بملازمة الطاعة والعبادة، واجتناب المعصية والضلالة، ولم يغتروا بزينة هذه الحياة، فلم يفرحوا في أيامها، ولم يأنسوا بلياليها إلا بالعبادة والطاعة، ولذيذِ المناجاة والإنابة، يقول الإمام الحسن البصري رحمه الله: «إن الموت قد فضح الدنيا، فلم يدع لذي لب بها فرحاً»، وقال مطرف بن عبدالله رحمه الله: «إن الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فالتمِسوا نعيماً لا موت فيه، لقد أمن أهل الجنة الموت، فطاب لهم عيشهم، وأمنوا الأسقام، فهنيئاً لهم طول مقامهم، فليُستعد للموت قبل نزوله، وليؤخذ له أهبته قبل حلوله، وليُتزود لما بعده من الشدائد والأهوال، فقد وقف رسول الله ﷺ على شفير قبر فبكى حتى بل الثرى، ثم قال: يا إخواني لمثل هذا فأعدوا».

وإنه ما من ميت يموت إلا ويندم، ففي الحديث: «ما من أحد يموت إلا ندم، قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع». رواه الترمذي وغيره.

وقال قتادة رحمه الله: «والله ما تمنى المفرط أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة، ولا أن يجمع الدنيا ويقضي الشهوات، ولكن تمنى أن يرجع ليعمل بطاعة الله».

أيها المسلمون: كل زمان في هذه الدنيا إلى زوال وانتهاء، وكل حي فيها صائر للفناء، وكل شيء ما خلا الله باطل، وكل نعيم بعده الموتُ زائل، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]. كم لاهٍ والموت يطلبه، وساهٍ

قد دنى أجله، وكم غافل يرفل في ثياب الصحة، ويتمتع بنعمة العافية، فرحاً بقوته وشبابه، وغناه وقدرته، لا يخطر له الضعف ببال، ولا الموت في حال من الأحوال، أصابه مرض أجهده فضعف بعد قوة، واستكان بعد عزة، وحَلَّ الهَمُّ من نفسه محل الفرح، والكدرُ مكان الصفاء، والحزن محل السرور، ولم يعد يأنس بصديق وجليس، ولا يُسَرُّ بمحدث وأنيس، قد سئم ما كان يرغبه في صحته، وصار لا يشتهي الغذاء، ويكره تناول الدواء، يفكر في عمر أفناه، وشباب أضاعه وأبلاه، ويتذكر أموالاً جمعها، وقصوراً شيدها، يتألم لدنيا يفارقها، وذريةٍ ضِعاف يُخَلِّفُها، يخشى عليها الضياع من بعده، مع اشتغال نفسه بمرضه وآلامه، وتعلق قلبه، بما يُعجِّل شفاءه، ولكن ما الحيلة إذا استفحل الداء، ولم يفد الدواء، وتغير الطبع والمزاج، وتحير الأطباء في العلاج، عندئذٍ يستشعر الندم على ما مضى، ولات ساعة مندم، ويحس بعواقب التفريط والإهمال.

وكما هنالك ممن زلت به القدم، دون سابق مرض أو ألم، بل هجمت عليه المنية، وسلبه الموت في لحظات، دون إمهال أو انتظار، وترك هذه الدار مخلِّفاً وراءه آمالاً عريضة، وأموالاً عظيمة ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ١٩ ـ ٢٢].

وكم نشاهد يا عباد الله كثرة الراحلين عنا، وكم نشيع بين الحين والآخر بعض الأقربين منا، نبوؤهم أجداثهم، ونأكل تراثهم، وكأنهم سفر عما قليل إلينا راجعون، حل بهم ريب المنون: ﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٠٦، ٢٠٧].

ألا نعتبر بما آلوا إليه! ، فإنا إلى ما صاروا إليه صائرون، وعما قريب إليهم راحلون: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة: ٨].

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فوعظ الناس موعظة بليغة قال فيها: «أوصيكم بذكر الموت، وإقلال الغفلة عنه، وكيف غَفْلتكم عما ليس

يُغفِلكم!، وطمعكم فيمن ليس يهملكم!، فكفى واعظاً بموتى عاينتموهم، حُملوا إلى قبورهم غير راكبين، وأُنزلوا فيها غير نازلين، وأُودعوا حفراً غير راغبين، أنِسُوا بالدنيا فغرَّتهم، ووثقوا بها فصرعتهم، فسابِقوا رحمكم الله إلى منازلكم التي أُمرتم أن تعمروها، والتي رُغِّبتم فيها ودُعيتم إليها، واستتموا نعم الله عليكم بالصبر على طاعته، والمجانبة لمعصيته، وبادروا الموت وغمراته، وامهدوا له قبل حلوله، وأعدوا له قبل نزوله، فإن الدنيا ماضية بكم على سَنَن، وأنتم والساعة في قَرَن، وكأنها قد جاءت بأشراطها، وأشرقت بزلازلها، ووقفت بكم على صراطها، وانصرمت الدنيا بأهلها، وأخرجتهم من حضنها، فكانت كيوم مضى، أو شهر انقضى، وصار جديدُها رثّاً، وسمينها غثّاً، في موقف ضنْك المقام، وأمور مشتبهة عظام، ونار شديد كَلَبُها، عالٍ لَجَبُها، ساطع لهبها، متغيظ زفيرها، فارعوا عباد الله ما برعايته يفوز فائزكم، وبإضاعته يخسر مبطلكم، وبادروا آجالكم بأعمالكم، فإنكم مرتهنون بما أسلفتم، ومدينون بما قدمتم، وكأن قد نزل بكم المخوف، فلا رجعة تنالون، ولا عثرة تُقالون ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ [الأنبياء: ١، ٢].

فاتقوا الله عباد الله، ولتستدركوا ما فات من أعماركم، ولتغتنموا بقية حياتكم، ولتختموا بالصالحات أعمالكم، ولتقبلوا على ربكم وتطيعوه، ولتستقيموا على دينه وتستغفروه، ولتحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، فلتستعدوا ليوم الحساب ولتتهيؤوا ليوم العرض الأكبر على الله ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩﴾ [الحاقة: ١٨ ـ ٢٩].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أول الخطبة الثانية

الحمد لله الباقي على الدوام، ومصرِّف الليالي والأيام، أحمده سبحانه وأشكره على ترادف الآلاء والإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك العلام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الأنام، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله تعالى ربكم وتوبوا إليه وبادروا بصالح الأعمال، ما دمتم في زمن الإمهال، ولا تكونوا ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة لطول الأمل، ولتكثروا زيارة القبور، فإنها تذكر الآخرة، ولتعتبروا بمن أودع فيها ممن كانوا بالأمس معنا، فأضحوا رهائن تحت التراب، وانقطعوا عن الأهل والأحباب، وليتأمل الزائر حال من مضى من الأقران، أكثَروا الآمال، وجمعوا الأموال، فانقطعت آمالهم، ولم تغن عنهم أموالهم، محا التراب محاسن وجوههم، وتفرقت في القبور أشلاؤهم، وترملت نساؤهم، وقُسمت أموالهم، وسُكنت مساكنهم ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٩٤].

ألا فاتقوا الله ـ رحمكم الله ـ ولتعتبروا بمصير من سبقكم إلى الدار الآخرة، ولتستقبلوا عامكم الجديد بنوايا صالحة، وعزائم صادقة، على فتح صفحة جديدة، بيضاء نقية، ملؤها التوبة والإنابة لله، والإقبالُ على طاعته، وسلوك سبيل الصالحين، والسير على هدى المتقين، والعمل على نصرة دين الله، وإعلاء شأنه على قدر الجهد والطاقة، فإن أمة الإسلام اليوم تعاني أوضاعاً مؤلمة، وأحوالاً مؤسفة، جراء ما حلَّ بها من مصائب ورزايا، ومحن وبلايا.

وإن من أسوأ ذلك ما حلَّ بإخواننا في إقليم كوسوفا من فجائع عظمى،

ومصائب كبرى، من سفك للدماء، وانتهاك للأعراض، وسلب للأموال، وتشريد عن الأوطان، في سلسلة من الاعتداءات المتتالية يشنها الصرب الحاقدون، مما هو امتدادٌ لما ارتكبوه في بلاد البوسنة والهرسك من أبشع الجرائم، وأفظع الحوادث في التاريخ المعاصر، مما يحتم على أمة الإسلام أن يَهُبُّوا لنصرة إخوانهم أولئك المضطهدين، وأن يكونوا معهم بالنصر والتأييد، ورفع أكف الضراعة للمولى سبحانه أن يكشف عنهم ما حلَّ بهم من البلاء، وأن يزيل عنهم الضراء والبأساء، ولتضاعفوا الدعم والمساعدة لهم، فأغيثوا الملهوفين، وواسوا المكلومين، وسدوا حاجة الفقراء منهم والمعوزين، كي تخففوا بعض آلامهم، وتقللوا من مآسيهم وأحزانهم، فرحم الله امرءاً أعان على ذلك وساهم فيه ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

وإن ما يحز في نفس كل مسلم غيور يا عباد الله، أن ينتهي عام تلو عام دون أن يُرى بوادر تَقَدُّم وتحسن لأوضاع أمة الإسلام مما تعانيه في كثير من أحوالها في شتى المجالات، وفي مختلف الأقطار، فعسى أن يكون هذا العام الجديد فاتحةَ نصر، وعنوانَ سعد، تشق فيه أمة الإسلام طريق القوة، وترفع عنها آصار الذل والتبعية، ويعود لها ما كانت عليه في عهودها الزاهية من قوة لا تبارى، وسيادة لا تدانى، وهيبة لا تجارى، حقق الله تعالى ذلك وأقر أعين المؤمنين بنصرة هذا الدين وإعلاء شأن المسلمين ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

نموذج للخطبة الثانية

الحمد لله الذي أسعد بجواره من أطاعه واتقاه، وقضى بالذل والهوان على من خالف أمره وعصاه، أحمده سبحانه وأشكره على سوابغ آلائه ونعماه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه السادة الأخيار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد.

أما بعد: فيا أيها المسلمون، اتقوا الله تعالى ربكم حق تقاته، واعملوا بطاعته ومرضاته وعليكم بسلوك سبيل المتقين، والاتصاف بصفات المؤمنين الصادقين، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فالتَزَموا بشرع الله ودينه في عباداتهم لربهم، وفي معاملاتهم لعباد الله، فأَخْلَصوا لله العبادة والطاعة، وأحسنوا مع عباد الله المعاملة، واتصفوا بالصدق والأمانة وابتعدوا عن الكذب والخيانة، فطهَّروا بإخلاصهم قلوبَهم، وزكّوا بحسن معاملاتهم نفوسَهم، فكانوا بذلك من المقرّبين عند ربهم.

فاتصفوا أيها المؤمنون بصفات المتقين، وانهجوا نهج أولئك المؤمنين الصادقين، كما أمركم بذلك المولى في محكم التنزيل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

ألا وصلوا عباد الله على خير الصادقين، وإمام الحنفاء المخلصين، كما أمركم بذلك رب العالمين بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد أزكى البرية أجمعين، وخليل رب العالمين، وارضَ اللهم عن خلفائه الراشدين، الأئمة المهديين الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر الصحابة أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وانصر عبادك المؤمنين، واحم حوزة الدين يا رب العالمين.

اللهم آمنا في أوطاننا، واحفظ أئمتنا وولاة أمورنا، ووفقهم لهداك، واجعل عملهم في رضاك يا رب العالمين. اللهم احفظ إمامنا بحفظك وأيده بتأييدك وأعز به دينك يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم وفق جميع ولاة أمور المسلمين للعمل بكتابك، وسنة نبيك يا رب العالمين.

اللهم وأبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة، ويذل فيه أهل المعصية، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر يا سميع الدعاء. اللهم ادفع عنا الغلا والوبا والربا والزنا والزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلادنا وعن سائر بلاد المسلمين يا رب العالمين.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك المضطهدين في دينهم في كل مكان. اللهم انصرهم في فلسطين وفي الشيشان وكشمير وغيرها من سائر الأوطان، اللهم كن لهم عوناً وظهيراً، وهيىء لهم من لدنك ولياً ونصيراً. اللهم عليك بأعدائهم، فإنهم لا يعجزونك، اللهم اقذف الرعب في قلوبهم، وفرق جمعهم وشتت شملهم، وأنزل بهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين يا قوي يا عزيز.

اللهم حبب إلينا الإيمان وزيّنه في قلوبنا وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين. ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾، ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾.

عباد الله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾. فاذكروا الله الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه:

عمر بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبد العزيز السبيل، من قبيلة آل غيهب، فخذ من قبيلة بني زيد المعروفة في نجد، وهي من قضاعة، وقضاعة من قحطان.

مولده:

ولد - رحمه الله تعالى - في محافظة البكيرية إحدى محافظات منطقة القصيم، في رمضان من سنة ١٣٧٧ هـ.

نشأته وحياته العلمية:

نشأ - رحمه الله - في بيئة علمية، فأبوه الشيخ محمد السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام، وعمه الشيخ/عبد العزيز السبيل قاضي البكيرية وأحد علماء نجد الكبار[١].

درس المرحلة الابتدائية في مكة المكرمة، ثم انتقل إلى الدراسة في معهد الحرم المكي، ليدرس المرحلة الإعدادية والثانوية، أتم خلالها حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب حيث كان في الخامسة عشر من عمره، وتخرج في معهد الأرقم بن أبي الأرقم لتحفيظ القرآن الكريم، وبعدها عرض القرآن على بعض القراء عدة مرات، ثم انتقل إلى الرياض ملتحقاً بكلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فتخرج فيها عام ١٤٠٢ هـ، واختير معيداً في الكلية في تلك السنة، ثم انتقل إلى مكة المكرمة، سنة ١٤٠٣ هـ وعمل معيداً في كلية الشريعة في جامعة أم القرى، وحصل على درجة الماجستير عام ١٤٠٦ هـ، ثم الدكتوراه عام ١٤١٢ هـ، ثم عين إماماً وخطيباً للمسجد الحرام في ربيع الأول من عام ١٤١٣ هـ.

(١) علماء نجد خلال ستة قرون: ٣/ ٩٣٥.

شيوخه:

تتلمذ رحمه الله على عدد من العلماء ففي مكة قرأ القرآن على عدد من المقرئين منهم:

الشيخ/ محمد أكبر شاه: وقد حفظ عليه القرآن الكريم، وحصل منه على إجازة في قراءة حفص عن عاصم.

الشيخ/ سعيد محمد العبدالله المدرس بجامعة أم القرى سابقاً: وقد قرأ عليه القرآن قراءة تجويد وكان يتردد عليه للقراءة حتى حصل منه على إجازة بقراءة عاصم براوييه شعبة وحفص، وبقراءة ابن كثير براوييه البزي وقنبل.

كما تتلمذ في مكة على كل من:

عمه فضيلة الشيخ/ عبد العزيز بن عبدالله السبيل، (رحمه الله).

والده فضيلة الشيخ/ محمد السبيل، وله منه إجازة في الحديث، وفي سند المد النبوي.

الشيخ/ عبدالله الصومالي، وقد درس عليه علم الحديث.

الشيخ/ عبد الفتاح راوه (رحمه الله). المدرس بالمسجد الحرام، والفرضي المعروف في مكة المكرمة، وقد درس عليه علم الفرائض، وحصل منه على إجازة فيه.

الشيخ/ محمد صالح حبيب (رحمه الله)، وقد درس عليه علم النحو.

وممن درس عليهم في الرياض أثناء دراسته الجامعية:

سماحة الشيخ/ عبدالله بن محمد بن حميد (رحمه الله) رئيس مجلس القضاء الأعلى آنذاك.

سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن باز (رحمه الله) مفتي عام المملكة، ورئيس هيئة كبار العلماء في زمنه.

سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبدالله آل الشيخ مفتي عام المملكة ورئيس هيئة كبار العلماء.

فضيلة الشيخ/ عبدالله بن عبد الرحمن بن غديان عضو هيئة كبار العلماء.

أعمـالــه:

الإمامة والخطابة في المسجد الحرام.

التدريس في الجامعة، وفي المسجد الحرام، وبعض مساجد مكة المكرمة.

إلقاؤه للعديد من المحاضرات في عدد من مدن المملكة.

قيامه بالرحلات الدعوية في عدد من البلدان الإسلامية وغيرها.

مشاركته في بعض المجامع الفقهية.

وفي الجامعة تقلد عدة مناصب منها:

رئيساً لقسم الشريعة في عام ١٤١٤ هـ.

رئيساً لمركز الدراسات العليا الإسلامية المسائية عام ١٤١٥ هـ.

وكيلاً لكلية الشريعة عام ١٤١٥ هـ.

عميداً لكلية الشريعة عام ١٤١٧ هـ.

آثـاره العلميـة:

١ - الأحكام المتعلقة بالطفل اللقيط دراسة فقهية مقارنة، وهي رسالة الماجستير.

٢ - تحقيق كتاب إيضاح الدلائل في الفرق بين المسائل للإمام عبد الرحيم بن عبدالله الزريراني الحنبلي (ت: ٧٤١ هـ)، وهي رسالة الدكتوراه، وطبعه مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى.

٣ - من منبر الحرم المكي، (وهو هذا الكتاب).

٤ - البصمة الوراثية ومدى مشروعية استخدامها في النسب والجناية، (طبع سنة ١٤٢٣ هـ).

٥ - حكم الطهارة لمس القرآن وما يتعلق بذلك من الأحكام، (طبع سنة ١٤٢٤ هـ).

٦ ـ ترجمة مختصرة لعمه الشيخ عبد العزيز بن عبدالله السبيل، (مطبوع).
٧ ـ تاريخ أسرة السبيل (مخطوط).

بالإضافة إلى بعض الكتب التي لم يتمها.

وفاته:

بعد أن أدى مناسك الحج في سنة ١٤٢٢هـ حصل له حادث سير دخل بعدها في غيبوبة استمرت أسبوعين توفي بعدها ـ رحمه الله ـ في الطائف، عصر يوم الجمعة، الأول من شهر الله المحرم من عام ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرين من الهجرة، وصُلي عليه بعد صلاة العصر من يوم السبت في المسجد الحرام.

وكتبه

أنس بن عمر السبيل

فهرس الخطب

كلمة الناشر ٣
كلمة صاحب المعالي الشيخ الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد ٥
تحقيق التوحيد ١٥
وسطية الإسلام واعتدال أحكامه وتشريعاته ٢١
كمال شريعة الإسلام والتحذير من أهل الأهواء ٢٨
الاعتصام بهدي القرآن ٣٥
الحث على تحقيق العدل ٤١
الحث على تحقيق الأخوة الإسلامية ٤٧
الحث على التضامن بين المسلمين ٥٣
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومكانته في الإسلام ٥٩
مكانة الصلاة في الإسلام ٦٥
برُّ الوالدين ٧٢
التشويق إلى دار النعيم ٧٧
الحث على الإخلاص والتحذير من الرياء ٨٣
الحث على شكر الله ٨٩
الحث على خشية الله ٩٤
الحث على حفظ اللسان والعناية بأدب الحديث ١٠٠
فضيلة الذكر وشرف الذاكرين ١٠٦
من فضائل الاستغفار ١١٣
الحث على الزواج ١١٩
الحقوق الزوجية ١٢٤
الحث على الكسب الحلال والتحذير من الحرام ١٢٩
الصدق وأثره في المجتمع ١٣٥
في الصبر على البلاء ١٤١
الحث على الحلم والصفح ١٤٧
الحث على كفالة اليتامى ١٥٣
الحث على صحبة الأخيار ١٦٠
فضل يوم الجمعة ١٦٦

حرمة البلد الحرام ١٧٣
التحذير من النفاق ١٧٩
موقف المسلم عند تأزم الفتن ١٨٤
شؤم المعاصي ١٩١
التحذير من بعض مساوىء الأخلاق ١٩٧
خطر السحرة والمشعوذين ٢٠٢
التحذير من جريمة القتل ٢٠٨
خطر الربا على الفرد والمجتمع ٢١٤
التبرج والسفور وخطره على الأمة ٢٢٠
التحذير من فتنة الدنيا ٢٢٥
شؤم الحسد وخطره ٢٣٠
التحذيرمن الغِيبة ٢٣٦
التحذير من الرشوة ٢٤٢
التحذير من الإسراف والتبذير ٢٤٧
في ذكرى الهجرة ٢٥٣
حقيقة محبة النبي ﷺ (التحذير من بدعة المولد) ٢٥٩
التربية والتعليم في ضوء تعاليم الإسلام (بمناسبة بدء الدراسة) ٢٦٥
قيمة الوقت في حياة المسلم ٢٧٠
ذكرى الإسراء والمعراج ٢٧٦
أداء الزكاة ٢٨٢
فضل العشر الأواخر من رمضان ٢٨٨
في ختام شهر رمضان ٢٩٤
من منافع الحج ومناسكه ٣٠٠
فضل يوم عرفة ٣٠٦
خطبة عيد الأضحى المبارك ٣١٢
الاستقامة على نهج الهدى ٣٢٢
خطبة الاستسقاء ٣٢٦
خطبة آخر العام ٣٣١
نموذج للخطبة الثانية ٣٣٧
ترجمة المؤلف ٣٣٩

MIN MANBAR AL HARAM AL MAKKI

Written By

Omar Ben Mohamad Al Sabayel
(God forgive him)
Imam and Preacher Of Al Haram Al Makki Al Sharif

Al-Rushd Publishers